

فقه الحياء

تأليف

محمد بن اسمعيل المحقق

عفا الله عنه

الأمل
للطباعة والتوزيع
A L A M A L



الطبعة الأولى بدار الأمل

للطبع والتوزيع

١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م

رقم الإيداع: ٢٨٢٥٨ / ٢٠١٧
ISBN: 978 - 977 - 6546 - 78 - 3



☎ 0112 0774 990 - 0100 0282 166
✉ daralamal2014@gmail.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله حمداً يبلغ رضاه، وصَلَّى الله على أشرف
من اجتباه، عبده ورسوله القائل: «إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ مَكَارِمَ
الْأَخْلَاقِ»^(١)، وعلى مَنْ صَاحَبَهُ ووالاه، وَسَلَّمْ تسليمًا كثيرًا
كثيرًا، لَا يُدْرِكُ مَنَّتَها.

أما بعد:

فإن الحياء من أبرز الصفات التي تنأى بالمرء عن
الردائل، وتحجزه عن السقوط إلى سفاسف الأخلاق،
وَحَمَاةِ^(٢) الذنوب، كما أن الحياء من أقوى البواعث على
الفضائل وارتياح معالي الأمور.

(١) رواه من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - البخاري في «الأدب المفرد»
رقم (٢٧٣)، وابن سعد في «الطبقات» (١/ ١٩٢)، والحاكم (٢/ ٦١٣)،
وأحمد (٢/ ٣١٨)، وقال الحاكم: «صحيح على شرط مسلم»، ووافقه
الذهبي، وصححه الحافظ ابن عبد البر.
(٢) الْحَمَاةُ وَالْحَمَاءُ: الطين الأسود المُنْتِن.

والحياء صمام أمنٍ لسائر الأخلاق، وهو فضيلةٌ سامية
تضبط إيقاع السلوك البشري، وسيأج واقٍ يحمي القيم،
ويحرس الأخلاق.

ولقد رفع الإسلام شأن الحياء، وحث على لزومه
باعتباره خُلُق الإسلام، ورأس مكارم الأخلاق.
وفي هذا المبحث نحاول أن نسلط الضوء على «فقه
الحياء» من خلال بيان معناه، وفضائله، وأنواعه، وأحكامه،
وثمراته، والله - سبحانه وتعالى - المسئول المرجوُّ الإجابة
أن ينفع به كاتبه وقارئه، وأن يلهم المسلمين عَوْدًا حميدًا إلى
مكارم أخلاق الإسلام الحنيف، وإحياء وتجديدًا لمحاسن
الشرع الشريف، إنه ولي ذلك والقادر عليه.
والحمد لله رب العالمين.

محمد بن أحمد بن إسماعيل بن المقدم

الإسكندرية في الخميس ١٠ من المحرم ١٤٢٧ هـ
الموافق ٩ من فبراير ٢٠٠٦ م.

فصل في معنى الحياء

الحياء لغةً:

مصدر حيي، من الحياة، والغيث يُسمى حَيًّا - بالقصر -
لأن به حياة الأرض والنبات والدواب، وكذلك سميت
بالحياء حياة الدنيا والآخرة، فمن لا حياء له فهو ميتٌ في
الدنيا، شقيٌّ في الآخرة، قال بعض البلغاء: «حياة الوجه
بحيائه، كما أن حياة الغرس بمائه».

وعلى حَسَب حياة القلب تكون فيه قوة خُلُق الحياء،
وقلة الحياء من موت القلب والروح، فكلما كان القلب
أكثر حياة كان الحياء أتم.

قال الإمام المحقق ابن قيم الجوزية - رحمه الله
تعالى -:

«وكلَّما كانت هذه الأخلاقُ في صاحبها أكملَ، كانت
حياتُه أقوى وأتمَّ؛ ولهذا كان خُلُقُ (الحياء) مشتقًّا من

(الحياة) اسمًا وحقيقةً، فأكملُ الناس حياةً أكملُهُمُ حياءً، ونقصان حياء المرء من نقصان حياته، فإنَّ الرُّوح إذا ماتت لم تُحسَّ بما يؤلمها من القبائح، فلا تستحي منها، فإذا كانت صحيحة الحياة أحست بذلك، فاستحيت منه، وكذلك سائر الأخلاق الفاضلة والصفات الممدوحة تابعة لقوة الحياة، وضدُّها من نقصان الحياة، ولهذا كانت حياة الشجاع أكملَ من حياة الجبان، وحياة السَّخيِّ أكملَ من حياة البخليل، وحياة الفَطنِ الذَّكيِّ أكملَ من حياة الفَدَمِ^(١) البليد؛ ولهذا لما كان الأنبياءُ - صلوات الله عليهم - أكملَ الناس حياةً - حتى إنَّ قوَّة حياتهم تمنعُ الأرض أن تُبلي أجسامَهُم - كانوا أكملَ الناس في هذه الأخلاق، ثُمَّ الأمثلُ فالأمثل من أتباعِهِمْ^(٢).

(١) الفَدَم: الثَّقیل الفهم، العَیي.

(٢) «تهذيب مدارج السالكين» (٢/٩٤٨).

الحياء شرعاً:

تغير وانكسار يعتري الإنسان من خوف ما يُعابُ به ويُذَمُّ^(١).

وقيل: هو خلق يبعث على اجتناب القبيح من الأفعال والأقوال، ويمنع من التقصير في حق ذي الحق.

وقيل: هو الترقى عن المساوىء خوفَ الذم.

وقيل: هو انقباض النفس من شيء حذرًا من الملام^(٢).

وقال ابن مسكويه: الحياء هو انحصار النفس خوف

إتيان القبائح، والحذر من الذمّ والسبّ الصادق^(٣).

وقيل: هو ملكة راسخة للنفس، تُوزِعُهَا^(٤) على إيفاء

الحقوق، وترك القطيعة والعقوق^(٥).

(١) «الفتح» (١/٥٢).

(٢) «التوقيف على مهمات التعاريف» ص (١٥٠).

(٣) «تهذيب الأخلاق» ص (١٧).

(٤) تُغْرِيهَا، وتدفعها.

(٥) «دليل الفالحين» (٣/١٥٨).

وقال الجرجاني: هو انقباض النفس من شيء، وتركه
حذرًا عن اللوم فيه ^(١).

وقال الجاحظ: الحياء من قبيل الوقار، وهو غُضُّ
الطرف والانقباض عن الكلام حِشمةً للمستحيا منه، وهو
عادة محمودة ما لم تكن عن عِيٍّ ولا عجزٍ ^(٢).

وقال ذو النون المصري: الحياء وجودُ الهيبة في القلب
مع وحشة ما سبق منك إلى ربِّك، والحبُّ يُنطِقُ، والحياء
يُسكِتُ، والخوف يُقَلِّقُ ^(٣).

وقيل: الحياء: ذوبان الحشا لا طَّلَاع المولى.

إذن حقيقة الحياء:

أنه خلق يبعث على ترك القبائح، ويمنع من التفريط
في حق صاحب الحق، وقد اختصَّ الله - عز وجل - به

(١) «التعريفات» ص (٩٤).

(٢) «تهذيب الأخلاق» للجاحظ ص (٢٣).

(٣) «مدارج السالكين» (٢/ ٢٧٠).

الإنسان ليرتدع به عما تنزع إليه الشهوة من القبائح، كي لا يكون كالبهيمة التي تهجم على ما تشتهي دون حياء. وبين اقتراف الذنوب وبين قلة الحياء وعدم الغيرة تلازم من الطرفين، وكلُّ منهما يستدعي الآخر، ويطلبه حثيثاً، قال الشاعر:

إِذَا رُزِقَ الْفَتَى وَجْهًا وَقَاحًا^(١) تَقَلَّبَ فِي الْأُمُورِ كَمَا يَشَاءُ
وَلَمْ يَكُ لِلدَّوَاءِ وَلَا لَشَيْءٍ تَعَالَجَهُ بِهِ فِيهِ غَنَاءُ
وَرُبَّ قَبِيحَةٍ مَا حَالُ بَيْنِي وَبَيْنَ رَكُوبِهَا إِلَّا الْحَيَاءُ
فَكَانَ هُوَ الدَّوَاءَ لَهَا وَلَكِنْ إِذَا ذَهَبَ الْحَيَاءُ فَلَا دَوَاءَ
وَعَنْ مَعْبِدِ الْجَهَنِّيِّ قَالَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَى
ذَلِكَ خَيْرٌ﴾ [الأعراف: ٢٦] قال: «لباس التقوى الحياء»^(٢).

(١) وَقَاحًا: متلوناً كثير الوقاحة وعديم الحياء، والوقاحة والقحة: أن يقل حياء الرجل، ويجترئ على اقتراف القبائح، ولا يعابها.
(٢) «الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي (٨/ ١٧٥).

فَمِنْ ثَمَّ قَالَ سَفِيَانُ بْنُ عَيِّنَةَ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - : «الْحَيَاءُ
أَخْفُ التَّقْوَى، وَلَا يَخَافُ الْعَبْدُ حَتَّى يَسْتَحْيِيَ، وَهَلْ دَخَلَ
أَهْلُ التَّقْوَى فِي التَّقْوَى إِلَّا مِنَ الْحَيَاءِ ؟!» .
قَالَ الْوَاسِطِيُّ : «لَمْ يَذُقْ لَذَاعَاتِ الْحَيَاءِ مَنْ لَا بَسَّ خَرَقَ
حَدًّا، أَوْ نَقَضَ عَهْدًا» .

مَا إِنْ دَعَانِي الْهَوَى لِفَاحِشَةٍ إِلَّا نَهَانِي الْحَيَاءُ وَالْكَرَمُ
وَلَا إِلَى مُحَرَّمٍ مَدَدْتُ يَدِي وَلَا مَشَتْ بِي لَرِيبَةٍ قَدُمُ
وَقَالَ أَبُو عَقْبَةَ الْجَرَّاحُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْحَكَمِيُّ : «تَرَكْتُ
الذُّنُوبَ حَيَاءً أَرْبَعِينَ سَنَةً، ثُمَّ أَدْرَكَنِي الْوَرَعُ» ^(١) .
وَقَالَ بَعْضُ الْعُقَلَاءِ :

«عَلَيْكَ بِالْحَيَاءِ وَالْأَنْفَةِ، فَإِنَّكَ إِنْ اسْتَحْيَيْتَ مِنَ الْفَضَاحَةِ
اجْتَنَبْتَ الْخُسَاسَةَ، وَإِنْ أَنْفَتَ مِنَ الْغَلْبَةِ لَمْ يَتَقَدَّمْكَ أَحَدٌ فِي
مَرْتَبَةٍ» .

(١) «سير أعلام النبلاء» (٥ / ١٨٩ ، ١٩٠) .

الفرق بين الحياء والخجل:

قال الراغب:

«وأما الخجل فحيرة النفس لفرط الحياء، ويُحمد في النساء والصبيان^(١)، ويُذمُّ باتفاق من الرجال، والوقاحة مذمومة بكل إنسان إذ هي انسلاخ من الإنسانية، وحقيقتها لَجَاج النفس في تعاطي القبيح، واشتقاقه من: حافرٍ وَقَاح: أي صُلْب، وبهذه المناسبة قال الشاعر:

يا ليت لي من جلدٍ وجهك رقعةً

فأقد منها حافرًا للأشهب^(٢)

وما أصدق قول الشاعر:

صلابةُ الوجهِ لم تغلبْ على أحدٍ

إلا تكاملَ فيه الشرُّ واجتمع^(٣)

(١) ليس هذا على إطلاقه، كما سنوضحه - إن شاء الله - في مبحث مستقل.

(٢) الأشهب: صفة من صفات الخيل.

(٣) «الذريعة إلى مكارم الشريعة» ص (١٤٦).

وكان مالك بن دينار - رحمه الله تعالى - يقول: «ما عاقب الله تعالى قلباً بأشدَّ من أن يسلب منه الحياء». وعن سليمان قال: إذا أراد الله بعبدٍ هلاكاً نزع منه الحياء، فإذا نزع منه الحياء لم تلقه إلا مَقِيَّتًا مُمَقَّتًا»^(١). وقال صالح بن جَنَاح:

إِذَا قَلَّ مَاءُ الْوَجْهِ قَلَّ حَيَاؤُهُ وَلَا خَيْرَ فِي وَجْهِ إِذَا قَلَّ مَأْؤُهُ^(٢)

الحياء دليل نجابة الصبي:

قال أبو حامد الغزالي - رحمه الله تعالى -:
«أول حُسْن المراقبة ظهور الحياء، فإنه إذا كان يحتشم ويستحيي ويترك بعض الأفعال؛ فليس ذلك إلا لإشراق نور العقل عليه، حتى يرى بعض الأشياء قبيحًا ومخالفًا للبعض، فصار يستحيي من شيء دون شيء، وهذه هدية من الله تعالى إليه، وبشارة تدل على اعتدال الأخلاق، وصفاء القلب، وهو مبشر بكمال العقل عند البلوغ، فالصبي

(١) «مكارم الأخلاق» ص (٨٩).

(٢) انظر: «الآداب الشرعية» لابن مفلح (٢/٢٢٧).

المستحيي لا ينبغي أن يُهمل، بل يُستعان على تأديبه بحيائه
أو تمييزه»^(١) اهـ.

وقال ابن مسكويه - رحمه الله تعالى - : «إذا نظرت إلى
الصبي فوجدته مستحيًا مُطِرًا بطرفه إلى الأرض غير وقاح
الوجه، ولا مُحدِّقًا إليك، فهو أول دليل نجابته، والشاهد
لك على أن نفسه قد أحسَّت بالجميل والقيح»^(٢).

وعن عمرو بن عقبة قال: لما بلغت خمس عشرة سنة
قال لي أبي: «يا بني، قد تقطعت عنك شرائع الصبا، فالزم
الحياء تكن من أهله، ولا تتركه فتبين منه».

الحياء جبلي، وكسبي:

(أ) الحياء غريزي جبلي وهبي مركوز في فطرة الإنسان،

فهو غير مكتسب أصلاً، لكنه اكتسابي كمالاً.

مثال الحياء الجبلي الفطري: حياء الإنسان من
التكشف، ومنه حياء آدم وحواء - عليهما السلام - حين

(١) «الإحياء» (٣ / ٧٢).

(٢) «تهذيب الأخلاق» ص (٤٨).

سارعا إلى ستر عوراتهما بأوراق الشجر بمجرد أن تبدت
لهما سواتهما: ﴿فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتَ لَهُمَا سَوْءُ تُهْمَا وَطَفِقَا
يَخِصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ﴾ [طه: ١٢١].

وعن الحسن عن أبي بن كعب -رضي الله عنه- أن النبي
-صلى الله عليه وسلم- قال: «إن آدم -عليه السلام- كان
رجلاً طَوَّالاً كأنه نخلة سَحُوقٌ^(١)، كثير شعر الرأس، فلما وقع
بما وقع به بدت له عورته، وكان لا يراها قبل ذلك، فانطلق هارباً،
فأخذت برأسه شجرة من شجر الجنة، فقال لها: «أرسليني» قالت:
«لست مُرْسَلَتَكَ»، قال: فناداه ربه -عز وجل-: «أَمْنِي تَفِرُّ؟»، قال:
«أي رب ألا أستحييك؟» قال: فناداه: «وإن المؤمن يستحيي ربه
-عز وجل- من الذنب إذا وقع به، ثم يعلم بحمد الله أين المخرج،
يعلم أن المخرج في الاستغفار والتوبة إلى الله -عز وجل-»^(٢).

(١) النخلة السحوق: الطويلة التي بعد ثمرها على المجتني.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في «الزهد» ص (٤٨) مرسلاً، فإن الحسن لم يدرك
أبياً، وأخرجه الحاكم موصولاً (٢/ ٢٦٢) عن الحسن عن يحيى ابن
ضمرة، (ولعله: عتي بن ضمرة)، وقال الحاكم: «صحيح الإسناد، ولم
يخرجاه».

وفي الحياء الفطري الغريزي قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لأشج بني عَصْر: «إِنَّ فِيكَ لَخَلَّتَيْنِ»^(١) يحبهما الله - عز وجل - فقال: «وما هما؟»، قال: «الحِلْمُ والحياء»، قال: قلت: «قديمًا كانتا فيَّ أم حديثًا؟» قال: «قديمًا»، قال: «الحمد لله الذي جبلني على خَلَّتَيْنِ يحبهما الله - عز وجل -»^(٢).

(ب) أما النوع الآخر من الحياء فإنه يكون مكتسبًا من

معرفة الله - عز وجل - وقربه من عباده، وإحاطته بهم، وعلمه خائنة الأعين وما تخفي الصدور، فهذا هو الحياء «الإيماني» المكلف به، والذي يمنع المؤمنَ من ارتكاب المعاصي خوفًا من الله - عز وجل - وقد ينطبع الشخصُ بالمكتسب حتى يصير كالغريزي.

(١) الخَلَّة: الخَصْلَة.

(٢) رواه ابن أبي عاصم في «السنة» رقم (١٩٠)، والإمام أحمد (٤/ ٢٠٥)، وله شواهد في «الصحيحين»، وغيرهما، وصححه الألباني على شرط الشيخين.

وَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- قَدْ جُمِعَ
لَهُ النَّوْعَانِ، فَكَانَ -صلى الله عليه وسلم- فِي الْغَرِيزِ
أَشَدَّ حَيَاءً مِنَ الْعَذْرَاءِ فِي خِذْرِهَا، وَكَانَ فِي الْمُكْتَسَبِ فِي
الذُّرْوَةِ الْعُلْيَا ^(١).

وَقَالَ الْمُنَاوِيُّ: «الْحَيَاءُ نَوْعَانِ: نَفْسَانِيٌّ، وَهُوَ الْمَخْلُوقُ
فِي النَّفْسِ كُلِّهَا، كَالْحَيَاءِ مِنْ كَشْفِ الْعَوْرَةِ وَالْجَمَاعِ بَيْنَ
النَّاسِ، وَإِيمَانِيٌّ وَهُوَ أَنْ يَمْتَنِعَ الْمُسْلِمُ مِنْ فِعْلِ الْمُحَرَّمَ
خَوْفًا مِنَ اللَّهِ» ^(٢) اهـ.

الحياء من مكارم الأخلاق عند العرب:

قال في «اللمعات»: «كانت العربُ أحسنَ الأممِ أخلاقاً،
ولكنهم قد ضلوا بالكفر عن كثير منها، وخلطوا بها أحكام
الجاهلية، فُبِعِثَ -صلى الله عليه وسلم- ليتمم محاسن
الأخلاق» ^(٣) اهـ.

(١) «فتح الباري» (١٠/٥٢٢، ٥٢٣).

(٢) «التوقيف على مهمات التعاريف» ص (١٥٠).

(٣) «فضل الله الصمد في توضيح الأدب المفرد» (١/٣٧٠).

وكان الحياء من هذه الأخلاق التي تغنى بها العرب:

قال الشنفرى يصف امرأة شديدة الحياء:

كأن لها في الأرض نسيًا تقصه

على أمها وإن تحدثك تبليت

يقول: لا ترفع رأسها كأنها تطلب شيئاً في الأرض،
والنسي: ما أضله أهله، فيطلب ويطمع فيه، وتقصه: تتبعه،
قال -عز وجل-: ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيه﴾ أي: اتبعي
أثره، والأُم: القصد، وقوله: «وإن تحدثك تبليت» أي: تقطع
الحديث لاستحيائها.

ووصف النابغة شدة حياء امرأة النعمان حين مرت
بمجلسهما، فسقط نصيفها - أي برقعها - الذي كانت قد
تقنعت به، فسترت وجهها بذراعيها، وانحنت على الأرض
ترفع النصيف بيدها الأخرى، فقال:

سقط النصيف ولم تُرد إسقاطه

فتناولته واتقننا باليد

وعن ابن عباس -رضي الله عنهما- أن أبا سفيان أخبره أن هرقل أرسل إليه في رَكْبٍ من قريش، وكانوا تجارًا بالشام في المدة التي كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ماذَّ فيها أبا سفيان وكفار قريش، فأتوه وهم بإيلياء، فدعاهم في مجلسه وحوله عظماء الروم، ثم دعاهم ودعا بترجُمانه، فقال: «أيكم أقرب نسبًا بهذا الرجل الذي يزعم أنه نبي؟»، فقال أبو سفيان: «فقلت: أنا أقربهم نسبًا»، فقال: «أدنوه مني، وقربوا أصحابه، فاجعلوهم عند ظهره»، ثم قال لترجُمانه: «قل لهم: إني سائلُ هذا الرجل، فإن كَذَبني فكذبوه»، فوالله لو لا الحياءُ من أن يَأْثُرُوا عَلَيَّ كَذِبًا لكذبتُ عنه... الحديث (١).

قال الحافظ ابن حجر -رحمه الله تعالى-: وفي قوله: «يَأْثُرُوا» دون قوله: «يُكَذِّبُوا» دليل على أنه كان واثقًا منهم بعدم التكذيب أن لو كذب لا شترأكهم معه في عداوة النبي

(١) رواه البخاري (١/ ٣٥ - فتح).

-صلى الله عليه وسلم-، لكنه ترك ذلك استحياءً وأنفة
من أن يتحدثوا بذلك بعد أن يرجعوا، فيصير عند سامعي
ذلك كذاباً، وفي رواية ابن إسحاق التصريح بذلك، ولفظه:
«فوالله لو قد كذبت ما ردوا عليّ، ولكني كنت امرءاً سيّداً
أتكرم عن الكذب، وعلمت أن أيسر ما في ذلك إن أنا كذبت
أن يحفظوا ذلك عني ثم يتحدثوا به، فلم أكذبه» (١) اهـ.
وعن أبي موسى الأشعري -رضي الله عنه- أن رسول الله
-صلى الله عليه وسلم- بعثه مع أبي عامر على جيش في
أوطاس، ورمى رجل من بني جُشم أبا عامر بسهم فأثبته
في ركبته، قال أبو موسى: فقصدتُ له، فاعتمدته، فليحقة،
فلما رأيته وليّ عني ذاهباً، فاتّبعته، وجعلتُ أقول له: «ألا
تستحيي؟! ألسْتَ عربياً؟! ألا تثبت؟! فكفّ، فالتقيت أنا
وهو، فاختلفنا أنا وهو ضربتين، فضربته بالسيف، فقتلته» (٢).

(١) «فتح الباري» (١/ ٣٥).

(٢) رواه البخاري (٤٣٢٣)، ومسلم (٢٤٩٨)، (١٦/ ٥٩ - نووي).

الحياء في الإسلام

أما في الإسلام فقد رفع الإسلام شأن الحياء، وحض عليه، وامتدح أهله في القرآن الكريم، والسنة المطهرة، فلقد أبرز القرآن العظيم خلق الحياء في ابنتي الرجل الصالح، اللتين انحدرتا من بيت كريم، ينضح بالعفاف والطهارة، والصيانة وحسن التربية، قال الله تعالى في شأن موسى - عليه السلام -: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ۝٢٣﴾ فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ۝٢٤﴾ فجاءته إحداهما تمشي على أَسْتَحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّكِ ابْنِي تَدْعُوكَ لِجَزِيكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَبَوْتُ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥﴾ [القصص: ٢٣ - ٢٥].

(دَلَّتْ الآيَاتُ عَلَى الْأَدَبِ الرَّفِيعِ الَّذِي تَحَلَّى بِهِ مُوسَى - عَلَيْهِ السَّلَامُ - وَعَلَى مَدَى حَيَاتِهِ، وَيَتَّضِحُ هَذَا مِنْ سِيَاقِ الْحَدِيثِ الَّذِي دَارَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ ابْنَتَيْ شَعِيبٍ ^(١)، ﴿قَالَ مَا خَطْبُكُمَا﴾ ولم يزد على ذلك، فلم يسألهما عن اسميهما، ولا عن أبيهما، وعمّا إذا كانت الأغنام ملكًا لأبيهما، أو له فيها شركاء، وعمّا إذا كانتا أو إحداهما متزوجة كما يفعل بعض الناس اليوم، ويعتبرونه من مزايا التحضر والتكيف والاندماج الاجتماعي، وكذلك الحال في موقف ابنتي شعيب إذ كان جوابهما على مستوى السؤال، مستوفياً البيان في عبارة موجزة مانعة من استمرار الحديث: ﴿لَا نَسْقَى حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾، فبذلك أسدلتا الستار عن استمرار الحديث، ولم تسأله كلتاهما أو إحداهما عن اسمه أو عن بلده أو عن أيام حياته الماضية، وعمّا إذا كان متزوجاً أو غير متزوج، وكذلك حين جاءته إحداهما،

(١) لم يثبت أن الرجل الصالح كان شعيياً - عليه السلام -، انظر «جامع الرسائل» لشيخ الإسلام ابن تيمية (١/ ٦١-٦٦).

قالت: ﴿إِنِّي يَدْعُوكَ لِجَزِيكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾، وكانت في مشيتها تسير في حياء بالغ، حياء البنت الكريمة الحاصلة على الجانب الوفير من التربية الحسنة، والخصال الكريمة الطيبة، فوصف القرآن الكريم مشيتها: ﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ﴾، كأنما الحياء بساط، وهي عليه تسير^(١)، قال عمر - رضي الله عنه -: «ليست بسلفع^(٢) من النساء خراجة ولا جة، ولكن جاءت مستترة، قد وضعت كُمَّ ذُرْعِهَا عَلَى وَجْهِهَا اسْتِحْيَاءً»^(٣)، وفي رواية: «جاءت تمشي على استحياء، قائلة بثوبها على وجهها، ليست بسلفع من النساء خراجة ولا جة»^(٤).

(١) «الأمومة في القرآن الكريم والسنة النبوية» للدكتور محمد السيد الزعبلأوي، ص (٩٢، ٩٣).

(٢) امرأة سلفع: سليطة جريئة قليلة الحياء.

(٣) أخرجه الفريابي، وابن أبي شيبة في «المصنف»، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والحاكم، وصححه عن عمر - رضي الله عنه - كما في «الدر المنثور» (١٢٤ / ٥).

(٤) ذكره ابن كثير من رواية ابن أبي حاتم، وصححه، كما في «تفسير القرآن العظيم» (٢٣٨ / ٦).

وبلغ من تقدير الإسلام خُلُقَ الحياء أن بُني على اعتباره
حكمٌ شرعيٌّ، فعن أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها-
قالت: «سألت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عن
الجارية يُنكِحُها أهلُها، أئْتَسْتَأْمُرُ أم لا؟»، فقال لها رسول الله
-صلى الله عليه وسلم-: «نعم تُستأمر»، فقالت: فقلت له:
«إنها تستحيي»، فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-:
«فذلك إذنْها إذا هي سككت»^(١)، وفي لفظ النسائي وأحمد:
«استأمرُوا النساء في أبضاعهن» قيل: «فإن البكر تستحيي أن
تكلم؟» قال: «سكوتها إذنْها»، وقال -صلى الله عليه وسلم-:
«لا تُنكِحُ البكر حتى تُستأذن، ولا الثيبُ حتى تُستأمر...»^(٢) الحديث.
فجعل إذن البكر أن تسكت لشدة حيائها، أما الثيب فلا
بد من إذنْها الصريح في التزويج.

بل جعل النبي -صلى الله عليه وسلم- الاستحياء معياراً
يُفَصِّلُ به بين البرِّ والإثم، فقد قال -صلى الله عليه وسلم-:

(١) رواه البخاري رقم (٥١٣٧)، ومسلم (١٤٢٠)، وغيرهما.

(٢) رواه البخاري رقم (٥١٣٦)، ومسلم في (١٤١٩)، وغيرهما.

للنّوأس بن سمعان - رضي الله عنه - : «البِرُّ: حُسنُ الخلق،
والإِثم: ما حاك في صدرك، وكرهتَ أن يطلعَ عليه الناسُ»^(١)، وقال
- صلى الله عليه وسلم - لو ابصتَ بن مَعْبُدٍ - رضي الله عنه - :
«البِر: ما اطمأنت إليه النفس، والإِثم: ما حاك في النفس، وتردد
في الصدر، وإن أفتاك الناس وأفتوك»^(٢).



(١) رواه مسلم (٢٥٥٣)، والترمذي (٢٣٩٠)، والإمام أحمد (١٨٢/٤).

(٢) رواه الإمام أحمد (٢٢٨/٤).

فصل

في أقسام الحياء

قال الإمام المحقق ابن قيم الجوزية - رحمه الله

تعالى -:

قُسِّمَ الْحَيَاءُ عَلَى عَشْرَةِ أَوْجُهٍ:

حَيَاءُ جَنَائَةٍ، وَحَيَاءُ تَقْصِيرٍ، وَحَيَاءُ إِجْلَالٍ، وَحَيَاءُ كَرَمٍ،
وَحَيَاءُ حُشْمَةٍ، وَحَيَاءُ اسْتِحْقَارِ النَّفْسِ (اسْتِصْغَارِهَا)،
وَحَيَاءُ مَحَبَّةٍ، وَحَيَاءُ عُبودِيَّةٍ، وَحَيَاءُ شَرَفٍ وَعِزَّةٍ، وَحَيَاءُ
الْمُسْتَحْيِي مِنْ نَفْسِهِ.

١ - فَأَمَّا حَيَاءُ الْجَنَائَةِ: فَمِنْهُ حَيَاءُ آدَمَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ -

لَمَّا فَرَّ هَارِبًا فِي الْجَنَّةِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: «أَفِرَارًا مِنِّي يَا آدَمُ؟»

قال: «لَا يَا رَبِّ! بَلْ حَيَاءٌ مِنْكَ»^(١).

(١) تقدم نص الحديث ص (١٣).

٢ - وَحَيَاءُ التَّقْصِيرِ: كَحَيَاءِ الْمَلَائِكَةِ الَّذِينَ يُسَبِّحُونَ
الَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ قَالُوا: سُبْحَانَكَ
مَا عَبْدْنَاكَ حَقَّ عِبَادَتِكَ.

٣ - وَحَيَاءُ الْإِجْلَالِ: وَهُوَ حَيَاءُ الْمَعْرِفَةِ، وَعَلَى حَسَبِ
مَعْرِفَةِ الْعَبْدِ بِرَبِّهِ يَكُونُ حَيَاؤُهُ مِنْهُ^(١).

٤ - وَحَيَاءُ الْكَرَمِ: كَحَيَاءِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -
مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ دَعَاهُمْ إِلَى وَلِيْمَةِ زَيْنَبَ، وَطَوَّلُوا الْجُلُوسَ
عِنْدَهُ، فَقَامَ وَاسْتَحْيَا أَنْ يَقُولَ لَهُمْ: انْصَرِفُوا.

٥ - وَحَيَاءُ الْحِشْمَةِ: كَحَيَاءِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ
- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنْ يَسْأَلَ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ - عَنِ الْمَذِي لِمَكَانِ ابْنَتِهِ مِنْهُ.

(١) وفيه قال أحمد بن عاصم: «أحب أن لا أموت حتى أعرف مولاي، ليس
المعرفة: الإقرار به، ولكن المعرفة: التي إذا عرفت، استحيت» اهـ. من
«حلية الأولياء» (٩/ ٢٨٢).

٦ - وَحَيَاءُ الاسْتِحْقَارِ، وَاسْتِصْغَارِ النَّفْسِ: كَحَيَاءِ الْعَبْدِ

مِنْ رَبِّهِ - عِزٍّ وَجَلٍّ - حِينَ يَسْأَلُهُ حَوَائِجَهُ، احْتِقَارًا لِشَأْنِ
نَفْسِهِ، وَاسْتِصْغَارًا لَهَا.

وَقَدْ يَكُونُ لِهَذَا النُّوعِ سَبِيحَانِ:

أَحَدُهُمَا: اسْتِحْقَارُ السَّائِلِ نَفْسَهُ، وَاسْتِعْظَامُ ذُنُوبِهِ
وَخَطَايَاهُ.

الثَّانِي: اسْتِعْظَامُ مَسْئُولِهِ (وَهُوَ الْمَوْلَى - عِزٍّ وَجَلٍّ -).

٧ - وَأَمَّا حَيَاءُ الْمَحَبَّةِ: فَهُوَ حَيَاءُ الْمُحِبِّ مِنْ مَحْبُوبِهِ،

حَتَّى إِنَّهُ إِذَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِهِ فِي غَيْبَتِهِ هَاجَ الْحَيَاءُ مِنْ قَلْبِهِ،
وَأَحْسَّ بِهِ فِي وَجْهِهِ، وَلَا يَذَرِي مَا سَبَّبَهُ.

وَكَذَلِكَ يَعْزِضُ لِلْمُحِبِّ عِنْدَ مُلَاقَاتِهِ مَحْبُوبَهُ وَمُفَاجَأَتِهِ
لَهُ رُوعَةً شَدِيدَةً، وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ: «جَمَالُ رَائِعٍ»، وَسَبَبُ هَذَا
الْحَيَاءِ وَالرُّوعَةِ مِمَّا لَا يَعْرِفُهُ أَكْثَرُ النَّاسِ.

فَإِذَا فَاجَأَ الْمَحْبُوبُ مُحِبَّهُ، وَرَأَاهُ بَغْتَةً، أَحْسَسَ الْقَلْبُ
بِهُجُومِ سُلْطَانِهِ عَلَيْهِ، فَاعْتَرَاهُ رُوعَةٌ وَخَوْفٌ.

٨ - وَأَمَّا حَيَاءُ الْعُبُودِيَّةِ: فَهُوَ حَيَاءٌ مُمْتَزَجٌ مِنْ مَحَبَّةٍ وَخَوْفٍ، وَمُشَاهَدَةِ عَدَمِ صَلاَحِ عُبُودِيَّتِهِ لِمَعْبُودِهِ، وَأَنَّ قَدْرَهُ أَعْلَى وَأَجَلُّ مِنْهَا، فَعُبُودِيَّتُهُ لَهُ تُوجِبُ اسْتِحْيَاءَهُ مِنْهُ لَا مَحَالَةً.

٩ - وَأَمَّا حَيَاءُ الشَّرَفِ وَالْعِزَّةِ: فَحَيَاءُ النَّفْسِ الْعَظِيمَةِ الْكَبِيرَةِ إِذَا صَدَرَ مِنْهَا مَا هُوَ دُونَ قَدْرِهَا مِنْ بَذْلٍ أَوْ عَطَاءٍ أَوْ إِحْسَانٍ، فَإِنَّهُ يَسْتَحْيِي مَعَ بَذْلِهِ حَيَاءَ شَرَفِ نَفْسٍ وَعِزَّةٍ.

١٠ - وَأَمَّا حَيَاءُ الْمَرْءِ مِنْ نَفْسِهِ: فَهُوَ حَيَاءُ النَّفْسِ الشَّرِيفَةِ الْعَزِيزَةِ الرَّفِيعَةِ مِنْ رِضَاهَا لِنَفْسِهَا بِالنَّقْصِ، وَقَنَاعَتِهَا بِالذُّونِ، فَيَجِدُ نَفْسَهُ مُسْتَحْيِيًا مِنْ نَفْسِهِ، حَتَّى كَأَنَّ لَهُ نَفْسَيْنِ، يَسْتَحْيِي بِأَحَدَاهُمَا مِنَ الْأُخْرَى، وَهَذَا أَكْمَلُ مَا يَكُونُ مِنَ الْحَيَاءِ، فَإِنَّ الْعَبْدَ إِذَا اسْتَحْيَا مِنْ نَفْسِهِ فَهُوَ بِأَنَّ يَسْتَحْيِي مِنْ غَيْرِهِ أَجْدَرُ ^(١).

(١) «مدارج السالكين» (٢/ ٢٦١ - ٢٦٤) بتصرف.

مِمَّ يَتَوَلَّدُ الْحَيَاءُ؟

قَالَ أَبُو الْفِدَا إِسْمَاعِيلُ الْهَرَوِيُّ فِي «مَنَازِلِ السَّائِرِينَ»: «الْحَيَاءُ مِنْ أَوَّلِ مَدَارِجِ أَهْلِ الْخُصُوصِ، يَتَوَلَّدُ مِنْ تَعْظِيمِ مَنْوُطٍ بُوْدٌ»^(١).

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ: يَعْنِي أَنَّ الْحَيَاءَ حَالَةً حَاصِلَةٌ مِنْ امْتِزَاجِ التَّعْظِيمِ بِالْمَوَدَّةِ، فَإِذَا اقْتَرْنَا تَوَلَّدَ بَيْنَهُمَا الْحَيَاءُ^(٢).
وَقَالَ بَعْضُهُمْ: تَوَلَّدَ مِنْ شُعُورِ الْقَلْبِ بِمَا يُسْتَحْيَا مِنْهُ، وَنُفْرَتِهِ عَنْهُ، فَيَتَوَلَّدُ مِنْ هَذَا الشُّعُورِ وَالنُّفْرَةِ حَالَةٌ هِيَ الْحَيَاءُ^(٣).

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ: وَلَا تَنَافِي بَيْنَ هَذِهِ الْأَقْوَالِ؛ لِأَنَّ لِلْحَيَاءِ عِدَّةَ أَسْبَابٍ، وَكُلُّ أَشَارَ إِلَى بَعْضِهَا^(٤).

(١) «مدارج السالكين» (٢/ ٢٧٤)، نقلاً عن «منازل السائرين».

(٢) «نفسه».

(٣) «نفسه» (٢/ ٢٧٥).

(٤) «نفسه».

وَقَدْ يَتَوَلَّدُ الْحَيَاءُ مِنْ عِلْمِ الْعَبْدِ بِنَظَرِ الْحَقِّ إِلَيْهِ، فَيَجْذِبُهُ
ذَلِكَ إِلَى تَحْمُلِ الْمُجَاهَدَةِ، وَيَحْمِلُهُ عَلَى اسْتِقْبَاحِ الْجَنَائِيَةِ،
وَيُسْكِتُهُ عَنِ الشَّكْوَى^(١).

وقد يتولد الحياء من «مشهد النعمة والإحسان»، فإن
الكريم لا يقابل بالإساءة من أحسن إليه، وإنما يفعلُه اللئيم،
فيمنعه - أي: الكريم - مشهد إحسانه إليه، ونعمته عليه،
من عصيانِه، حياءً منه أن يكون خيره وإنعامه نازلاً عليه،
ومخالفته صاعدة إليه، فمَلَكُ ينزل بهذا، ومَلَكُ يعرج بهذا،
فَأَقْبَحُ بها من مقابلة!

قال الجنيد - رحمه الله تعالى -: «الحياء رؤية الآلاء،
ورؤية التقصير، فيتولد بينهما حالة تسمى الحياء، وحقيقته
خُلُقٌ يبعث على ترك القبائح، ويمنع من التفريط في حق
صاحب الحق»^(٢).

(١) «نفسه».

(٢) «رياض الصالحين» ص (٢٤٦).

فإذا كان الإنسان يخزى أن يسيء إلى من أحسن إليه من البشر، ويستحيي ممن أسدى إليه معروفًا أن يقابله بالنكر، فيكف لا يستحيي الإنسان من ربه واهب النعم التي لا تُحصى؟!.

قال محمد بن عليّ الترمذي: «اجعل مراقبتك لمن لا تغيب عن نظره إليك، واجعل شكرك لمن لا تنقطع نِعْمُهُ عنك، واجعل طاعتك لمن لا تستغني عنه، واجعل خضوعك لمن لا تخرج عن مُلكه وُسْطَوانه»، فلو لم يرد بالحياء شرع، لاستلزمه العقل واستحسنه، قال الشاعر:

هَبِ^(١) الْبِعْثَ لَمْ تَأْتِنَا رُسُلُهُ وَجَاحِمَةَ النَّارِ لَمْ تُضْرَمِ
أَلَيْسَ مِنَ الْوَاجِبِ الْمُسْتَحَقُّ حَيَاءُ الْعِبَادِ مِنَ الْمُنْعَمِ

عن يوسف بن الحسين قال: سمعت ذا النون يقول: لله عباد تركوا الذنب استحياءً من كرمه بعد أن تركوه خوفًا من عقوبته، ولو قال لك:

(١) هب: بمعنى ظنّ وافترض، وهو فعل جامد ملازم للأمرية.

«اعمل ما شئت، فليست أَخْذُكَ بِذَنْبٍ»؛ كان ينبغي لك
أن يزيدك كرمه استحياءاً منه، وترگاً لمعصيته إن كنت حرّاً
كريمًا عبدًا شكورًا، فكيف وقد حذرَكَ^(١)؟!

عن محمد بن الفضل قال: «الحياء يتولد من النظر إلى
إحسان المحسن، ثم من النظر إلى جفائك إلى المحسن،
فإذا كُنْتَ كذلك؛ رُزِقْتَ الحياءَ إن شاء الله»^(٢).

وقال ذو النون: «اعلموا أن الذي أهاج الحياء من الله
- عز وجل - معرفتهم بإحسان الله إليهم، وعلمهم بتضييع
ما افترض الله عليهم من شكره، وليس لشكره نهاية، كما
ليس لعظمته نهاية»^(٣).

تائبٌ تجري دموعي نَدَمًا يا لِقَلْبِي من دموعِ الندمِ
ليتني ذُبْتُ حياءَ كلما جدد العفو عطاء المنعمِ

(١) «شعب الإيمان» رقم (٧٧٤٥).

(٢) «نفسه» رقم (٧٧٤٤).

(٣) «نفسه» رقم (٧٧٤٢).

حياء الجنائية:

روى قتادة عن أنس - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : «يَجْمَعُ اللهُ النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَهْتَمُونَ لذلك، فيقولون: «لو استشفعنا إلى ربنا، حتى يريحنا من مكاننا هذا؟»، قال: فيأتون آدم، فيقولون: «أنت آدم أبو الخلق، خلقتك الله بيده، ونفخ فيك من رُوحه، وأمر الملائكة فسجدوا لك، اشفع لنا عند ربك حتى يريحنا من مكاننا هذا»، فيقول: «لستُ هُناكم»^(١)، فيذكر خطيئته^(٢) التي أصاب، فيستحيي ربّه

(١) قوله: «لستُ هُناكم»: (قال عياض: قوله: «لستُ هُناكم» كناية عن أن منزلته دون المنزلة المطلوبة، قاله تواضعًا وإكبارًا لما يسألونه، قال: وقد يكون فيه إشارة إلى أن هذا المقام ليس لي بل لغيري. قلت: وقد وقع في رواية معبد ابن هلال: «فيقول: لستُ لها»، وكذا في بقية المواضع، وفي رواية حذيفة: «لستُ بصاحب ذاك»، وهو يؤيد الإشارة المذكورة) اهـ. من «فتح الباري» (١٥ / ١١١).

(٢) ما نسب إلى الأنبياء - عليهم السلام - من معصية إما أنه فعلٌ حَسِبَ النبي أنه يرضي الله - عز وجل - فلم يوافق رضا الله، أو أنه من باب ترك الأولى، ومن باب «حسنات الأبرار سيئات المقربين»، فالأنبياء - عليهم السلام - معصومون من أن يقع منهم ما يُزري بمراتبهم العالية، ومناصبهم السامية، ولو فرضنا أنه وقع منهم شيء من المخالفة فإنهم يتداركون ذلك =

منها، «ولكن ائتوا نوحًا أولَ رسولٍ بعثه الله إلى أهل الأرض^(١)»، قال: فيأتون نوحًا، فيقول: «لستُ هناكم»، فيذكر خطيئته التي أصاب، فيستحيي ربُّه منها، «ولكن ائتوا إبراهيم الذي اتخذه الله خليلًا»، فيأتون إبراهيم، فيقول: «لستُ هناكم»، وذكر خطيئته التي أصاب، فيستحيي ربه منها، «ولكن ائتوا موسى الذي كلمه الله، وأعطاه التوراة»، قال: فيأتون موسى، فيقول:

= بالتوبة والإخلاص، وصدق الإنابة إلى الله - عز وجل - حتى ينالوا بذلك أعلى الدرجات، فتكون درجاتهم بذلك أعلى من درجة من لم يرتكب شيئاً من ذلك، كما قال تعالى: ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ﴾^(١٦) ثُمَّ لَجِنَبُهُ رَبَّهُ فَنَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿طه: ١٢١، ١٢٢﴾.

وقد استقصى الإمام ابن حزم - رحمه الله - في «الفصل» ما يرد من الشبهات على عصمة الأنبياء - عليهم وعلى نبينا الصلاة والسلام - في بحث مدهش، فراجع (٢/٤ - ٢٥)، وانظر: «الرسل والرسالات» للدكتور عمر الأشقر ص (٩٧ - ١١٢).

(١) أي: بعد الطوفان؛ لأنه لم يبق إلا من كان مؤمناً معه، وقد كان مرسلًا إليهم، لأن هذا العموم لم يكن من أصل بعثته، وإنما اتفق بالحادث الذي وقع، وهو انحصار الخلق في الموجودين بعد هلاك سائر الناس، وأما نبينا - صلى الله عليه وسلم - فعموم رسالته من أصل البعثة، فثبت اختصاصه بذلك. انظر: «فتح الباري» (٢/ ١٥، ١٤).

«لستُ هناكم»، ويذكر خطيئته التي أصاب، فيستحيي ربه منها، «ولكن ائتوا عيسى رُوحَ الله وكلمته»، فيأتون عيسى رُوحَ الله وكلمته، فيقول: «لستُ هناكم، ولكن ائتوا محمداً، عبداً غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر»، قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «فيأتونني، فأستأذن على ربي، فيؤذن لي، فإذا أنا رأيته وقعتُ ساجداً، فيدعني ما شاء الله، فيقال: يا محمد، ارفع، قلْ يُسمع، سلْ تُعطه، اشْفَعْ تُشَفَّع» الحديث^(١).

وعن محمد بن حاتم قال: قال الفضيل بن عياض: «لو خُيرْتُ بين أن أبعث فأدخل الجنة، وبين أن لا أبعث؛ لا اخترت أن لا أبعث»، قيل لمحمد بن حاتم: هذا من الحياء؟ قال: نعم، هذا من طريق الحياء من الله -عز وجل-.

وعن علقمة بن مرثد قال: «كان الأسود يجتهد في العبادة، ويصوم حتى يخضر ويصفر، فلما احتضر بكى، فقليل له: «ما هذا الجزع؟»، قال: «مالي لا أجزع؟ ومن أحق

(١) رواه البخاري في «التوحيد» (٣٩٢ / ١٣) رقم (٧٤١٠)، ومسلم رقم (١٩٤).

بذلك مني؟ والله لو أُتيت بالمغفرة من الله -عز وجل-
لأَهَمَّنِي الحياء منه مما قد صنعت، إن الرجل ليكون بينه
وبين الرجل الذنب الصغير فيعفو عنه، ولا يزال مستحيًا
منه».

وأنشد بعضهم:

يا حسرة العاصين عند معادهم

هذا وإن قدموا على الجناتِ

لو لم يكن إلا الحياء من الذي

ستر القبيح لكان أعظم الحسراتِ

وقال الحسن: «لو لم نبك إلا للحياء من ذلك المقام؛

لكان ينبغي لنا أن نبكي فنطيل البكاء».

يا كاتم السِّرِّ ومخفيه أين من الله تواريه

بارزت بالعصيان ربَّ العُلا وأنت من جارك تخفيه ^(١)

(١) «شعب الإيمان» (٥/ ٤٦٠).

ورُوي عن أبي حامد الخلقاني أنه أنشد الإمام أحمد
هذين البيتين:

إذا ما قال لي ري أما استحييتَ تعصيني
وتُخفي الذنبَ من خلقي وبالعصيانِ تأتيني
فأمره أحمد بإعادتهما عليه، فأعادهما عليه، فدخل
أحمد داره، وجعل يرددتهما، ويبكي.

وشهد الفضيل - رحمه الله تعالى - الموقف الأشرف في
عرفات فرفع رأسه إلى السماء، وقد قبض على لحيته، وهو
يبكي بكاء الشكلى، ويقول: «واسوأُتاه منك، وإن عفوت!». .

يا خجلة العبدِ من إحسان سيده
يا حسرة القلب من أَلطاف معناه
فكم أسأتُ وبالإحسان قابِلني
واخجلتني واحيائي حين ألقاه
يا نفسُ كم بخفي اللطف عامِلني
وقد رأني على ما ليس يرضاه

يا نفس كم زلت بها قدمي
وما أقال عثاري ثمَّ إلا هو
يا نفسُ توبي إلى مولاي واجتهدي
وصابري فيه إيقاناً برؤياهُ



فصل فضائل الحياء

أولاً: الحياءُ مفتاحُ كلِّ خيرٍ

ويكفي الحياءَ خيرًا كونه على الخير دليلًا، إذ مبدأ الحياء: انكسار وانقباض يلحق الإنسان مخافةً نسبته إلى القبيح، ونهايته: ترك القبيح، وكلاهما خير، عن أبي نُجيدٍ عمران ابن حصين الخزاعي -رضي الله عنهما- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: «الحياء لا يأتي إلا بخير»^(١)، فقال بُشَيْرُ بن كعب^(٢): «مكتوب في الحكمة»^(٣): إن منه

(١) أخرجه البخاري في «الأدب»: باب الحياء (١٠/٥٢١)، رقم (٦١١٧)، ومسلم رقم (٣٧)، وأبو داود (٤٧٩٦)، وأحمد (٤٢٧/٤).

(٢) بضم الموحدة، وفتح المعجمة مصغراً، العدوي البصري التابعي الجليل.

(٣) الحكمة: هي العلم الذي يُبحث فيه عن أحوال حقائق الموجودات، وقيل: العلم المتقن الوافي، كذا في «الفتح الرباني» (١٩/٩٣)، والمراد هنا: الكتب المتقدمة.

وقارًا^(١)، ومنه سكينه^(٢)»، فقال عمران: «أحدثك عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وتحدثني عن صفك؟».

ورواه حميد بن هلال، عن بشير بن كعب، عن عمران ابن حصين - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : «الحياء خير كله»، فقال بشير: فقلت: «إن منه ضعفًا، وإن منه عجزًا»^(٣)، فقال: «أحدثك

(١) أي: حلمًا ورزانة.

(٢) أي: دعة وسكونًا، وفي رواية لمسلم: «إن منه سكينه ووقارًا لله، ومنه ضعف»، قال الحافظ: «وهذه الزيادة متعينة، ولأجلها غضب عمران اهـ. وقال في «الكواكب»: «إنما غضب لأن الحجة إنما هي في سنة رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، لا فيما يُروى عن كتب الحكمة؛ لأنه لا يدري ما في حقيقتها، ولا يعرف صدقها»، وقال القرطبي: «إنما أنكر عليه من حيث إنه ساقه في معرض من يعارض كلام النبوة بكلام غيره، وقيل: لكونه خاف أن يخلط السنة بغيرها، وإلا فليس في ذكر السكينه والوقار ما ينافي كونه خيرًا». اهـ. من «الفتح الرباني» (١٩/٩٣).

(٣) معناه: أنه قد يستحي أن يواجه بالحق من يستحيه، فيدع أمره بمعروف، ونهيه عن منكر، وقد يحمله على إخلاله ببعض الحقوق، وغير ذلك مما يُعرف عادة.

عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، وتجيئني بالمعاريض^(١)؟ لا أحدثك بحديث ما عرفتُك»، فقالوا: «يا أبا نَجيد، إنه طيب الهوى^(٢)، وإنه... وإنه...»، فلم يزالوا به حتى سكن، وحَدَّث.

= والجواب عن ذلك: أن هذا المانع ليس من الحياء حقيقة، بل هو عجز وخور ومهانة، وإنما يطلق عليه أهلُ العرف حياءً مجازاً، أما الحياء الحقيقي فهو خُلُقٌ يبعث على ترك القبيح، ويمنع من التقصير في حق كل ذي حق.

(١) جاء عند مسلم وأبي داود: «فغضب عمران حتى احمرَّت عيناه»، قال النووي - رحمه الله -: «وأما إنكار عمران - رضي الله عنه - فلكونه قال: «منه ضعف» بعد سماعه قول النبي - صلى الله عليه وسلم -: «إنه خير كله».

ومعنى قوله: «وتجيئني بالمعاريض» أي: تأتي بكلام في مقابلته، وتعترض بما يخالفه.

(٢) جاء عند مسلم: «إنه مِنَّا أبا نَجيد، إنه لا بأس به»، ومعنى طيب الهوى: أي طيب القلب، لا يقصد سوءاً، قال النووي: «وقولهم: (إنه مِنَّا، لا بأس به) معناه: ليس هو ممن يتهم بنفاق أو زندقة أو بدعة وغيرها مما يخالف به أهل الاستقامة، والله أعلم» اهـ.

تنبيه: نستطيع في ضوء ما تقدم أن نرد ما زعمه الراغب في «الذريعة» ص (١٤٥) من أن «الحياء مركب من جُبْن وعفة، ولذلك لا يكون المستحي =

قال الإمام المحقق ابن قيم الجوزية - رحمه الله تعالى -

= فاسقًا، ولا الفاسق مستحيًا؛ لتنافي اجتماع العفة والفسق، وقُلَّ ما يكون الشجاع مستحيًا، والمستحي شجاعًا؛ لتنافي اجتماع الجبن والشجاعة» اهـ. لأن قوله: «جبن» توأم قول بشير لعمران - رضي الله عنه -: «ضعف، وعجز»، وكلاهما تعرَّض لعموم قول الصادق المصدوق - صلى الله عليه وسلم -: «الحياء خير كله»، وقد قال ابن شهاب الزهري: «دَعُوا السنة تمضي، لا تعرضوا لها بالرأي».

دعوا كل قولٍ عند قول محمدٍ فما آمنَ في دينه كمخاطرِ
والرجل الفاضل الحيي يتخوف على مكارمه ومحامده أن يضيع بهاؤها،
وينطفئ سناؤها، بما يجرح الشعور، ويُخرج الوجدان، فحياء مثل هذا
من أمارات الشجاعة؛ لأن الحيي الكريم يجود بإراقة دمه، ويفضّل ذلك
على إراقة ماء وجهه، فتراه يستحي من الفرار، ويتقي العار، وهذا من
أعلى الشجاعة، وقد قرنت العربُ بين المدح بالشجاعة والمدح بالحياء،
نحو قول الشاعر:

يجري الحياء الغض من قسّمااتهم في حين يجري من أكفهم الدمُ
وقول الآخر:

كريم يغض الطرف فضل حيائه ويدنو وأطراف الرماح دواني
وقول ليلي الأخيلية:

فتى هو أحياء من فتاة حيية وأشجع من ليث بخفان خادر
تعني: أشجع من أسد مقيم في غيل من الشجر، وهو الشجر العظيم الملتف.
وخفان: موضع قرب الكوفة، وهي مأسدة، والأسد الخادر: المقيم في
عرينه، وهو خدره.

ما ملخصه:

«خُلِقَ الْحَيَاءُ مِنْ أَفْضَلِ الْأَخْلَاقِ وَأَجَلُّهَا وَأَعْظَمُهَا قَدْرًا
وَأَكْثَرُهَا نَفْعًا، بَلْ هُوَ خَاصَّةُ الْإِنْسَانِيَّةِ، فَمَنْ لَا حَيَاءَ فِيهِ لَيْسَ
مَعَهُ مِنَ الْإِنْسَانِيَّةِ إِلَّا اللَّحْمُ وَالدَّمُ وَصُورَتُهُمَا الظَّاهِرَةُ،
كَمَا أَنَّهُ لَيْسَ مَعَهُ مِنَ الْخَيْرِ شَيْءٌ، وَلَوْ لَا هَذَا الْخُلُقُ لَمْ يُقَرَّ
الضَّيْفُ، وَلَمْ يُوفَ بِالْوَعْدِ، وَلَمْ تُؤَدَّ أَمَانَةٌ، وَلَمْ تُقْضَ لَأَحَدٍ
حَاجَةٌ، وَلَا تَحَرَّى الرَّجُلُ الْجَمِيلَ فَائِثَرُهُ، وَالْقَبِيحَ فَتَنَكَّبَهُ،
وَلَا سَتَرَ لَهُ عَوْرَةً، وَلَا امْتَنَعَ مِنْ فَاكِشَةٍ، وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ
لَوْ لَا الْحَيَاءُ الَّذِي فِيهِ لَمْ يُؤَدَّ شَيْئًا مِنَ الْأُمُورِ الْمُفْتَرَضَةِ عَلَيْهِ،
وَلَمْ يَرَعَ لِمَخْلُوقٍ حَقًّا، وَلَمْ يَصِلْ لَهُ رَحِمًا، وَلَا بَرٌّ لَهُ وَالِدًا؛
فَإِنَّ الْبَاعِثَ عَلَى هَذِهِ الْأَفْعَالِ إِمَّا دِينِيَّ، وَهُوَ رَجَاءُ عَاقِبَتِهَا
الْحَمِيدَةِ، وَإِمَّا دُنْيَوِيَّ عَادِيَّ، وَهُوَ حَيَاءُ فَاعِلِهَا مِنَ الْخَلْقِ؛
فَقَدْ تَبَيَّنَ أَنَّهُ لَوْ لَا الْحَيَاءُ إِمَّا مِنَ الْخَالِقِ أَوْ مِنَ الْخَلَائِقِ لَمْ
يَفْعَلْهَا صَاحِبُهَا».

ثُمَّ قَالَ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى -: إِنَّ لِلْإِنْسَانَ أَمْرَيْنِ
وَزَاكِرَيْنِ، فَلَهُ أَمْرٌ وَزَاكِرٌ مِنْ جِهَةِ الْحَيَاءِ، فَإِذَا أَطَاعَهُ أَمْتَنَعَ
مِنْ فِعْلِ كُلِّ مَا يَشْتَهِي، وَلَهُ أَمْرٌ وَزَاكِرٌ مِنْ جِهَةِ الْهَوَى
وَالشَّهْوَةِ وَالطَّبِيعَةِ، فَمَنْ لَمْ يُطِيعْ أَمْرَ الْحَيَاءِ وَزَاكِرَهُ، أَطَاعَ
أَمْرَ الْهَوَى وَالشَّهْوَةِ وَلَا بُدَّ^(١) اهـ.



ثَانِيًا: الْحَيَاءُ مِنْ خَصَائِصِ الْفِطْرَةِ الْإِنْسَانِيَةِ
الْحَيَاءُ مِنْ خَصَائِصِ الْإِنْسَانِ، وَغَرِيزَةٌ فِيهِ، وَإِنْ كَانَ
اسْتِعْمَالُهُ عَلَى وَفْقِ الشَّرْعِ يَحْتَاجُ إِلَى اكْتِسَابِ وَعِلْمِ وَنِيَّةٍ،
فَإِنَّهُ يَرُدُّ عَنْ ارْتِكَابِ كُلِّ مَا يَشْتَهِيهِ فَلَا يَكُونُ كَالْبَهِيمَةِ^(٢).



(١) يتصرف من «مفتاح دار السعادة» ط. دار عالم الفوائد (٢/ ٧٨٨ - ٧٩١).
(٢) تقدم الكلام على الحياء الغريزي، ص (١٠).

ثالثاً: الحياء إيمان

عن ابن عمر - رضي الله عنهما - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «الحياء والإيمان قُرنا جميعاً، فإذا رُفِعَ أحدهما، رُفِعَ الآخر»^(١).

قال الطيبي: «فيه رائحة التجريد»^(٢)، حيث جرد من الإيمان شعبةً منه، وجعلها قرينة له على سبيل الاستعارة، كأنهما رضيعا لبان ثدي، تقاسما على أن لا يفترقا»^(٣) اهـ. وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: «الحياء والإيمان في طَلَقٍ»^(٤)، فإذا انتزع أحدهما من العبد؛ اتبعه الآخر»^(٥).

(١) رواه الحاكم في «المستدرک» (١/ ٢٢)، وقال: «صحيح على شرطهما»، وأقره الذهبي، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٣١٩٥).
(٢) التجريد: عزل صفة أو علاقة عزلاً ذهنيّاً، وقَصُرُ الاعتبار عليها، أو: ما يترتب على ذلك.

(٣) نقله عنه في «فيض القدير» (٣/ ٤٢٦).

(٤) «الطَّلَق هاهنا: حَبْلٌ مفتول شديد الفتل، أي: هما مجتمعان لا يفترقان، كأنهما قد شُدَّتا في حبلٍ أو قيد» اهـ. من «النهاية» لابن الأثير (٣/ ١٣٤).

(٥) «شعب الإيمان» رقم (٧٧٢٥).

وعن ابن عمر -رضي الله عنهما- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- مرَّ على رجل من الأنصار وهو يعظ^(١) أخاه في الحياء^(٢)، وفي رواية: وهو يعاتب أخاه على الحياء، يقول: «إنك لتستحيي»، حتى كأنه يقول: «قد أضرَّ بك»، فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «دعه»^(٣)، فإن الحياء من الإيمان»^(٤).

(١) الوعظ: زجر يقترن بتخويف، وكان ينصح له أن لا يُكثر منه، ويذكر ما يترتب على ملازمته من المفسدة وضياع المال وخسران الربح، كما في «فضل الله الصمد» (٦١ / ٢).

(٢) (في) هنا سببية، وكان الأخ كثير الحياء، فكان ذلك يمنعه من استيفاء حقوقه.

(٣) «دعه» أي: اتركه على هذا الخلق السَّني، ثم زاده في ذلك ترغيباً لحكمه بأنه من الإيمان، وإذا كان الحياء يمنع صاحبه من استيفاء الحق جرَّ له ذلك تحصيل أجر ذلك الحق، ولا سيما إذا كان المتروك له مستحقاً، والظاهر: أن الناهي ما كان يعرف أن الحياء من مكملات الإيمان، فلهذا وقع التأكيد، وقد يكون التأكيد من جهة أن القضية في نفسها مما يهتم به، وإن لم يكن هناك منكر) اهـ. من «فضل الله الصمد» (٦١ / ٢).

(٤) رواه البخاري في «الأدب»: باب الحياء (٤٣٣ / ١٠)، ومسلم رقم (٣٦).

وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال رسول الله
-صلى الله عليه وسلم-: «الإيمان بضع وسبعون أو بضع
وستون شعبة، فأفضلها قول: لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى
عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان»^(١).

ويُروى عن سليمان -عليه السلام-: «الحياء نظام»^(٢)
الإيمان، فإذا انحَلَّ النظامُ ذهبَ ما فيه»^(٣).
وقال إياس بن قرة: كنت عند عمر بن عبد العزيز فذكر
عنده الحياء، فقالوا: الحياء من الدين، فقال عمر: «بل هو
الدين كله»^(٤).

(١) رواه البخاري في «الإيمان» باب أمور الإيمان (١ / ٥١ - فتح) رقم (٩)،
ومسلم - واللفظ له - رقم (٣٥)، وغيرهما.
(٢) النظام: الخيطُ يُنظَم فيه اللؤلؤ وغيره، ويقال: نظام الأمر: قوامه وعماده.
(٣) ذكره ابن مفلح في «الأداب الشرعية» (٢ / ٢٧٧).
(٤) «مكارم الأخلاق» لابن أبي الدنيا ص (١٩).

وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال رسول الله
-صلى الله عليه وسلم-: «الحياء من الإيمان^(١)، والإيمان في
الجنة، والبذاء^(٢) من الجفاء^(٣)، والجفاء في النار»^(٤).
فجعل -صلى الله عليه وسلم- البذاء مقابلة للحياء،
وقريب من البذاء الفحش والوقاحة، قال -صلى الله عليه
وسلم-: «ما كان الفُحْشُ في شيء إلا شَانَهُ، وما كان الحياءُ
في شيء إلا زَانَهُ»^(٥).

-
- (١) انظر: شرح معناه ص (٤٦) وما بعدها.
(٢) البذاء لغة: السفاهة، والفحش في المنطق، وإن كان الكلام صدقاً،
والفُحْشُ: ما اشتد قبحه من ذنوب ومعاص، ويجري أكثر ذلك في ألفاظ
الوقاع وما يتعلق به، فإن لأهل الفساد عباراتٍ صريحةً فاحشةً، أما أهل
الصلاح فيتحاشون ذلك، ويعبرون عنه بغير لسانهم، أو بالكناية عن كل
ما يُستحيا منه من الألفاظ.
(٣) الجفاء: الطرد، والإعراض، وترك الصلة والبر.
(٤) أخرجه الإمام أحمد (٥٠١/٢)، والترمذي (٢٠١٠)، وقال: «حسن
صحيح»، وصححه ابن حبان (١٩٢٩)، وانظر: «السلسلة الصحيحة»
رقم (٣٣٨١)، و«فيض القدير» (٤٢٨/٣).
(٥) رواه الترمذي (١٩٧٤) في «البر والصلة»، وقال: «حديث حسن
غريب»، وابن ماجه (٤١٨٥) في «الزهد»، والبخاري في «شرح السنة» رقم =

وعن أبي الدرداء - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «إن أثقل شيء يُوضَعُ في ميزان المؤمنين يوم القيامة خُلُقٌ حَسَنٌ، وإن الله يُبَغِضُ الفاحشَ البذيء»^(١).

وقال الفضيل بن عياض: «خمس من علامات الشَّقوة: القسوة في القلب، وجمودُ العين، وقلة الحياء، والرغبة في الدنيا، وطولُ الأمل»^(٢).

وعن أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - قالت: «لم يكن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فاحشًا ولا متفحشًا ولا صَخَّابًا في الأسواق، ولا يجزي بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويصفح»^(٣).

= (٣٥٩٦)، وعبد الرزاق في «المصنف» (٢٠١٤٥)، وقال محقق «شرح السنة»: «سنده صحيح».

(١) أخرجه بنحوه الترمذي رقم (٢٠٠٢) في البر والصلة، وقال: «هذا حديث حسن صحيح»، والبغوي في «شرح السنة» رقم (٣٤٩٦)، وأخرج صدره الإمام أحمد (٤٤٢/٦)، وأبو داود (٤٧٩٩)، وقال محقق «شرح السنة»: «سنده صحيح».

(٢) «مدارج السالكين» (٢٧١/٢).

(٣) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» رقم (٨٢٩٧).

وعن عبد الله بن عمرو -رضي الله عنهما- قال:
«لم يكن النبي -صلى الله عليه وسلم- فاحشًا ولا متفحشًا،
وكان يقول: «إِنَّ مِنْ خِيَارِكُمْ أَحَاسِنَكُمْ أَخْلَاقًا»^(١).

قال أبو حاتم: «فإذا لزم المرء الحياء كانت أسباب الخير
منه موجودة، كما أن الواقع إذا لزم البذاء كان وجود الخير
منه معدومًا، وتواتر الشر منه موجودًا؛ لأن الحياء هو الحائل
بين المرء وبين المزجورات كلها، فبقوة الحياء يضعف
ارتكابه إياها، وبضعف الحياء تقوى مباشرته إياها»^(٢) اهـ.

وأنشد محمد بن عبد الله البغدادي:

إذا قلَّ ماءُ الوجه قلَّ حياؤه فلا خير في وجهٍ إذا قلَّ ماؤه
حياؤه فاحفظه عليك فإنما يدل على وجه الكريم حياؤه^(٣)

(١) رواه البخاري (٥٦٦/٦) رقم (٣٥٥٩).

(٢) «روضة العقلاء ونزهة الفضلاء» ص (٥٨).

(٣) انظر: «الآداب الشرعية» (٢/٢٢٧).

وقال سليمان: «إذا أراد الله بعبدٍ هلاكاً نزع منه الحياء، فإذا نزع منه الحياء؛ لم تلقه إلا مقيتاً مُمَقَّتاً»^(١).

وقال العرجي:

إذا حُرِمَ المرءُ الحياءَ فإنه بكل قبيح كان منه جدير
له قَحَّةٌ^(٢) في كل شيء وسِرُّه مباحٌ وخِذناه^(٣) خناً^(٤) وغرورٌ

دفع إشكالين:

الأول:

قد ثبت عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه قال:
«الحياء شعبة من الإيمان»^(٥).

(١) «مكارم الأخلاق» ص (٨٩).

(٢) وَقَحَّ حافر الدابة يَقْحُ قَحَّةً: صَلَبٌ، فهو واقح، وَقُحَّ الرجلُ: قَلَّ حياؤه، واجترأ على اقتراف القبائح، ولم يعبأ بها، يقال: رجل وَقَّاحُ الوجه: قليل الحياء.

(٣) الخَذَنُ: الصديقُ، والصديقُ في السر.

(٤) الخَنَا: الفحش في الكلام.

(٥) تقدم تخريجه ص (٣٣).

قال بعضهم: كيف جعل الحياء - وهو غريزة - شعبة
من الإيمان - وهو اكتساب؟

والجواب في ذلك: أن المستحي ينقطع بالحياء عن
المعاصي، فصار كالإيمان الذي يقطع عنها، ويحول بين
المؤمن وبينها ^(١).

وقال ابن الأثير في هذا الحديث:
«... وإنما جعله بعض الإيمان؛ لأن الإيمان ينقسم إلى:
اتِّمارٍ بما أمر الله به، وانتهاءٍ عما نهى الله عنه، فإذا
حصل الانتهاء بالحياء كان بعض الإيمان» ^(٢).

وحكى الإمام النووي - رحمه الله تعالى - عن القاضي
عياض قوله: «إنما جعل الحياء من الإيمان - وإن كان
غريزة - لأنه قد يكون تخلقاً واكتساباً، كسائر أعمال البر،
وقد يكون غريزة، ولكن استعماله على قانون الشرع يحتاج

(١) «لسان العرب» (٢١٧/١٤).

(٢) «النهاية في غريب الحديث والأثر» (١/٤٧٠).

إلى اكتساب، ونية، وعلم، فهو من الإيمان بهذا، ولكونه
باعثاً على أفعال البر، ومانعاً من المعاصي»^(١) اهـ.
أما إذا سلب العبدُ الحياءَ المكتسب والغريزي، فإنه
لا يبقى له ما يحجزه عن القبائح والدنايا، فصار كأنه لا
إيمان له، فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال رسول الله
- صلى الله عليه وسلم - : «الحياءُ من الإيمان، والإيمان في
الجنة، والبذاء من الجفاء، والجفاء في النار»^(٢).

الثاني:

إذا كان الحياء من الإيمان؛ فماذا عن وجود حياء ظاهر
عند بعض الكافرين؟

والجواب بمعونة الملك الوهاب:

- أن الحياء الذي هو شعبة من شعب الإيمان هو الحياء
الشرعي التكليفي، الذي لا بد فيه من اكتساب ونية، والحياء
الذي قد يوجد عند الكافر هو الحياء الغريزي الجبلي، ولا

(١) «شرح النووي لصحيح مسلم» (٢ / ٥).

(٢) تقدم تخريجه ص (٤٣).

مانع من أن يوجد في كافرٍ تبقى لديه من رصيد الفطرة السوية قدر لم تفسده العوامل البيئية.

- والحياء الشرعي يفتقر إلى نية التقرب به إلى الله تعالى، ولا يصح ذلك من كافر لعدم صحة نيته ^(١)؛ لأنه لا يعرف ربه.

- ولو تدَيَّن الكافر باكتساب الحياء، فإن قُصارى ذلك أن يكون متقرباً إلى الله بشعبة من شعب الإيمان، ولا يلزم من ذلك أن يكون مؤمناً، ومن المعلوم أن شعبة «لا إله إلا الله» التي هي أعلى شعب الإيمان؛ شرط في صحة كل ما بعدها من الشعب ^(٢)، فمهما أتى العبد بشعب الإيمان - بدون أن يأتي بشهادة التوحيد - فإنها باطلة، لا تصح، ولا تنفعه في الآخرة، لكن قد يشاء الله ^(٣) تعالى مكافأته عليها

(١) يشترط لصحة النية أن يكون مَنْ صدرت عنه النية من الذين تصح منهم العبادة، أي مسلماً عاقلاً مميزاً.

(٢) انظر: «كتاب الصلاة وحكم تاركها» لابن القيم ص (٣١، ٣٢)، ط. المكتبة السلفية، ط. ثانية ١٣٩١ هـ.

(٣) لقوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ﴾ [الإسراء: ١٨].

في الدنيا فقط؛ لقوله - صلى الله عليه وسلم -: «إن الله لا يظلمُ مؤمناً حسنةً، يُعطى بها في الدنيا، ويُجزى بها في الآخرة، وأما الكافر فيُطعمُ بحسناتٍ ما عملَ بها لله في الدنيا، حتى إذا أفضى إلى الآخرة لم تكن له حسنةٌ يُجزى بها»^(١).

فائدة:

قال ابن قتيبة - رحمه الله تعالى -: «إن الحياء يمنع صاحبه من المعاصي كما يمنع الإيمان، فسُمي إيماناً كما يسمى الشيء باسم ما قام مقامه، وأفرده بالذكر لأنه كالداعي إلى باقي الشعب، إذ الحيئ يخاف فضيحة الدنيا والآخرة، فيأتمر وينزجر، وهو أساس التقوى، وهو من مبادئ الإيمان، ووجود المبدأ غير وجود الشيء، والأساس غير البنيان، نعم وجود المبدأ والأساس يدل أن الشيء كاد أن يوجد، فلا يغرنك كون بعض الكفرة ذا حياء، لأن الانهماك والاشتغال في الدنيا لم يرزقه الإيمان، وإن

(١) رواه مسلم (٢١٦٢/٤)، والإمام أحمد (١٢٣/٣)، وانظر: «الكلمة المقدسة» للمؤلف ص (٣١-٤٠).

وصل إلى فيه، والغفلة تمنعه أن تنبت فيه شجرة الإيمان،
وتزهو وتثمر، فالكافر الحيي كاد أن يدخل الباب، ولمَّا
يدخل، فمن استحيا من الله لا يفقده حيث أمره، ولا يجده
حيث نهاه»^(١) اهـ.



(١) نقله عنه في «فضل الله الصمد» (٢/ ٥٥).

رابعاً: الحياء أبهى زينة

فإن الوجه المصون بالحياء كالجوهر المكنون في الوعاء، ولن يتزين إنسان بزينة هي أبهى ولا أجمل من الحياء، عن أنس - رضي الله عنه - قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : «ما كان الفُحْشُ في شيءٍ إلا شانه، وما كان الحياء في شيءٍ إلا زانه»^(١).

وقوله: «شانه» أي: عابه، والشين: العيب، قال الطيبي: «فيه مبالغة، أي لو قُدِّرَ أن يكون الفحش أو الحياء في جماد لشانه أو زانه، فكيف بالإنسان؟ وأشار بهذين إلى أن الأخلاق الرذلة مفتاح كل شر، بل هي الشر كله، والأخلاق الحسنة السنية مفتاح كل خير، بل هي الخير كله»^(٢) اهـ. فمن ثم قيل: «الإيمان عُريان، ولباسه التقوى، وزينته الحياء».

وعن ابن الأعرابي: قال بعض العرب:

إني كأني أرى مَنْ لا حياءَ له ولا أمانةَ وَسَطَ القومِ عُريانا

(١) تقدم تخريجه ص (٤٣).

(٢) نقله عنه المناوي في «الفيض» (٥ / ٤٦١).

خامسًا: الحياء من صفات الله - عز وجل -

إن الله - سبحانه وتعالى - حيي ستير، يستحي من عبده - إذا دعاه - أن يردّه خائبًا صفرَ اليدين، ويستحي من أن يفضحه يوم القيامة بعد أن ستره في الدنيا، ويستحي أن يعذب الرجل أو المرأة؛ وقد شاب شعرهما في الإسلام. فعن سلمان - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «إن الله حيي كريم، يستحي إذا رفع الرجل إليه يديه أن يردهما صفرًا خائبين»^(١).

وعن يعلى بن أمية - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «إن الله تعالى حيي ستير يحب الحياء والستر، فإذا اغتسل أحدكم فليستتر»^(٢).

(١) أخرجه أبو داود (٧٨/٢)، والترمذي (٥٥٦/٥)، وانظر: «صحيح الترمذي» (١٧٩/٣)، و«صحيح ابن ماجه» (٣٣١/٢).
(٢) أخرجه أبو داود (٤٠/٤)، والنسائي (٢٠٠/١)، والبيهقي (١٩٨/١)، والإمام أحمد (٢٢٤/٤)، وصححه الألباني في «الإرواء» (٣٦٧/٧)، وصحيح النسائي (٨٧/١).

ورُوي عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - مرفوعاً: «إن الله - عز وجل - يستحي من ذي الشبهة المسلم إذا كان مسدداً لزوماً للسنة أن يسأل الله فلا يعطيه»^(١).

وكل نص يرد فيه وصفه تعالى بالحياء فهو حياء محمول على معنى يليق به - سبحانه وتعالى - ولا يشبهه حياء المخلوقين ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

قال الإمام المحقق ابن قيم الجوزية - رحمه الله تعالى - : «وأما حياء الرب تعالى من عبده فذاك نوع آخر، لا تدركه الأفهام، ولا تكيفه العقول، فإنه حياء كرم، وبر، وجود، وجلال، فإنه تبارك وتعالى حيي كريم، يستحي

(١) قال الهيثمي: (رواه الطبراني في «الأوسط»، وفيه صالح بن راشد، وثقه ابن حبان، وفيه ضعف، وبقية رجاله ثقات) اهـ. من «مجمع الزوائد» (١٠/ ١٤٩)، ورواه ابن أبي عاصم في «السنة» رقم (٢٣)، وقال الألباني: «إسناده ضعيف».

من عبده إذا رفع إليه يديه أن يردهما صِفراً، ويستحيي أن يعذب ذا شبهة شابت في الإسلام» ^(١) اهـ.

وقال المباركفوري -رحمه الله تعالى-: «قوله: (إن الله حييٌّ) فعيل من الحياء، أي: كثير الحياء، ووصفه تعالى بالحياء يُحمل على ما يليق به كسائر صفاته، نؤمن بها ولا نكيفها» ^(٢) اهـ.

فأله -عز وجل- مع كمال غناه عن الخلق كلهم -من كرمه يستحيي من هتك المعاصي، وفضيحتة، وإحلال العقوبة به، فيستره بما يقيض له من أسباب الستر، ويعفو عنه، ويغفر له، ويتحجب إليه بالنعيم، ويستحيي ممن يمد يديه إليه سائلاً متذلاً أن يردهما خاليتين خائبتين.

(١) «مدارج السالكين» (٢/ ٢٦١).

(٢) «تحفة الأحوذى» (٩/ ٥٤٤).

ومعنى «يحب الحياء» أي: من اتصف به، قال التوربشتي: «وإنما كان الله يحب الحياء والستر؛ لأنهما خصلتان تُفضيان به إلى التخلق بأخلاق الله» (١) اهـ.

وقال الإمام المحقق ابن قيم الجوزية - رحمه الله تعالى -: «... من وافق الله في صفة من صفاته قادته تلك الصفة إليه بزماتها، وأدخلته على ربه، وأدنته وقربته من رحمته، وصيرته محبوباً له؛ فإنه سبحانه رحيم يُحب الرحماء، كريم يحب الكرماء، عليم يحب العلماء، قوي يحب المؤمن القوي، وهو أحب إليه من المؤمن الضعيف، حَيُّ يُحب أهل الحياء، جميل يحب أهل الجمال، وتر يحب أهل الوتر» (٢) اهـ.

(١) نقله عنه في «فيض القدير» (٢/٢٢٨)، وحديث «تخلَّقوا بأخلاق الله»: لا يُعرف له أصل في شيء من كتب السنة، انظر: «شرح العقيدة الطحاوية» بتحقيق شعيب الأرنؤوط (١/٨٨)، وانظر: «المستدرک على معجم المناهي اللفظية» للشيخ سليمان الخراشي ص (٣٠٥ - ٣٠٨)، و«فتاوى ابن باز» (٦/٢٥١، ٢٥٢).
(٢) «الجواب الكافي» ص (٧٧).

فصل

رُوى في أثر إلهي: يقول الرب - عز وجل -: «ما أنصفني عبدي، يدعوني فأستحيي أن أَرُدَّهُ، ويعصيني، ولا يستحيي مني»^(٣).

وقال يحيى بن معاذ: «سبحان من يُذنب عبده، ويستحيي هو»، وعنه - رحمه الله تعالى - أنه قال: «من استحيا من الله مطيعًا، استحيا الله منه وهو مذنب»^(٤).

وشرحه ابن القيم فقال:

«من غلب عليه خلق الحياء من الله حتى في حال طاعته؛ فقلبه مُطَرِّقٌ بين يَدَي ربه إِطْرَاقٌ مُسْتَحْيٍ خَجَلٍ، فإذا واقع ذنبًا استحيا الله - عز وجل - من أن ينظر إليه في تلك الحالة لكرامته عليه، فيستحيي أن يرى من وليه، ومن يكرم عليه ما يشينه عنده... وفي واقع الحياة ما يشهد لذلك، فإن الرجل

(٣) «مدارج السالكين» (٢/ ٢٦٠).

(٤) «نفسه».

إذا اطلع على أخصّ الناس به، وأحبهم إليه، وأقربهم منه
من ولدٍ أو صاحب، أو ممن يحب من غيرهم وهو يخونه؛
فإنه يلحقه من ذلك الاطلاع حياء عجيب، حتى كأنه هو
الجاني، وذلك غاية الكرم»^(١).



(١) «نفسه».

سادساً: الحياء خلق يحبه الله عز وجل، ويحب أهله
تقدم في حديث يعلى بن أمية: «إن الله تعالى حيي سِتِير
يحب الحياء والستر»^(١)، وعن عبد الرحمن بن أبي بكرة قال:
قال لي أَشَجُّ بنِي عَصْر: قال لي رسول الله - صلى الله عليه
وسلم -: «إِنَّ فِيكَ لَخَلَّتَيْنِ يَحِبُّهُمَا اللَّهُ - عز وجل -»، قال:
قلت: «وما هما؟» قال: «الْحِلْمُ، وَالْحَيَاءُ»، قال: قلت:
«قَدِيمًا كَانَتَا فِيَّ أُمَ حَدِيثًا؟»، قال: «قَدِيمًا»، قال: «الحمد
لله الذي جبلني على خَلَّتَيْنِ يَحِبُّهُمَا اللَّهُ - عز وجل -»^(٢).
وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال رسول الله
- صلى الله عليه وسلم -: «إِنَّ اللَّهَ - عز وجل - إِذَا أَنْعَمَ عَلَى
عَبْدٍ نِعْمَةً يَحِبُّ أَنْ يَرَى أَثَرَ النِّعْمَةِ عَلَيْهِ، وَيَكْرَهُ الْبُؤْسَ
وَالْتِبَاؤُسَ، وَيُغْضِ السَّائِلَ الْمُلْحِفَ، وَيَحِبُّ الْحَيَّ الْعَفِيفَ
الْمَتَعَفِّفَ»^(٣).

(١) تقدم تخريجه ص (٤١).

(٢) تقدم تخريجه ص (١٢).

(٣) أخرجه البيهقي في «الشعب» (٦٢٠٢)، (٦٢٠٣)، وصححه الألباني
بشواهده، كما في «الصحيحة» رقم (١٣٢٠).

سابعًا: الحياء شريعة جميع الأنبياء عليهم السلام
فقد بين - صلى الله عليه وسلم - أن الحياء لم يزل
مُستحسنًا في شرائع الأنبياء الأولين، وأنه لم يُرفع،
ولم يُنسخ في جملة ما نسخ الله من شرائعهم، بل تداوله
الناس بينهم، وتوارثوه عنهم، وتواصوا به قرنًا بعد قرن.
فعن أبي مسعود البدرى - رضي الله عنه - أن رسول الله
- صلى الله عليه وسلم - قال: «إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسَ مِنْ كَلَامِ
النَّبِوةِ الْأُولَى: إِذَا لَمْ تَسْتَحْ، فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ» ^(١).

إن الحياء يمنع من القبيح، وإذا اشتد حياء المرء صان
عِرضه، ودفن مساويه، ونشر محاسنه، ومن سقطت صبغة
الحياء عن وجهه كما تسقط القشرة الخضراء عن العود
الغصّ؛ فقد آذنت حياته الفاضلة بالضمور، وتهيأ الحُطام
الباقى أن يكون حطبًا للنار، فيجتري على المخالفات،
ولا يبالى بالمحرمات.

(١) رواه البخاري (٤٣٤/١٠)، وعبد الرزاق في «المصنف» (٢٠/٤٩)،
والبغوي في «شرح السنة» (١٧٤/١٣).

إذا لم تَصُنْ عِرْضًا ولم تخشَ خالقًا
وتستحي مخلوقًا فما شئتَ فاصنع

وأنشد رجل من خزاعة:

إذا لم تخشَ عاقبةَ الليالي ولم تستحي فاصنع ما تشاء
فلا والله ما في العيش خير ولا الدنيا إذا ذهب الحياء
يعيش المرء ما استحيا بخير ويبقى العُودُ ما بقي اللحاء
قال الإمام المحقق ابن قيم الجوزية - رحمه الله تعالى -
وهو يعدد عقوبات الذنوب والمعاصي:

«ومن عقوباتها: ذهابُ الحياء الذي هو مادة الحياة
للقلب، وهو أصل كل خير، وذهابه ذهابُ الخيرِ أجمعه،
وفي الصحيح عنه - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: «الحياء
خير كله»، وقال: «إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى:
إذا لم تستحي فاصنع ما شئت»، إلى أن قال - رحمه الله
تعالى -:

والمقصود: أن الذنوب تُضعِف الحياء من العبد حتى
ربما انسلخ منه بالكلية، حتى إنه ربما لا يتأثر بعلم الناس

بسوء حاله، ولا باطلاً عنهم عليه، بل كثير منهم يخبر عن حاله وقييح ما يفعله، والحامل له على ذلك انسلاخه من الحياء، وإذا وصل العبد إلى هذه الحال لم يبق في صلاحه مطمع، كما قيل:

وإذا رأى إبليسُ طلعةَ وجهِهِ حَيًّا، وقال: فديتُ مَنْ لَا يُفْلِحُ
ومن لا حياءَ فيه ميت في الدنيا، شَقِيٌّ في الآخرة، وَيَبْنَ
الذُّنُوبِ وَقَلَّةِ الْحَيَاءِ وَعَدَمِ الْغَيْرَةِ تَلَازُمٌ مِنَ الطَّرَفَيْنِ، وَكُلُّ
مِنْهُمَا يَسْتَدْعِي الْآخَرَ، وَيَطْلُبُهُ حَثِيثًا، وَمَنْ اسْتَحْيَا مِنَ اللَّهِ
عِنْدَ مَعْصِيَتِهِ اسْتَحْيَا اللَّهَ مِنْ عُقُوبَتِهِ يَوْمَ يَلْقَاهُ، وَمَنْ لَمْ
يَسْتَحْيِ مِنْ مَعْصِيَتِهِ، لَمْ يَسْتَحْيِ اللَّهَ مِنْ عُقُوبَتِهِ» (١) اهـ.

وقال أيضًا - رحمه الله تعالى - : «ومنها: أنه ينسلخ من القلب استقباحُها، فتصير له عادة، فلا يستقبح من نفسه رؤية الناس له، ولا كلامهم فيه، وهذا عند أرباب الفسوق هو غاية التهتك وتمام اللذة، حتى يفتخر أحدهم بالمعصية،

(١) انظر: «الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي»، طبعة دار عالم الفوائد ص (١٦٨ - ١٧٠) بتصرف.

ويحدّث بها من لم يعلم أنه عملها، فيقول: «يا فلان عملتُ كذا وكذا»، وهذا الضربُ من الناس لا يُعافون، وتُسدُّ عليهم طريقُ التوبة، وتُغلق عنهم أبوابها في الغالب، كما قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: «كل أمتي معافى إلا المجاهرين^(١)»، وإن من الإجهار: أن يستتر الله على العبد، ثم يُصبح يفضّح نفسه، ويقول: (يا فلان، عملتُ يوم كذا وكذا: كذا وكذا)، فيهلك نفسه، وقد بات يستتره^(٢) ربُّه^(٣) اهـ.



(١) رواية الأكثر بالنصب، وفي رواية النسفي «إلا المجاهرون» بالرفع على أنه استثناء منقطع، و«إلا» بمعنى «لكن»، وعليه فالمعنى: لكن المجاهرون بالمعاصي لا يعافون، فالمجاهرون مبتدأ، والخبر محذوف، وانظر: «فتح الباري» (٤٨٦/١٠).

(٢) رواه - بنحوه - البخاري في «الأدب» (٤٦٨/١٠) رقم (٦٠٦٩)، ومسلم رقم (٢٩٩٠).

(٣) «الجواب الكافي» ص (١٤١، ١٤٢).

فصل

حول معنى حديث:

«إذا لم تستحِ، فاصنع ما شئت»

له تأويلان:

أحدهما: ظاهر، وهو المشهور: أي إذا لم تستحِ من العيب، ولم تخشِ العار مما تفعله؛ فافعل ما تحدثك به نفسك من أغراضها حسناً كان أو قبيحاً، ولفظه أمر، ومعناه توبيخ وتهديد، وفيه إشعار بأن الذي يردع الإنسان عن مواجهة السوء هو الحياء، فإذا انخلع منه كان كالمأمور بارتكاب كل ضلالة، وتعاطي كل سيئة.

قال الحلبي: «المراد به الدلالة على أن عدم الحياء يدعو إلى الاسترسال الذي لا يؤمن أن يسوء عاقبته، وإن أعظم الموانع من القبائح عند العقلاء الذم، وهو فوق عقوبة البدن، فمن طاب نفساً بالذم، ولم يخشِ فلم يردعه عن قبيح ما هو رادع؛ فلا يلبث شيئاً حتى يرى نفسه مهتوك

الستر، مثلوب العرض، ذاهب ماء الوجه، لا وزن له ولا قَدْر، قد ألحقه الناس بالبهايم، وأدخلوه في عِدادها، بل صار عندهم أسوأ حالاً منها، فنبه بهذا القول على ما في ترك الاستحياء من الضرر، لينتهي عنه، ويستشعر من الحياء ما يردع عن إتيان القبيح، فيؤمن مغيبته «^(١) اهـ.

والآخر: أن يُحمل الأمر على بابه، ويكون المعنى: إذا كنت في فعلك آمناً أن تستحيي منه لجريك فيه على سنن الصواب، وليس من الأفعال التي يُستحيا منها؛ فاصنع ما شئت ^(٢).

قال ابن القيم - رحمه الله تعالى -:

«فالمعنى - على الأول - يكون تهديداً، كقوله تعالى: ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ﴾ [فصلت: ٤٠]، - وعلى الثاني - يكون إذناً وإباحة، فإن قيل: فهل من سبيل إلى حمله على المعنيين؟ قلت: لا، ولا على قول من يحمل المشترك على جميع

(١) «شعب الإيمان» للبيهقي (٦/ ١٤٣).

(٢) «النهاية» (٥/ ٤٧١).

معانيه، لما بين الإباحة والتهديد من المنافاة، ولكن اعتبار أحد المعنيين يُوجب اعتبار الآخر»^(١).

وذهب العيني في شرح الحديث إلى أنه يتضمن معنيين:

١ - معنى الوعيد، أي: افعل ما شئت تُجاز به.

٢ - أنه على طريق المبالغة في الذم، أي: تركك الحياء

أعظم مما تفعله.

وقال - رحمه الله تعالى - : «والحديث للتنويه بشأن

الحياء والحثّ عليه»^(٢).

وقال ابنُ سيده: معنى الحديث: «أن من لم يستحِ صنعَ

ما شاء»، على جهة الذم لترك الحياء، وليس يأمره بذلك،

وإنما هو أمر بمعنى الخبر^(٣).



(١) «الجواب الكافي» ص (١٦٩).

(٢) انظر: «فضل الله الصمد» (٢/ ٥٤).

(٣) «لسان العرب» (١٤/ ٢١٨).

ثامناً: الحياء خلق الأنبياء

-عليهم وعلى نبينا الصلاة والسلام-

عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «إن موسى كان رجلاً حَيًّا سَتِيْرًا، لا يُرى شيءٌ من جلده استحياءً، فأذاه مَنْ آذاه مِنْ بني إسرائيل، فقالوا: (ما تستر هذا التستر إلا من عيب أو أُذْرَةٍ) ^(١)، وإن الله أراد أن يبرئه، فخلا يوماً وحده ليغتسل، فوضع ثوبه على حجر، ففر الحجر بثوبه، فجمع ^(٢) موسى في إثره يقول: (ثوبي يا حجر، ثوبي يا حجر)، حتى انتهى إلى ملاء ^(٣) من بني إسرائيل، فأواه عُزَيَّاناً أحسن ما خلق الله، وقالوا: (والله ما بموسى من بأس)، وأخذ ثوبه، وطفق بالحجر ضرباً، فوالله إن بالحجر لندباً ^(٤) من أثر ضربه ثلاثاً أو أربعاً أو خمساً» ^(٥).

(١) الأذرة (Hydrocele): انتفاخ الخصية، لتسرب سائل في غلافها.

(٢) جمع: أسرع.

(٣) الملاء: أشراف الناس إذا كانوا مجتمعين.

(٤) الندب: أثر الجرح إذا لم يرتفع عن الجلد، فشبه به أثر الضرب في الحجر.

(٥) رواه - بنحوه - البخاري أرقام (٢٧٨، ٣٤٠٤، ٤٧٩٩)، ومسلم رقم

فصل

حياء رسول الله

- صلى الله عليه وسلم -

قال أبو دهب الجمحي يمدح رسول الله - صلى الله عليه وسلم -:

نَزَرُ الكلام من الحياء تخالهِ سَقَمًا وليس بجسمه سَقَمٌ^(١)
ومن حياء رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ما رواه مالك
ابن صعصعة - رضي الله عنه - من تردد النبي - صلى الله عليه وسلم -
بين ربه وبين موسى، وسؤال ربه التخفيف في
الصلاة حتى جعلها خمسًا، فقال له موسى - عليه السلام -:
«ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك»، قال: «سألت ربي
حتى استحيتُ، ولكن أَرْضَى وَأُسَلِّمُ»^(٢).

(٣٣٩)، والترمذي رقم (٣٢١٩)، وانظر: «فتح الباري» (١/٣٨٥)،
و«جامع الأصول» (٢/٣٢٤).

(١) انظر: «ديوان الحماسة» لأبي تمام (٢/٥٢٤).

(٢) رواه البخاري (٧/٢٠٢) رقم (٣٨٨٧)، ومسلم رقم (١٦٤)، والترمذي
رقم (٣٣٤٣)، والنسائي (١/٢١٧، ٢١٨).

وعن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال: «كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أشدَّ حياءً من العذراء في خدرها، فإذا رأى شيئاً يكرهه، عرفناه في وجهه»^(١).

والخدر: ناحية البيت يلقي عليه ستر، فتكون فيه الجارية البكر، والعذراء - إذا كانت متربة في سترها - تكون أشدَّ حياءً لتسترها حتى عن النساء، بخلاف الداخلة الخارجة، والمراد بالحديث الحالة التي تعترئها عند دخول أحدٍ عليها فيه، لا التي تكون عليها حالة انفرادها واجتماعها بمثلها فيه. والمقصود أنه - صلى الله عليه وسلم - كان في حيائه الفطري أشد من هذه البكر، وكان في الحياء المكتسب في الذروة العليا منه، وكان إذا كره شيئاً، لا يتكلم به لحيائه - صلى الله عليه وسلم -، بل يتغير وجهه، فنفهم نحن - الصحابة - رضي الله عنهم - كراهته، فما أكرم خلقه - صلى الله عليه وسلم -!.

(١) رواه البخاري (٥٦٦/٦)، ومسلم رقم (٢٣٢٠) - واللفظ له - وغيرهما.

ويُروى عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - إِذَا بَلَغَهُ عَنِ الرَّجُلِ شَيْءٌ لَمْ يَقُلْ: لِمَ قُلْتَ كَذَا وَكَذَا؟ وَلَكِنَّهُ يَعُمُّ فَيَقُولُ: «مَا بَالُ أَقْوَامٍ...»^(١).

وعنها - رضي الله عنها - قالت: سَأَلَتِ امْرَأَةُ النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم - : كَيْفَ تَغْتَسِلُ مِنْ حِيضَتِهَا؟

قالت: فذكرت أنه علّمها كيف تغتسل، ثم تأخذ فِرْصَةً^(٢) من مَسْكٍ فَتَطَهَّرُ بِهَا، قالت: «كَيْفَ أَتَطَهَّرُ بِهَا؟»، قال: «تطهري بها، سبحان الله!»، واستتر بيده على وجهه، قالت عائشة: واجتذبتُها إِلَيَّ، وعرفتُ ما أراد النبي - صلى الله عليه وسلم - فقالت: «تتبعني بها أثر الدم»^(٣).

(١) «مكارم الأخلاق» ص (٧٠)، وإذا تأملت قوله تعالى: ﴿قَالَ وَلِذَٰلِكَ أَسْرَرْنَا إِلَيْكَ بَعْضَ أَرْوَاحِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَفَ بَعْضَهُ، وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ﴾ الآية [التحریم: ٣]، علمت تَكْرُمَهُ - صلى الله عليه وسلم - عن استيفاء الإدانة، وإعراضه عن استقصاء الذنب، فما استوفى كَرِيمٌ قط، وقال سفيان: «ما زال التغافل من فعل الكرام».

(٢) فِرْصَةٌ مُّمْسَكَةٌ: قطعة من قطن أو صوف بها طيب.

(٣) رواه البخاري رقم (٣١٤) (١/٤١٤)، ومسلم (٣٣٢)، وانظر: «شرح النووي» (٤/١٣ - ١٥).

وَعَنْ أَنَسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: «بُنِيَ عَلَى النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بِزَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ بِخُبَزٍ وَلَحْمٍ، فَأُرْسِلَتْ عَلَى الطَّعَامِ دَاعِيًا، فَيَجِيءُ قَوْمٌ فَيَأْكُلُونَ وَيَخْرُجُونَ، ثُمَّ يَجِيءُ قَوْمٌ فَيَأْكُلُونَ وَيَخْرُجُونَ، فَدَعَوْتُ حَتَّى مَا أَجِدُ أَحَدًا أَدْعُو، فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، مَا أَجِدُ أَحَدًا أَدْعُوهُ، فَقَالَ: «فَارْفَعُوا طَعَامَكُمْ»، وَبَقِيَ ثَلَاثَةُ رَهْطٍ يَتَحَدَّثُونَ فِي الْبَيْتِ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَأَنْطَلَقَ إِلَى حُجْرَةِ عَائِشَةَ، فَقَالَ: «السَّلَامُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ وَرَحْمَةُ اللَّهِ»، فَقَالَتْ: «وَعَلَيْكَ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ، كَيْفَ وَجَدْتَ أَهْلَكَ؟ بَارَكَ اللَّهُ لَكَ»، فَتَقَرَّرَى ^(١) حُجْرَ نِسَائِهِ كُلَّهِنَّ، يَقُولُ لَهُنَّ كَمَا يَقُولُ لِعَائِشَةَ، وَيَقُلْنَ لَهُ كَمَا قَالَتْ عَائِشَةُ، ثُمَّ رَجَعَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَإِذَا ثَلَاثَةٌ مِنْ رَهْطٍ فِي الْبَيْتِ يَتَحَدَّثُونَ، وَكَانَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -

(١) تقرى: تتبع الحجراتِ واحدة واحدة.

وسلم - شديد الحياء، فخرج منطلقاً نحو حُجْرَةِ عَائِشَةَ،
فَمَا أَدْرِي أَخْبَرْتُهُ أَوْ أُخْبِرَ أَنَّ الْقَوْمَ خَرَجُوا، فَرَجَعَ حَتَّى
إِذَا وَضَعَ رِجْلَهُ فِي أَسْكُفَّةٍ ^(١) الْبَابِ دَاخِلَةً وَأُخْرَى خَارِجَةً
أَرْخَى السِّتْرَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ، وَأُنْزِلَتْ آيَةُ الْحِجَابِ ^(٢).

ويُروى عن صَخْرٍ بنِ الْعَيْلَةِ بن عبد الله الْأَحْمَسِيِّ
- رضي الله عنه - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم -
غَزَا ثَقِيفًا، فَلَمَّا أَنْ سَمِعَ ذَلِكَ صَخْرٌ رَكِبَ فِي خَيْلٍ يُمِدُّ
رَسُولَ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - فَوَجَدَ نَبِيَّ اللَّهِ قَدْ
انْصَرَفَ وَلَمْ يَفْتَحْ، فَجَعَلَ صَخْرٌ يَوْمَهَا عَهْدَ اللَّهِ وَذِمَّتَهُ
أَنْ لَا يُفَارِقَ هَذَا الْقَصْرَ حَتَّى يَنْزِلُوا عَلَى حُكْمِ رَسُولِ اللَّهِ
- صلى الله عليه وسلم -، فَلَمْ يُفَارِقْهُمْ حَتَّى نَزَلُوا عَلَى حُكْمِ
رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم -، فَكَتَبَ إِلَيْهِ صَخْرٌ:
أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ ثَقِيفًا قَدْ نَزَلَتْ عَلَى حُكْمِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ،

(١) أسكفة الباب: عتبه.

(٢) رواه البخاري رقم (٤٧٩٣) - واللفظ له -، ومسلم (١٤٢٨).

وَأَنَا مُقْبِلٌ إِلَيْهِمْ وَهُمْ فِي خَيْلٍ، فَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- بِالصَّلَاةِ جَامِعَةً، فَدَعَا لِأَحْمَسَ عَشَرَ دَعَوَاتٍ: «اللَّهُمَّ بَارِكْ لِأَحْمَسَ فِي خَيْلِهَا وَرِجَالِهَا»، وَأَتَاهُ الْقَوْمُ فَتَكَلَّمَ الْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ، فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، إِنَّ صَخْرًا أَخَذَ عَمَّتِي وَدَخَلَتْ فِيمَا دَخَلَ فِيهِ الْمُسْلِمُونَ، فَدَعَاهُمْ، فَقَالَ: «يَا صَخْرُ، إِنَّ الْقَوْمَ إِذَا أَسْلَمُوا أَخْرَزُوا دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ، فَادْفَعْ إِلَى الْمُغِيرَةَ عَمَّتَهُ» فَدَفَعَهَا إِلَيْهِ، وَسَأَلَ نَبِيُّ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-: «مَا لِبَنِي سُلَيْمٍ قَدْ هَرَبُوا عَنِ الْإِسْلَامِ، وَتَرَكُوا ذَلِكَ الْمَاءَ؟» فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، أَنْزَلْنِيهِ أَنَا وَقَوْمِي، قَالَ: «نَعَمْ»، فَأَنْزَلَهُ، وَأَسْلَمَ -يَعْنِي السُّلَمِيَّينَ - فَاتُّوا صَخْرًا فَسَأَلُوهُ أَنْ يَدْفَعَ إِلَيْهِمُ الْمَاءَ، فَأَبَى، فَاتُّوا النَّبِيَّ -صلى الله عليه وسلم-، فَقَالُوا: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، أَسْلَمْنَا وَأَتَيْنَا صَخْرًا لِيَدْفَعَ إِلَيْنَا مَاءَنَا فَأَبَى عَلَيْنَا، فَاتَّاهُ، فَقَالَ: «يَا صَخْرُ، إِنَّ الْقَوْمَ إِذَا أَسْلَمُوا أَخْرَزُوا أَمْوَالَهُمْ وَدِمَاءَهُمْ،

فَادْفَعْ إِلَى الْقَوْمِ مَاءَهُمْ»، قَالَ: نَعَمْ يَا نَبِيَّ اللَّهِ، فَرَأَيْتُ وَجْهَ
رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَتَغَيَّرُ عِنْدَ ذَلِكَ حُمْرَةً؛
حَيَاءً مِنْ أَخْذِهِ الْجَارِيَةَ، وَأَخْذِهِ الْمَاءَ»^(١).



(١) رواه أبو داود (٣٠٦٧)، وذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» (٣٥١ / ٢) من طريق أبي داود، وقال: «في إسناده اختلاف»، وأشار إليه الحافظ في «التهذيب» (٣٦٢ / ٤)، وقال في «الإصابة» (١٨٠ / ٢): «أخرجه أبو داود والفريابي في مسنده، والبعوي من طريق أبي نعيم، وأحمد طرفاً منه»، وضعفه الألباني في «ضعيف أبي داود» رقم (٦٧٠).

تاسعاً: الحياءُ خلقُ الإسلام

ولأجل عظيم أثره، وشرفِ قدره، تصدَّر الحياءُ طليعةَ
الخصائص الأخلاقية لهذه الملة الحنيفية، فقد روى أنس
- رضي الله عنه - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال:
«إنَّ لكل دين خُلُقًا، وخُلُقُ الإسلام الحياء»^(١).

يعني أن الغالب على أهل كل دينٍ سجيةٌ سوى الحياء،
والغالب على أهل ديننا الحياء؛ لأنه متممٌ لمكارم الأخلاق،
وإنما بُعث المصطفى - صلى الله عليه وسلم - لإتمامها،
ولما كان الإسلام أشرف الأديان، أعطاه الله أسنى الأخلاق
وأشرفها، وهو الحياء.



(١) رواه ابن ماجه رقم (٤١٨١، ٤١٨٢)، وصححه الألباني بطريقه في
«الصحيحه» رقم (٩٤٠).

من حياء الصحابييات

- رضي الله عنهن -

تأسى الصحابة والصحابييات - رضي الله عنهم وعنهن
أجمعين - بأسوتهم الحسنة رسول الله - صلى الله عليه
وسلم -، وتأدبوا بأدبه العالي، فتخلقوا بخلق الحياء، وهاك
أمثلة من حيائهن وحيائهم:
فمن ذلك:

أن فاطمة - رضي الله عنها - أتت رسول الله
- صلى الله عليه وسلم - تسأله خادمًا، فقال: «ما جاء بك يا
بنية؟»، فقالت: «جئت أسلم عليك»، واستحيّت، حتى إذا
كانت القابلة أتته، فقالت مثل ذلك... وفي رواية:
«أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - جاءها وعليًا
وقد أخذًا مضاجعهما...» الحديث، وفيه: «فجلس عند
رأسها، فأدخلت رأسها في اللفّاع، حياءً من أبيها»^(١).

(١) رواه البخاري (١١ / ١٢١ - فتح)، واللفّاع: اللّحاف.

وعن أنس - رضي الله عنه - : «أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أتى فاطمة بعبدٍ قد وهبه لها، قال: وعلى فاطمة - رضي الله عنها - ثوب، إذا قَنَعَتْ به رأسها لم يبلغ رجلها، وإذا غطت به رجلها لم يبلغ رأسها، فلما رأى النبي - صلى الله عليه وسلم - ما تلقى قال: «إنه ليس عليكِ بأسٌ، إنما هو أبوكِ وغلَامُكَ» ^(١).

وعن أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - قالت: «كنت أدخل البيت الذي دُفِن فيه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأبي - رضي الله عنه - واضعةً ثوبي، وأقول: «إنما هو زوجي وأبي»، فلما دُفِن عمر - رضي الله عنه - والله ما دخلتهُ إلا مشدودةً عَلَيَّ ثيابي؛ حياءً من عمر - رضي الله عنه -» ^(٢).

(١) أخرجه أبو داود (٤١٠٦)، والبيهقي (٩٥ / ٧)، وصححه في «الإرواء» (٢٠٦ / ٦).

(٢) رواه بنحوه الحاكم في «المستدرک» (٧ / ٤)، وصححه على شرط الشيخين، وسكت عنه الذهبي.

وعنها - رضي الله عنها - قالت: جاءت فاطمة بنت
عتبة - رضي الله عنها - تباع رسول الله - صلى الله عليه
وسلم -، فأخذ عليها: ﴿ أَنْ لَا يُشْرَكَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرَقَ وَلَا
يَزْنِيَ ﴾ الآية [المتحنة: ١٢]، فوضعت يدها على رأسها حياءً،
فأعجبه ما رأى منها، فقالت عائشة - رضي الله عنها -:
«أَقْرِي أَيْتَهَا الْمَرْأَةُ، فوالله ما بايعنا إلا على هذا»، قالت:
«فنعلم إذن»، فبايعها بالآية ^(١).

وَعَنْ عَائِشَةَ - رضي الله عنها - قَالَتْ: «مُرَّنْ أَرْوَاجَكُنَّ
أَنْ يَسْتَطِيبُوا بِالْمَاءِ فَإِنِّي أَسْتَحْيِيهِمْ مِنْهُ، إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ
- صلى الله عليه وسلم - كَانَ يَفْعَلُهُ» ^(٢).

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١٥١/٦)، وزاد الهيثمي عزوه إلى
البزار، وقال: «ورجاله رجال الصحيح» اهـ. من «المجمع» (٣٧/٦).
(٢) انظر تخريجه ص (٩٠).

وَعَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- قَالَتْ:
تَرَوْنِي الزُّبَيْرُ وَمَا لَهُ فِي الْأَرْضِ مِنْ مَالٍ وَلَا مَمْلُوكٍ وَلَا
شَيْءٍ غَيْرِ نَاضِحٍ ^(١)، وَغَيْرِ فَرَسِهِ، فَكُنْتُ أَعْلِفُ فَرَسَهُ وَأَسْتَقِي
الْمَاءَ وَأَخْرِزُ غَرْبَهُ ^(٢) وَأَعْجِنُ، وَلَمْ أَكُنْ أَحْسِنُ أَخْبِزُ،
وَكَانَ يَخْبِزُ جَارَاتِي لِي مِنَ الْأَنْصَارِ، وَكُنَّ نِسْوَةَ صِدْقٍ،
وَكُنْتُ أَنْقُلُ النَّوَى مِنْ أَرْضِ الزُّبَيْرِ الَّتِي أَقْطَعَهُ رَسُولُ اللَّهِ
-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عَلَى رَأْسِي، وَهِيَ مِنِّي عَلَى
ثُلُثِي فَرَسَخٍ ^(٣)، فَجِئْتُ يَوْمًا وَالنَّوَى عَلَى رَأْسِي، فَلَقِيتُ
رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَمَعَهُ نَفَرٌ مِنَ الْأَنْصَارِ
فَدَعَانِي، ثُمَّ قَالَ: «إِخْ إِخْ» ^(٤) لِيَحْمِلَنِي خَلْفَهُ، فَاسْتَحْيَيْتُ
أَنْ أَسِيرَ مَعَ الرِّجَالِ، وَذَكَرْتُ الزُّبَيْرَ وَغَيْرَتَهُ، وَكَانَ أَغْيَرَ

(١) الناضح: البعير الذي يُستقى عليه.

(٢) أخرز غربه: أخط قربة الماء.

(٣) ثلثي فرسخ: حوالي ثلاثة كيلو مترات.

(٤) إخ إخ: كلمة تقال لإناخة الجمل، يقال: أناخ الجمل: أبركه.

النَّاسَ، فَعَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- أَنِّي قَدْ
اسْتَحْيَيْتُ فَمَضَى، فَجِئْتُ الزُّبَيْرَ، فَقُلْتُ: «لَقِينِي رَسُولَ اللَّهِ
-صلى الله عليه وسلم- وَعَلَى رَأْسِي النَّوَى، وَمَعَهُ نَقَرٌ مِنْ
أَصْحَابِهِ، فَأَنَاخَ لِأَرْكَبَ، فَاسْتَحْيَيْتُ مِنْهُ، وَعَرَفْتُ غَيْرَتَكَ»،
فَقَالَ: «وَاللَّهِ لَحَمْلُكَ النَّوَى كَانَ أَشَدَّ عَلَيَّ مِنْ رُكُوبِكَ
مَعَهُ»، قَالَتْ: «حَتَّى أَرْسَلَ إِلَيَّ أَبُو بَكْرٍ بَعْدَ ذَلِكَ بِخَادِمٍ
تَكْفِينِي سِيَاسَةَ الْفَرَسِ، فَكَأَنَّمَا أَعْتَقَنِي» ^(١).



(١) رواه البخاري (٩/ ٢٨١، ٢٨٢)، ومسلم رقم (٢١٨٢)، وغيرهما.

من حياء الصحابة

- رضي الله عنهم -

وهذا الصديق - رضي الله عنه - يقول وهو يخطب في المسلمين: «أيها الناس، استحيوا من الله، فوالله ما خرجتُ لحاجةٍ منذ بايعتُ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أريد الغائط إلا وأنا مُقَنَّعٌ رأسي حياءً من الله»^(١).

وهذا الفاروق عمر - رضي الله عنه - يقول: «من قلَّ حياؤه، قل ورعه، ومن قل ورعه، مات قلبه»، ويقول: «من استحيا استخفى، ومن استخفى اتقى، ومن اتقى وُقي».

ومن الصحابة الأطهار - رضي الله عنهم أجمعين - من اختصَّه الله - عز وجل - بمزية خاصة في هذا الخلق الكريم، فهذا أمير البرّة، وقتيل الفجرة، ذو النورين عثمان ابن عفان - رضي الله عنه - يقول فيه الصادق المصدوق

(١) انظر: «مكارم الأخلاق» لابن أبي الدنيا (٢٠).

-صلى الله عليه وسلم-: «ألا أستحيي من رجلٍ ؛ والله إن
الملائكة لتستحيي منه ؟» (١) .

وقال -صلى الله عليه وسلم-: «الحياء من الإيمان، وأحيا
أمتي عثمان» (٢) .

(١) أصله في مسلم رقم (٢٤٠٢)، عن عائشة -رضي الله عنها- قالت: (كان
رسول الله -صلى الله عليه وسلم- مضطجعاً في بيتي، كاشفاً عن فخذه،
أو ساقيه، فاستأذن أبو بكر، فأذن له، وهو على تلك الحال، فتحدث، ثم
استأذن عمر، فأذن له، وهو كذلك، فتحدث، ثم استأذن عثمان، فجلس
رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وسوى ثيابه -قال محمد أحد الرواة:
ولا أقول ذلك في يوم واحد- فدخل، فتحدث، فلما خرج قالت عائشة
-رضي الله عنها-: «دخل أبو بكر فلم تهتش له، ولم تباله، ثم دخل عمر فلم
تهتش له، ولم تباله، ثم دخل عثمان فجلست وسويت ثيابك» فقال: «إلا
أستحيي من رجل تستحيي منه الملائكة»، وفي رواية أنه قال -صلى الله عليه
وسلم-: «إن عثمان رجل حيي، وإنني خشيت -إن أذنت له على تلك الحال-
أن لا يبلغ إلي في حاجته» .
ومعنى تهتش له: تقابله بطلاقة وجه، و«لم تباله»: لم تكثر به، ولم
تحتفل لدخوله.

(٢) رواه ابن عساكر من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- مرفوعاً،
وصححه الألباني في «الصحيحة» رقم (١٨٢٨)، وبين أن شطره
الأول متفق عليه من حديث ابن عمر، ولآخر شاهد من حديث أنس =

وعن الحسن -رحمه الله تعالى- وذكر عثمان
-رضي الله عنه- وشدة حيائه، قال: «إن كان ليكون في
البيت، والباب عليه مغلق، فما يضع عنه الثوب ليُفيضَ
عليه الماء، يمنعه الحياء أن يقيمَ صُلبه».

وعن أبي موسى -رضي الله عنه- قال: «إني لأغتسل
في البيت المظلم فما أقيم صُلبِي حتى آخذ ثوبي حياءً من
ربي عز وجل».

وعن قتادة قال: «كان أبو موسى الأشعري -رضي الله
عنه- إذا اغتسل في بيت مظلم تجاذب، وحنى ظهره، حتى
يأخذ ثوبه، ولا ينتصب قائماً».

= -رضي الله عنه-، بلفظ: «وأصدقهم -أي أمتي- حياءً عثمان» أخرجه
الترمذي، وابن ماجه، وابن حبان، والحاكم، وقال الترمذي: «حسن
صحيح»، وقال الحاكم: «صحيح على شرط الشيخين»، ووافقه الذهبي،
وقال الألباني في «الصحيحة»: «وهو كما قال».

وعن أنس - رضي الله عنه - قال: «كان أبو موسى
- رضي الله عنه - إذا نام لبس ثُبَّانًا^(١) مخافة أن تنكشف
عورته»^(٢).

ويُروى عن عبادة بن نسي قال: رأى أبو موسى الأشعري
- رضي الله عنه - قومًا يقفون في الماء بغير أزر، فقال: «لأن
أموتَ ثم أنُشِرَ، ثم أموتَ ثم أنُشِرَ، ثم أموتَ ثم أنُشِرَ، أحبُّ
إليَّ من أن أفعل مثل هذا».

وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - أنه لم يكن يدخل
الحمامَ إلا وحده، وعليه ثوب صفيق، يقول: «إني أستحيي
الله أن يراني في الحمام متجرّدًا»^(٣).

وقال عمرو بن العاص - رضي الله عنه - بعد إسلامه: «إنه
لم يكن شخص أبغض إليَّ منه - يعني: النبي صلى الله عليه
وسلم - فلما أسلم لم يكن شخص أحبَّ إليه منه، ولا أجَلَّ

(١) الثُبَّان: سروال صغير يستر العورة المغلظة فقط.

(٢) «سير أعلام النبلاء» (٢/ ٣٩٩).

(٣) «سير أعلام النبلاء» (٣/ ٣٥٥).

في عينه منه، قال: «ولو سُئِلْتُ أن أصفه لكم لما أطق
لأنني لم أكن أملاً عينيّ منه إجلالاً له»^(١). وهذا هو حياء
الإجلال والهيبة.

وعن أبي واقد الليثي -رضي الله عنه- أن رسول الله
-صلى الله عليه وسلم- بينما هو جالس في المسجد،
والناس معه، إذ أقبل ثلاثة نفر، فأقبل اثنان إلى رسول الله
-صلى الله عليه وسلم- وذهب واحد، قال: فوقفا على
رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، فأما أحدهما فرأى
فُرْجَةً في الحَلَقَةِ فجلس فيها، وأما الآخر فجلس خلفهم،
وأما الثالث فأدبر ذاهباً، فلما فرغ رسول الله -صلى الله عليه
وسلم- قال: «ألا أخبركم عن النضر الثلاثة؟ أما أحدهم فأوى

(١) قطعة من حديث رواه مسلم رقم (١٢١) عن عمرو بن العاص -رضي الله عنه-.

إلى الله فأواه^(١)، وأما الآخر فاستحيا^(٢)، فاستحيا الله منه،
وأما الآخر فأعرض، فأعرض الله^(٣) عنه^(٤).

وعن محمد بن عباد بن جعفر أنه سمع ابن عباس
- رضي الله عنهما - يقرأ: ﴿الْأَيْتَهُمْ يَتَنُونَ صُدُورُهُمْ لِيَسْتَخَفُوا
مِنْهُ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ
عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [هود: ٥]. قال: سألتها عنها، فقال:

-
- (١) أوى إلى الله، أي: لجأ إلى الله، «فأواه» أي: جازاه بنظير فعله، بأن ضمه
إلى رحمته ورضوانه، وفيه الثناء على من زاحم في طلب الخير.
- (٢) فاستحيا، أي: ترك المزاحمة كما فعل رفيقه حياءً من النبي - صلى الله عليه
وسلم -، وممن حضر، وفي لفظ الحاكم: «ومضى الثاني قليلاً، ثم جاء
فجلس»، والمعنى أنه استحيا من الذهاب عن المجلس كما فعل رفيقه
الثالث، «فاستحيا الله منه» أي: رحمه، ولم يعاقبه.
- (٣) فأعرض الله عنه، أي: سخط عليه، وهو محمول على من ذهب معرضاً
لا لعذر، هذا إن كان مسلماً، ويحتمل أن يكون منافقاً، واطلع النبي
- صلى الله عليه وسلم - على أمره، كما يحتمل أن يكون قوله:
«فأعرض الله عنه» إخباراً أو دعاءً.
- (٤) رواه البخاري (١/ ١٥٦ - فتح)، وغيره.

أناس كانوا يستحيون أن يتخلوا ^(١) فيُفضوا إلى السماء، وأن
يجامعوا نساءهم فيُفضوا إلى السماء، فنزل ذلك فيهم ^(٢).
وفي رواية: كان الرجل يجامع امرأته فيستحيي، أو
يتخلى فيستحيي، فنزلت: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ يَنْتُونْ صُدُورَهُمْ﴾ ^(٣) الآية
[هود: ٥].

وفي رواية أبي أسامة: «كانوا لا يأتون النساء ولا الغائط
إلا وقد تغشوا بثيابهم كراهة أن يُفضوا بفروجهم إلى
السماء» ^(٤).



-
- (١) يتخلوا: يقضوا الحاجة في الخلاء، وهم عراة، كما في «الفتح» (٨/ ٣٥٠).
(٢) رواه البخاري (٨/ ٣٤٩ - فتح) رقم (٤٦٨١).
(٣) (نفس المرجع) رقم (٤٦٨٢).
(٤) «نفسه» (٨/ ٣٥٠).

من حياء الصالحين

عن ابن أبي الهذيل قال: «أدركنا أقوامًا وإنَّ أحدهم يستحي من الله في سواد الليل»، قال الثوري: يعني التكشف^(١).

وعن أبي المستضيء معاوية بن أوس قال: «رأيت هشام ابن عمار إذا مشى أطرق إلى الأرض، لا يرفع رأسه إلى السماء حياء من الله - عز وجل -»^(٢).

وقال الحسين بن محمد بن خُشرو: «جاء أبو بكر ابن ميمون فدق الباب على الحميدي، وظن أنه أذن له، فدخل فوجده مكشوف الفخذ، فبكى الحميدي، وقال: والله لقد نظرت إلى موضع لم ينظره أحد منذ عقلتُ!»^(٣).

وقال أبو جعفر محمد بن أبي حاتم: قال لي بعض أصحابي: كنت عند محمد بن سلام، فدخل عليه محمد

(١) «سير أعلام النبلاء» (٤/ ١٠٧).

(٢) «نفس المرجع» (١١/ ٤٣٠).

(٣) «نفسه» (١٩/ ١٢٢).

ابن إسماعيل البخاري حين قدم من العراق، فأخبره بمحنة الناس وما صنع ابن حنبل وغيره من الأمور، فلما خرج من عنده قال محمد بن سلام لمن حَضَرَه: «أترون البَكَرَ أَشَدَّ حَيَاءً من هذا؟»^(١).

وقال أبو العباس الأزهري: سمعت خادمة محمد ابن يحيى الذُّهلي وهو على السرير يُغَسِّلُ تقول: «خدمته ثلاثين سنة، وكنت أضع له الماء، فما رأيت ساقه قط، وأنا مِلْكٌ له»^(٢).

وقال السخاوي: «قال لي - أي: الشيخ شمس الدين المقدسي - كنت إذا انكشف ساقِي وأنا في خلوتي أبادر لستره^(٣) مع الاستغفار»^(٤).

(١) «نفسه» (١٢/٤١٨).

(٢) «نفسه» (١٢/٢٧٩).

(٣) كذا بالأصل «انكشف»، «لستره»، ولعلها «انكشفت»، «لسترها» لأن الساق مؤنثة، والعرب يؤنثون المثنى في جسم الإنسان، وقال تعالى: ﴿وَالْفَتَى السَّاقُ بِالسَّاقِ﴾.

(٤) «المختار المصون من أخبار القرون» (١/٥٤٠).

فصل

الحياء بين الرجل والمرأة

تقول الدكتورة فاطمة نصيف - وفقها الله تعالى - : «إذا كان الحياء في الرجل جميلاً، فهو في المرأة أجمل، وإذا كان الحياء في الرجل فضيلة، فهو في المرأة أفضل؛ لأنه يزيد لها زينة وبهاءً، ويجعلها محبوبة مرغوبة، فسممة الخير في المرأة الحياء، وسممة الشر فيها القحّة، فالحياء حامي الفضيلة اليقظ، وحارسها الأمين، الذي لا يسمح لكائن أن ينتهك حرمتها، أو يعتدي على ساحتها، وهو الذي يمنع الرذيلة أن تحل مكاناً تبوأته الفضيلة، بل إنه يباعد بينهما بكل ما أوتي من قوة إرادة، وصحة عزيمة»^(١) اهـ.



(١) «حقوق المرأة وواجباتها في ضوء الكتاب والسنة» (١١٦).

فصل

الحجاب حارس الحياء

إن الوجه المصون بالحياء، كالجوهر المكنون في الوعاء، ولن تتزين امرأة بزينة هي أبهى ولا أجمل من الحياء، الذي قال فيه رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «ما كان الحياء في شيء إلا زانه»^(١).

إن الحجاب والحياء توأمان لا يفترقان، وصنوان لا ينفصلان، ومن فقه الإمام البيهقي - رحمه الله تعالى - أنه عقد في كتابه «شعب الإيمان» باباً كبيراً هو «باب الحياء»، وجعل ضمن فصوله فصلاً في «حجاب النساء»^(٢)، إشارة منه إلى علاقة التلازم بين الحجاب والحياء.

إن ميل المرأة إلى ستر جسدها ميل فطري سوي يتسق مع حيائها من الكشف والابتدال، ولقد أبرز القرآن الكريم

(١) تقدم تخريجه ص (٤٣).

(٢) «شعب الإيمان» (٦/ ١٦٤ - ١٧٤).

خلق الحياء في ابتني الرجل الصالح، اللتين انحدرتا من بيت كريم، كله عفة، وطهارة، وحسن تربية، وآية ذلك ما قصّه القرآن الكريم مما يدل على صيانتهم وحيائهما. فعن عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- في تفسير قوله تعالى: ﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ﴾ [القصص: ٢٥]، قال: «ليست بسلفع^(١) من النساء خراجة ولا أجة، ولكن جاءت مستترة، قد وضعت كُمّ درعها على وجهها استحياء»^(٢).

وعن أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- قالت: «كنت أدخل البيت الذي دُفن فيه رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وأبي -رضي الله عنه- واضعة ثوبي، وأقول: (إنما هو زوجي وأبي)، فلما دُفن عُمر -رضي الله عنه-، والله ما دخلته إلا مشدودة عليّ ثيابي حياء من عمر

(١) امرأة سلفع: سليطة جريئة على الرجال.

(٢) تقدم تخريجه ص (٢٠).

-رضي الله عنه-»^(١)، فإذا كان هذا حياءها ممن هو في
بطن الأرض فكيف بالحياء ممن على ظهرها؟!
وتأمل ما رُوي عن أم جعفر بنت محمد بن جعفر: أن
فاطمة بنت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قالت:
«يا أسماء، إني قد استقبحت ما يُصنع بالنساء»^(٢)، أن
يُطرح على المرأة الثوبُ فيصفها»، فقالت أسماء: «يا بنت
رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ألا أريك شيئاً رأيته
بالحبشة؟»، فدعت بجرائد رطبة، فَحَتَّتْهَا، ثم طرَحَتْ
عليها ثوباً، فقالت فاطمة: «ما أحسن هذا وأجمله! تُعرف
به المرأة من الرجل، فإذا مِتُّ أنا فاغسليني أنتِ وعليّ،
ولا يدخل عَلَيَّ أحد»، فلما تُوفِّيتُ غسلها علي وأسماء
-رضي الله عنهما-^(٣).

(١) تقدم تخريجه ص (٧٥).

(٢) يعني: بعد موتهن عند وضعهن على النعش.

(٣) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٤٣/٢)، والبيهقي (٤/٣٤، ٣٥)، وفي
سنده جهالة، قال ابن الترمذاني: «في سنده من يحتاج إلى كشف حاله».

فتأمل كيف أن فاطمة -رضي الله عنها- بَضَعَة النبي -صلى الله عليه وسلم- استقبحت أن يصفَ الثوبُ المرأةَ وهي ميتة، فلا شك أن وصفه إياها وهي حية أقبح وأقبح، ومنافاته للحياء أشد وأصرح.

وعن فاطمة -رضي الله عنها- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- «جاءها وعليًا، وقد أخذًا مضاجعهما، فجلس عند رأسها، فأدخلت رأسها في اللفّاع حياءً من أبيها...»^(١) الحديث.

والحادثة التالية - إن صحت - تُجسّد التلازم بين الحياء والحجاب:

فعن فرج بن فضالة، عن عبد الخير بن ثابت بن قيس ابن شماس، عن أبيه عن جده قال: جاءت امرأة إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- يقال لها: أم خلّاد، وهي منتقبة، تسأل عن ابنها وهو مقتول، فقال لها بعض أصحاب النبي

(١) تقدم تخريجه ص (٧٤).

- صلى الله عليه وسلم-: «جئت تسألين عن ابنك وأنت منتقبة؟!» فقالت: «إن أُرزأ ابني فلن أُرزأ حيائي»، فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «ابنك له أجر شهيدين» قالت: «ولم ذاك يا رسول الله؟»، قال: «لأنه قتله أهل الكتاب»^(١).

ومما يُذكر في كتب التاريخ والأدب أن النابغة أحد فحول الشعر الجاهلي قد مرت به امرأة النعمان بن المنذر في مجلس، فسقط نصيفُها «أي برقعها» الذي كانت تقنعت به، فسترت وجهها بذراعها، وانحنت على الأرض ترفع النصيف بيدها الأخرى، فطلب النعمان من النابغة أن يصف هذه الحادثة في قصيدة، فأنشأ القصيدة التي مطلعها:
أَمِنْ آلِ مِيةٍ رَائِحٍ أَوْ مِغْتَدِي عَجْلَانِ ذَا زَادٍ وَغَيْرِ مَزُودٍ
إلى أن قال:

(١) رواه أبو داود (٦٠٥ / ٣) رقم (٢٤٨٨)، وفي إسناده عبد الخبير بن ثابت: منكر الحديث، والرُّزء: المصيبة.

سَقَطَ النَّصِيفُ وَلَمْ تُرَدْ إِسْقَاطُهُ

فَتَنَّاوَلْتُهُ وَاتَّقَتْنَا بِالْيَدِ

إن التجرد من خلق الحياء مدرجة الهلاك، والسقوط من دَرْكِ إِلَى دَرْكِ إِلَى أَنْ يَصْبَحَ الْإِنْسَانُ صَفِيقَ الْوَجْهِ، وَيُنْزَعَ مِنْهُ خَلْقُ الْإِسْلَامِ، فَيَجْتَرِئُ عَلَى الْمَخَالَفَاتِ، وَلَا يَبَالِي بِالْمَحْرَمَاتِ، وَهَنَّاكَ تَلَاظِمٌ بَيْنَ سِتْرٍ مَا أَوْجَبَ اللَّهُ سِتْرَهُ، وَبَيْنَ التَّقْوَى، كِلَاهُمَا لِبَاسٌ، هَذَا يَسْتَرُ عَوْرَاتِ الْقَلْبِ وَيُزِينُهُ، وَذَلِكَ يَسْتَرُ عَوْرَاتِ الْجِسْمِ وَيُزِينُهُ، وَهُمَا مَتَلَاظِمَانِ: فَمَنْ شَعُورُ التَّقْوَى لِلَّهِ وَالْحَيَاءِ مِنْهُ يَنْبُثُ الشُّعُورَ بِاسْتِقْبَاحِ التَّكْشِفِ وَالْحَيَاءِ مِنْهُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿يَبْنِيءَ آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُؤْزِرِي سَوَاءَ تَكُمُ وَرِيشًا وَلِبَاسُ النُّفُوسِ ذَلِكَ خَيْرٌ﴾^(١) الآية [الأعراف: ٢٦].

قَالَ وَهْبُ بْنُ مُبَيَّهٍ: «الْإِيمَانُ عُرْيَانٌ، وَلِبَاسُهُ التَّقْوَى، وَزِينَتُهُ الْحَيَاءُ، وَمَالُهُ الْعِفَّةُ»^(١).

(١) «مكارم الأخلاق» لابن أبي الدنيا ص (٢١).

إن مسارعة آدم وحواء إلى ستر عوراتهما بأوراق الشجر دليل على أن الحياء عنصر أصيل مركوز في فطرة الإنسان، فعليه أن يهتم به، ويحافظ عليه، ويصونه من أن يُثلم، ففي صيانتِه وسلامته صيانةٌ وسلامةٌ للفطرة من أن تُمسح أو تُحرف، لأن في انحرافها مسخاً وتشويهاً لآدميته.

وقد أكثر الأدباء والشعراء من الحث على الحجاب الشرعي باعتباره من لوازم الحياء والعفة، وهاك شيئاً من أشعارهم في هذا المعنى:

فمن ذلك قول الكاتبة ملك حفني ناصف:

إن الفتاة حديقة وحياءها كالماء موقوفاً عليه بقاؤها
بفروعها تجري الحياة فتكتسي حُللاً يروق الناظرات رَواؤها
إيمانها بالله أحسن حلية فيها فإما ضاع ضاع بهاؤها
لا خير في حُسن الفتاة وعلمها إن كان في غير الصلاح رضاؤها
فجمالها وقف عليها إنما للناس منها دينها ووفاءها^(١)

(١) «آثار باحثة البادية مَلَك حفني ناصف» ص (٣٠٩).

وقالت عائشة التيمورية:

بيد العفاف أصون عزَّ حجابي وبِعصمتي أعلو على أترابي
وبفكرة وقَّادة وقريحة نقادة قد كملت آدابي
ما ضرَّني أدبي وحُسنُ تعلمي إلا بكوني زهرة الألبابِ
ما عاقني خجلي عن العليا ولا سدُّ الخمار بلمتي ونقابي^(١)

وقال الشاعر:

ليس الحُلِّيُّ التي بالمال نملكُها
أغلى الحُلِّيِّ حِلَى الأخلاق والأدبِ
ويا لُفْجِ فتاةٍ لا حياءَ لها
وإن تحلَّتْ بغالي الماسِ والذهبِ
ما أجمل العين تُغضي وهي فاتنة
لله غَضَّتْ بلا كبت ولا زَهَبِ
ما أجمل الوجه إذ يحمر من خجلٍ
وإن دعا الحقُّ لم يخجل ولم يهَبِ
تذكري الوردة البيضاء يانعة
يفوح منها الشذى يُشْتَمُّ عن كَثَبِ

(١) «الدر المنثور في طبقات ربات الخدور» ص (٣٠٩).

حتى إذا ابتذلت ماتت نضارتها
وألقيت كالقذى ما فيه من رغب

آخر:

ليس للبت في السعادة حظ إن تناءى الحياء عنها وولى
فاجعلي شيمة الحياء خمارة فهو بالغادة الكريمة أولى

آخر:

صوني حياءك صوني العِرض لا تهني
وصابري واصبري لله واحتسبي
إن الحياء من الإيمان فاتخذي
منه حلياً يا أختاه واحتجبي

آخر:

لا وازع يزع الفتاة كمثل ما تزع الفتاة صيانةً وحياءً
وإذا الحياء تهتكت أستاره فعلى العفاف من الفتاة عفاء^(١)

(١) «أستاذ المرأة» ص (٢٥، ٢٦).

وقال الشاعر الأزدي:

نصّ الكتاب على الحجاب ولم يُبح

للمسلمين تبرج العذراء

ماذا يريبك من حجابٍ ساترٍ

جيدَ المهابة ^(١) وطلعة الذلفاء ^(٢)

ماذا يريبك من إزارٍ مانعٍ

وزر الفضّاد وضلة الأهواء

ما في الحجاب سوى الحياء فهل من

التهذيب أن يهتكن ستر حياء

أسفينة الوطن العزيز تبصري

بالقعر لا يغرك سطح الماء ^(٣)



(١) الجيد: العنق أو مُقدّمه، المهابة: الشمس، والبقرة الوحشية.

(٢) الذلف: صغر الأنف.

(٣) «الأدب العربي» (٥٦/٢).

فصل

أقسام الحياء باعتبار مَنْ يُستَحيا منه

أولاً : الاستحياء من النفس

الذين يستحيي منهم الإنسان: الله - عز وجل -، ثم الملائكة، والناس، ونفسه، فمن استحيا من الناس، ولم يستحي من نفسه؛ فنفسه أَحْسُّ عنده من غيره؛ لأنه يراها أحقر من أن يستحيي منها، ومن استحيا منها، ولم يستحيي من الله؛ فلعدم معرفته بالله - عز وجل -، فَمِنْ ثَمَّ قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - للرجل الذي استوصاه: «أوصيك أن تستحييَ من الله كما تستحيي من الرجل الصالح من قومك»^(١).

(١) رواه من حديث سعيد بن يزيد - رضي الله عنه - الإمام أحمد في «الزهد» ص (٤٦)، والخرائطي في «مكارم الأخلاق» ص (٥٠)، وغيرهما، وقال الألباني: «إسناده جيد، رجاله كلهم ثقات»، على خلاف في صحة سعيد ابن يزيد، وهو ابن الأزور، وقد أثبت لها أبو الخير هذا - يعني مرثداً الراوي عن سعيد - وهو أدري بها من غيره» اهـ. من «الصحيحة» رقم (٧٤١).

فحق الإنسان إذا همَّ بقبیح أن يتصور أحدًا من نفسه كأنه يراه، فالإنسان يستحيي ممن يكبر في نفسه، ولذلك لا يستحيي من الحيوان^(١)، ولا من الأطفال، ولا من الذين لا يميزون، ويستحيي من العالم أكثر مما يستحيي من الجاهل، ومن الجماعة أكثر مما يستحيي من الواحد، وينبغي على الإنسان إذا كبرت عنده نفسه، أن يكون استحياءه منها أكثر من استحيائه من غيرها، ومن ثمَّ قال بعض السلف: «من عمل في السِّرِّ عملاً يَسْتَحْيِي منه في العلانية؛ فليس لنفسه عنده قدرٌ».

(١) ومن الطرائف في هذا المعنى ما رواه الخطيب في «الجامع» عن علان الوراق، قال: رأيتُ العتّابي يأكل خبزًا على الطريق بباب الشام، فقلت له: «ويحك! أما تستحيي؟!»، فقال لي: «أرأيت لو كُنَّا في دارٍ فيها بقرٌ، أكنت تحتشم أن تأكلَ، وهي تراك؟» فقلت: «لا»، قال: «فاصبر حتى أعلمَكَ أنهم بقرٌ»، ثم قام، فوعظ، وقصَّ، ودعا، حتى كثر الزحام عليه، ثم قال لهم: رُويَ لنا من غير وجهٍ: «أنَّ مَنْ بلغَ لسانُهُ أرنبةً أَنفِهَ لم يدخل النارَ»، قال: فما بقي منهم أحدٌ إلا أخرج لسانه، يَوْمئِذٍ به نحو أرنبته، ويَقْدُرُه: هل يبلغها؟ فلما تفرقوا قال لي العتّابي: «ألم أخبرك أنهم بقرٌ؟» اهـ.

(٢/١٦٧، ١٦٨).

وسُئل بعضهم عن المروءة، فقال: «هي أن لا تفعل في السر أمراً، وأنت تستحيي أن تفعله جهراً».

إن حياء المرء من نفسه هو حياء النفوس الشريفة العزيزة الرفيعة من رضاها لنفسها بالنقص وقناعتها بالدون، فيجد نفسه مستحيياً من نفسه، حتى كأن له نفسين: يستحيي بإحدهما من الأخرى، وهذا من أكمل ما يكون من الحياء، فإن العبد إذا استحيا من نفسه فهو بأن يستحيي من غيره أجدر.

وقال الحسين بن مطير:

ونفسك أكرم عن أمور كثيرة فمالك نفس بعدها تستعيرها
ولا تقرب المرعى الحرام فإنما حلاوته تضي ويبقى مريها



ثانيًا: الاستحياء من الملائكة

الحياء من أخلاق الملائكة، كما يُبين عنه حديث أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - مرفوعًا: «ألا أستحيي من رجل؟ والله إن الملائكة لتستحيي منه؟»^(١)، وعنهما - رضي الله عنهما - أن جبريل - عليه السلام - امتنع من دخول بيت النبي - صلى الله عليه وسلم - استحياء منها، فناداه بصوت خَفِيٍّ، وأجابه النبي - صلى الله عليه وسلم - بصوت خفي، ثم قال - صلى الله عليه وسلم -: «ولم يكن ليدخل عليك، وقد وضعت ثيابك، وظننت أن قد رقدت، فكرهت أن أوقظك...»^(٢) الحديث.

قال الإمام المحقق ابن قيم الجوزية - رحمه الله تعالى -: «قال بعض الصحابة - رضي الله عنهم -: (إن معكم من لا يفارقكم، فاستحيوا منهم، وأكرمواهم)، ولا ألام ممن لا يستحيي من الكريم العظيم القدر، ولا

(١) تقدم تخريجه (٧٨).

(٢) أصل الحديث أخرجه مسلم (٣/ ١٤)، والنسائي (١/ ٢٨٦)، والإمام أحمد (٦/ ٢٢١).

يُجِلُّهُ، ولا يوقره، وقد نبه سبحانه على هذا المعنى بقوله:

﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ۝۱۰ كِرَامًا كَاتِبِينَ ۝۱۱ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾

[الأنفطار: ١٠ - ١٢]، أي: استحيوا من هؤلاء الحافظين الكرام، وأكرمواهم، وأجلُّوهم أن يروا منكم ما تستحيون أن يراكم عليه من هو مثلكم، والملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم، فإذا كان ابن آدم يتأذى ممن يفجر ويعصي بين يديه، وإن كان قد يعمل مثل عمله، فما الظن بأذى الملائكة الكرام الكاتبين؟ والله المستعان»^(١) اهـ.

وعن عمرو بن مرة، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى في قوله تعالى: ﴿وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ [ق: ٢١]، قال: «ما على أحدكم إذا خلا أن يقول: (اكتب، رحمك الله)، فيُملي خيراً؟».



(١) «الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي» ص (١٢٧، ١٢٨).

ثالثاً: الاستحياء من الناس

الحياء من الناس خلق حسن جميل، يمنع من المعاييب، ويُشيع الخير والعفاف، ويُعوّد النفس ركوب الخصال المحمودّة. قال ابن حبان: «الواجب على العاقل أن يعوّد نفسه لزوم الحياء من الناس، فإن من أعظم بركته تعويد النفس ركوب الخصال المحمودّة، ومجانبتها الخلال المذمومة»^(١).

وقد نصّب النبي -صلى الله عليه وسلم- هذا الحياء حكماً على أفعال المرء، وجعله ضابطاً وميزاناً، فعن النّوّاس بن سَمعان -رضي الله عنه- أنه سأل رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عن البر والإثم؟ فقال -صلى الله عليه وسلم-: «البرُّ: حسن الخُلُق، والإثم: ما حاك^(٢) في صدرك، وكَرِهْتَ أن يَطَّلَعَ عليه الناس»^(٣).

(١) «روضة العقلاء» ص (٥٨).

(٢) أي: تحرك فيه وتردد، ولم ينشرح له الصدر، وحصل في القلب منه الشك، وخوف كونه ذنباً.

(٣) أخرجه مسلم رقم (٢٥٥٣) في البر والصلة، والترمذي رقم (٢٣٩٠) في «الزهد»، والإمام أحمد (١٨٢/٤).

وعن أسامة بن شريك -رضي الله عنه- قال رسول الله
-صلى الله عليه وسلم-: «ما كَرِهْتَ أن يراه الناسُ فلا تفعله
إذا خَلَوْتَ»^(١).

وعن حذيفة بن اليمان -رضي الله عنهما- قال:
«لا خير فيمن لا يستحيي من الناس».
وعن ابن مسعود -رضي الله عنه- قال: «من لا يستحيي
من الناس؛ لا يستحيي من الله».

وقال بعضهم: «أخي حياءك بمجالسة من يُستَحْيَا منه».
وقال مجاهد: «لو أن المسلم لم يُصَبَّ من أخيه إلا أن
حياءه منه يمنعه من المعاصي؛ لكفاه».

وقد تقدم أن رجلاً قال للنبي -صلى الله عليه وسلم-:
أوصني، فقال: «أوصيك أن تستحيي من الله تعالى كما
تستحيي من الرجل الصالح من قومك»^(٢)، فلا أحد من الفسقة

(١) رواه ابن حبان في «روضة العقلاء» ص (٢٦)، والضياء في «المختارة»
(٤٤٩/١)، وغيرهما، وحسنه الألباني في «الصحيحة» رقم (١٠٥٥).
(٢) تقدم تخريجه ص (٩٦).

إلا وهو يستحي من عمل القبيح عن أعين أهل الصلاح وذوي الهيئات والفضل أن يروه وهو فاعله، والله مطلع على جميع أفعال خلقه، فالعبد إذا استحيا من ربه استحياءه من رجل صالح من قومه؛ تجنب جميع المعاصي، فيا لها من وصية ما أبلغها، وموعظة ما أجمعها!

وقال بعض السلف لابنه:

«إذا دعتك نفسك إلى ذنب فارم ببصرك إلى السماء، واستحي ممن فيها، فإن لم تفعل؛ فارم ببصرك إلى الأرض، واستحي ممن فيها، فإن كنت لا ممن في السماء تخاف، ولا ممن في الأرض تستحي، فاعدد نفسك في عداد البهائم».

وعن ابن سيرين قال: خرج زيد بن ثابت يريد الجمعة، فاستقبل الناس راجعين، فدخل داراً، فقبل له، فقال: «إنه من لا يستحي من الناس، لا يستحي من الله»^(١).

(١) «سير أعلام النبلاء» (٢/٤٣٩)، وانظر: «أدب الدنيا والدين» ص (٢٤٩).

وكان الشيخ محمد بن أحمد الغمري شديد الحياء، لا ينام بحضرة أحدٍ أبداً، ويقول: «أخاف أن يخرج مني ريح، وأنا نائم»^(١).

وعن جعفر الصائغ قال: كان في جيران أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل رجلٌ ممَّن يمارس المعاصي والقاذورات، فجاء يوماً إلى مجلس أحمد يسلم عليه، فكأن أحمد لم يردَّ عليه ردًّا تامًّا، وانقبض منه، فقال له: يا أبا عبد الله، لِمَ تنقبض مني؟! فإني قد انتقلتُ عما كنت تعهدني برؤيا رأيْتُها، قال: وأيَّ شيءٍ رأيْتَ؟ قال: رأيْتُ النبي -صلى الله عليه وسلم- في النوم كأنَّه على علوٍّ من الأرض وناسٌ كثيرٌ أسفلَ جلوسٍ، قال: فيقوم رجلٌ منهم إليه، فيقول: «ادعُ لي»، فيدعو له، حتى لم يبق من القوم غيري، قال: فأردتُ أن أقوم، فاستحييتُ من قبيح ما كنتُ عليه، قال لي: «يا فلان، لِمَ لا تقومُ إليَّ فتسألني أن أدعو

(١) «المختار المصون من أعلام القرون» (٢/ ٧٥٨).

لك؟» قال: قلتُ: يا رسول الله، يقطعني الحياءُ لقبيح ما أنا عليه، فقال: «إن كان يقطعك الحياءُ؛ فقم فسلني أدعُ لك؛ فإنك لا تسب أحداً من أصحابي»، قال: «فقمْتُ، فدعا لي، فانتبهتُ وقد بَغَضَ اللهُ إِلَيَّ ما كنتُ عليه»، قال: فقال لنا أبو عبد الله: «يا جعفر، يا فلان، حدِّثوا بهذا، واحفظوه؛ فإنه ينفع»^(١).



(١) «كتاب التوابين» ص (٢٦٤، ٢٦٥).

فصل

مسائل من « فقه الحياء »

الأولى: هل يؤجر مَنْ فعل المعروف حياءً ؟

سُئِلَ الحسن عن الرجل يسأله آخرُ حاجةً، وهو يبغيه، فيعطيه حياءً: «هل له فيه أجر؟»، فقال: «إن ذلك لمن المعروف، وإن في المعروف لأجرًا».

وسُئِلَ ابن سيرين: عن الرجل يتبع الجنابة لا يتبعها حِسْبَةً، يتبعها حياءً من أهلها؛ أله في ذلك أجر؟ فقال: «أجرٌ واحد؟! بل أجران: أجر الصلاة على أخيه، وأجرٌ لصلته الحَيِّ».

وقد يُقال: إن هذه الأعمال خير ومعروف في ذاتها؛ وإن لم ينو بها القُرْبَة، لما يحصل بها من النفع المتعدي، ولقوله تعالى: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾.

وأما الثواب عليها من الله فمختص بمن فعلها ابتغاء
مرضاة الله تعالى؛ لقوله -عز وجل- بعدها مباشرة: ﴿وَمَنْ
يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾
[النساء: ١١٤]، ولقوله -صلى الله عليه وسلم-: «إنما الأعمال
بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى...» الحديث، متفق عليه.



الثانية: أخذ المال بالحياء كأخذه بالسيف

لا يُفهم من الحُض على الحياء - وإن أضرَّ بحق المستحيي - أن من استغل هذا الحياء عارٍ عن الإثم والحيِّف، فقد قال العلماء - رحمهم الله تعالى -: «أخذ المال بالحياء كأخذه بالسيف» مستنبطين ذلك من قوله - صلى الله عليه وسلم -: «لا يحل مال امرئٍ مسلم إلا بطيب نفسٍ منه»^(١)، وعن أبي حميد - رضي الله عنه - قال: «لا يحل للرجل أن يأخذ عصا أخيه بغير طيب نفسه، وذلك لشدة ما حرَّم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من مال المسلم على المسلم»^(٢).

وقال الإمام ابن مفلح الحنبلي - رحمه الله تعالى -:
«فصل في سؤال الأخ والوالد والولد، والأخذ ممن أعطى حياءً».

(١) رواه جماعة من الصحابة - رضي الله عنهم - وصححه الألباني في «الإرواء» (٥/٢٧٩).

(٢) انظر: «الإرواء» (٥/٢٧٩).

قال حَرْبٌ لأحمد: الرجل يكون له الأخ من أبيه وأمه، ويرى عنده الشيء يعجبه، الدابة ونحو ذلك، فيقول: «هَبْ هذا لي»، وقد كان ذلك يجري بينهما، ولعل المسئول يحب أن يسأله أخوه ذلك؟ قال: «أكره المسألة كلها»، ولم يرخص فيه إلا أنه بين الأب والولد أيسر، وذلك أن فاطمة قد أتت النبي - صلى الله عليه وسلم -، وسألته، ونقل عنه يعقوب وإبراهيم بن هانئ والفضل نحو ذلك.

ومن المسألة المحرمة - وهي واقعة كثيرًا - سؤال ربِّ الدَّيْنِ وَضَعَ شيء من دينه، نصَّ عليه، قال في رواية بكر ابن محمد عن أبيه: لا تعجبني هذه المسألة، قال - صلى الله عليه وسلم -: «لا تحل المسألة إلا لثلاثة»^(١)، قال ابن الجوزي: «وإن أخذ ممن يعلم أنه إنما أعطاه حياءً؛ لم يجز له الأخذ، ويجب رده إلى صاحبه»، ولم أجد أحدًا صرح بهذا غيره،

(١) انظر: أصل الحديث في «صحيح ابن خزيمة» (٤/ ٦٥) رقم (٢٣٦٠).

وهو قول حسن؛ لأن المقاصد عندنا في العقود معتبرة، وعموم كلام غيره يخالفه، والله أعلم»^(١) اهـ.

وجاء في «الموسوعة الفقهية»:

«صرح الشافعية والحنابلة أنه: إذا أخذ مال غيره بالحياء، كأن يسأل غيره مالاً في ملأ؛ فدفعه إليه بباعث الحياء فقط، أو أهدي إليه حياءً هدية يعلم المهدى له أن المهدى أهدي إليه حياءً؛ لم يملكه، ولا يحل له التصرف فيه، وإن لم يحصل طلبٌ من الآخذ، فالمدار مجرد العلم بأن صاحب المال دفعه إليه حياءً، لا مروءة، ولا لرغبة في خير.

ومن هذا: لو جلس عند قوم يأكلون طعاماً، وسألوه أن يأكل معهم، وعلم أن ذلك لمجرد حيائهم؛ لا يجوز له أكله من طعامهم، كما يحرم على الضيف أن يقيم في بيت

(١) «الآداب الشرعية والمنح المرعية» (٣/ ٢٨٦).

مُضيفه مدة تزيد على مدة الضيافة الشرعية وهي ثلاثة أيام،
فيطعمه حياءً^(١).

فللمأخوذ حياءً حكم المغصوب، وعلى الآخذ رده، أو
التعويض عنه، ويجب أن يكون التعويض بقيمة ما أخذ أو
أكل من زادهم^(٢) اهـ.



(١) انظر: «الموسوعة الفقهية» (٣١٦/٢٨ - ٣١٨)، و«غذاء الألباب»
(١٣٥/٢).

(٢) «الموسوعة الفقهية» (٢٦٣/١٨)، وانظر: «نهاية المحتاج» (١٤٦/٥)،
و«حاشية الجمل» (٤٦٩/٣)، و«مطالب أولي النهى» (٣٨٠/٤، ٣٨١).

الثالثة: يجري في الحياء الأحكام التكليفية

فإن كان المستحي منه محرماً؛ فالحياء منه واجب،
وإن كان المستحي منه مكروهاً؛ فهو مندوب، وإن كان
المستحي منه واجباً؛ فالحياء منه حرام، وإن كان من مباح؛
فهو عرفي أو جائز^(١).

تنبيه: سُئل بعضهم: هل كون الحياء من الإيمان مقيد
أو مطلق؟ فقال: مقيد بترك الحياء في المذموم شرعاً، وإلا
فعدمه مطلوب في النصح والأمر والنهي الشرعي، فتركه
في هذه الأشياء من النعوت الإلهية، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا
يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا﴾ [البقرة: ٢٦]، وقال -عز وجل-: ﴿وَاللَّهُ
لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ﴾ [الأحزاب: ٥٣].

(١) انظر: «عمدة القاري» (١/ ١٥٢)، «فتح الباري» (١/ ٧٤)، «الموسوعة
الفقهية» (١٨/ ٢٦٢).

وأنشدوا في مدح ترك الحياء في المشروع:
ترك الحياء تحقق وتخلق
جاءت به الآيات في القرآن
فإذا فهمت الأمر يا هذا فكن
مثل اللسان ^(١) بقبة الميزان ^(٢)



(١) لسان الميزان: عودٌ من المعدن يُثبت عمودياً على أوسط العاتق، وتتحرك معه، ويُستدل منه على توازن الكفتين، والمقصود وضع كلٍّ من الحياء المأمور به، والحياء المأمور بتركه في موضعه.
(٢) انظر: «فيض القدير» (٣/ ٤٢٧، ٤٢٨).

ليس من الحياء

اعلم أن الحياء المحمود الذي هو خُلُق الإسلام، وقرين الإيمان، هو الحياء الذي يبعث على ترك القبيح، ويمنع من التقصير في حق ذي الحق، ويُعرف هذا الحياء بثمرته، فإذا أتى بخير فهو المحمود، ولذلك لما وصف رجل الحياء عند الأحنف؛ قال: «إن الحياء ليتم لمقدار من المقادير، فما زاد عن ذلك فَسَمَّه بما أحببت».

فالذي يهمل بفاحشة فيمنعه حياؤه من اجتراحها، أو يعتدي عليه سفيه فيمنعه حياؤه من مقابلة السيئة بالسيئة، أو يسأله سائل فيمنعه حياؤه من حرمانه، أو يضمه مجلس فيمسك الحياء بلسانه عن الكلام، والخوض فيما لا يعنيه، فالذي يكون للحياء في نفسه هذه الآثار الحسنة، فهو ذو خلق محمود، فقد ورد أن النبي -صلى الله عليه وسلم- مرَّ على رجل يعظ أخاه في الحياء، فقال له -صلى الله عليه وسلم-:

«دعه، فإن الحياء من الإيمان»^(١)، وقال -صلى الله عليه وسلم-: «الحياء لا يأتي إلا بخير»^(٢).

أما إذا أتى الحياء بشر؛ فهذا ليس بالحياء الشرعي المأمور به، وإنما هو عجز وخَوَر، وضعف ومهانة، وهو من خداع الشيطان وتليسه، كالحياء الذي يترتب عليه كتمان حق، أو انتهاك حرمة، وتسمية مثل هذا حياءً من إطلاق بعض أهل العرف، أطلقوه مجازاً لمشابهة الصورية للحياء الشرعي^(٣).

قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١]، وقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «خير الهدي هدي محمد -صلى الله عليه وسلم-»^(٤).

(١) تقدم تخريجه ص (٤١).

(٢) تقدم تخريجه ص (٣٤).

(٣) انظر: «عمدة القاري» (١/ ١٥٢).

(٤) جزء من خطبة الحاجة، رواه مسلم رقم (٨٦٧)، كتاب الجمعة.

وقال سفيان بن عيينة - رحمه الله -: «إن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - هو الميزان الأكبر، وعليه تُعرضُ الأشياء، على خُلُقِه، وسيرته، وهديه، فما وافقها فهو الحق، وما خالفها فهو الباطل».

وقد كان - صلى الله عليه وسلم - أشدَّ حياءً من العذراء في خِدرِها، قال القرطبي - رحمه الله تعالى -: «وقد كان المصطفى - صلى الله عليه وسلم - يأخذ نفسه بالحياء، ويأمر به، ويحث عليه، ومع ذلك فلا يمنعُه الحياء من حق يقوله، أو أمر ديني يفعلُه تمسكًا بقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ﴾ الآية [الأحزاب: ٥٣]، وهذا هو نهاية الحياء، وكماله، وحُسْنُهُ، واعتداله، فإن من فرطَ عليه الحياء حتى منعه من الحق؛ فقد ترك الحياء من الخالق، واستحيا من الخلق، ومن كان هكذا حُرِمَ منافع الحياء، واتصف بالنفاق

والرياء، والحياء من الله هو الأصل والأساس، فإن الله أحق أن يُستحيا منه، فليُحفظ هذا الأصل، فإنه نافع» ^(١).
إن الإسلام - بوصفه دينَ الله الحق - دينٌ حياتي واقعي شامل، ينظم كل شئون الحياة على كافة مستوياتها، فما من فعل أو تركٍ إلا ولله - عز وجل - فيه حكم، ومن ثمَّ يصبح المسلم - لا محالة - في حاجة ماسة إلى التعرف على حكم الله - سبحانه - في هذه الأمور، وهذا الذي فعله وبيَّنه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو القائل: «إنه لم يكن نبي قبلي إلا كان حقاً عليه أن يدل أُمَّته على خير ما يعلمه لهم، وينذرهم شرَّ ما يعلمه لهم» ^(٢) الحديث.

(١) نقله عنه المناوي - رحمه الله تعالى - في «فيض القدير» (١/ ٤٨٧).
(٢) أخرجه مسلم (١٨٤٤) - واللفظ له - والنسائي (١٨٥/ ٢)، وابن ماجه (٣٩٥٦)، والإمام أحمد (١٩١/ ٢) من حديث عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما -.

ورُوي عن أبي ذر -رضي الله عنه- أنه قال: «لقد تَرَكَنا رسولَ الله -صلى الله عليه وسلم- وما يتقلب في السماء طائر إلا ذكَّرنا منه علمًا»^(١).

وقد لاحظ بعض الناس ذلك؛ حتى قيل لسلمان -رضي الله عنه-: «لقد علَّمكم نبيكم كل شيء حتى الخِراءة!» قال: «أجل، لقد نهانا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أن نستقبل القبلة بغائط أو بول، وأن لا نستنجي باليمين، وأن لا يستنجي أحدنا بأقل من ثلاثة أحجار، أو يستنجي برجيع أو عظم»^(٢).

من أجل ذلك أسقط الإسلام اعتبار الحياء في بعض المواضع مع تعظيمه هذا الخلق الكريم، لما يترتب على الاستحياء فيها من الشر، أو تضييع الحقوق، أو انتهاك حرمة الله -عز وجل-.

(١) أخرجه الإمام أحمد (٥/١٥٣، ١٦٢) عن أشياخ من التيم عنه -رضي الله عنه-.

(٢) رواه مسلم رقم (٢٦٢) كتاب الطهارة، باب الاستطابة، وأبو داود رقم (٧) في الطهارة.

ونظرة إلى مسلك الصحابة - رضي الله عنهم - في ذلك
تبين لنا أنهم مع شدة حياثهم لم يخلجوا من إبلاغ الأحكام
الشرعية على وجهها؛ تعليمًا للناس ما لا بد لهم منه،
وإنما استفادوا ذلك من هدي رسول الله - صلى الله عليه
وسلم - الذي قال لهم يومًا: «إنما أنا لكم مثل الوالد لوئده -
وفي لفظ: بمنزلة الوالد - أعلمكم: إذا أتيتم الغائط فلا تستقبلوا
القبلة، ولا تستدبروها» ^(١) الحديث.

وعن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - رضي الله عنه -
قال: «جاء أعرابي إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال:
يا رسول الله، إنا نكون بالبادية فتخرج من أحدنا الرُّويحةُ؟
فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «إن الله - عز وجل -

(١) رواه من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - أبو داود رقم (٨)، وابن
ماجه (١٣١ / ١)، والدارمي (١٧٢ / ١)، وحسنه الألباني في «المشكاة»
(١١٢ / ١).

لا يستحيي من الحق، إذا فعل أحدكم فليتوضأ، ولا تأتوا النساء

في أعجازهنَّ»، وقال مرة: «في أدبارهنَّ»^(١).

وكانت أمهات المؤمنين - رضي الله عنهن - من نفس

المنطلق يلين بأنفسهن هذا التأديب أحياناً:

فعن أبي موسى - رضي الله عنه - قال: اختلفَ في

الغُسل - إذا قعدَ بينَ شُعْبَيْهَا وَلَمْ يُنْزَلْ - رَهْطٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ

وَالْأَنْصَارِ، فَقَالَ الْأَنْصَارِيُّونَ: «لَا يَجِبُ الْغُسْلُ إِلَّا مِنَ الدَّفْقِ

أَوْ مِنَ الْمَاءِ»، وَقَالَ الْمُهَاجِرُونَ: «بَلْ إِذَا خَالَطَ فَقَدْ وَجَبَ

الْغُسْلُ»، قَالَ: قَالَ أَبُو مُوسَى: «فَأَنَا أَشْفِيكُمْ مِنْ ذَلِكَ»،

فَقُمْتُ فَاسْتَأْذَنْتُ عَلَى عَائِشَةَ، فَأُذِنَ لِي، فَقُلْتُ لَهَا: «يَا أُمُّهُ

- أَوْ يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ - إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَسْأَلَكَ عَنْ شَيْءٍ، وَإِنِّي

أَسْتَحْيِيكَ» فَقَالَتْ: «لَا تَسْتَحْيِي أَنْ تَسْأَلَني عَمَّا كُنْتُ سَائِلاً

عَنْهُ أُمُّكَ الَّتِي وَلَدَتْكَ، فَإِنَّمَا أَنَا أُمُّكَ»، قُلْتُ: «مَا يُوجِبُ

الْغُسْلُ؟» قَالَتْ: عَلَى الْخَيْرِ سَقَطَتْ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ

(١) رواه الإمام أحمد (٦٥٣/٢) رقم (٦٥٥)، وقال العلامة أحمد شاكر:

«إسناده صحيح».

-صلى الله عليه وسلم-: «إِذَا جَلَسَ بَيْنَ شُعْبَيْهَا الْأَرْبَعِ، وَمَسَّ الْخِتَانُ الْخِتَانَ؛ فَقَدْ وَجَبَ الْغُسْلُ»^(١).

وعنها -رضي الله عنها- قالت: «مُرْنِ أَرْوَاجَكُنَّ أَنْ يَسْتَطِيبُوا بِالْمَاءِ فَإِنِّي أَسْتَحْيِيهِمْ مِنْهُ، إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- كَانَ يَفْعَلُهُ»^(٢).

وعنها -رضي الله عنها- أَنَّهَا ضَافَتْ ضَيْفًا، فَأَمَرَتْ بِمِلْحَفَةٍ صَفْرَاءَ فَنَامَ فِيهَا، فَاحْتَلَمَ، فَاسْتَحْيَا أَنْ يُرْسَلَ بِهَا وَبِهَا أَثَرُ الْإِخْتِلَامِ فَغَمَسَهَا فِي الْمَاءِ، ثُمَّ أَرْسَلَ بِهَا، فَقَالَتْ عَائِشَةُ: «لِمَ أَفْسَدَ عَلَيْنَا ثَوْبَنَا؟ إِنَّمَا كَانَ يَكْفِيهِ أَنْ يَفْرُكَهُ بِأَصَابِعِهِ، لَرُبَّمَا فَرَكَتُهُ مِنْ ثَوْبِ رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- بِأَصَابِعِي»^(٣).

(١) رواه الإمام أحمد (٩٧/٦)، ومسلم رقم (٣٤٩) في الحيض، والترمذي رقم (١٠٨)، (١٠٩) في الطهارة.

(٢) رواه الإمام أحمد (٩٥/٦)، والترمذي (١٩)، وقال: «حسن صحيح»، والنسائي (٤٦)، وهو في «صحيح النسائي» للألباني رقم (٤٥).

(٣) رواه الإمام أحمد (٤٢/٦)، والترمذي رقم (١١٦)، وقال: «حسن صحيح»، وروى مسلم بعضه رقم (١٠٥).

فصل

الحياء في العلم

من المجالات التي ينبغي طرْحُ الحياء فيها: طلب العلم،

*** فائدة:** قال ابن الأثير في «جامع الأصول» (١/ ١٨٤): وقال الشافعي -رحمه الله-: رأيت على باب مالك بن أنس كُراعًا -أي: خيالًا- من أفراس خُراسان، وبغال مصر، ما رأيت أحسنَ منه، فقلت له: «ما أحسنه!»، فقال: «هو هدية مني إليك يا أبا عبد الله»، فقلت: «دع لنفسك منها دابة تركبها»، فقال: «أنا أستحيي من الله تعالى أن أطأ تربةً فيها رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بحافر دابة» اهـ.

وقد استبعد هذا بعضُ العلماء المتأخرين، وقطع بأنه مكذوب على الإمامين الجليلين مالك والشافعي، وقال: «لأن الجسد الشريف مَصُون مع الصاحبين في الحُجرة خاصة، وهذا بإجماع المسلمين سلفًا وخلفًا، والذي يتورع أن يطأ تربة المدينة بحافر دابة لكون رسول الله -صلى الله عليه وسلم- مدفونًا فيها؛ يتورع أيضًا عن قضاء الحاجة فيها؛ لأن هذا أفحش وأقبح، لأنه يلوث الأرض وينجسها... وسائر بقاع المدينة لم تكن تربة للجسد الشريف، فهذا التورع خلاف ما عليه الخلفاء الراشدين وسائر الصحابة، وهم أشد الناس حُبًا وتعظيمًا للنبي -صلى الله عليه وسلم- وأدبًا معه في حياته وبعد وفاته، ولم يُنقل عنهم شيء من ذلك فلعل هذا من الغلو، وفيه من الحرج والمشقة على الناس ما لا يتفق وشريعته السمحة -صلى الله عليه وسلم-» اهـ. بتصرف واختصار من: «ملاحظاتي حال مطالعاتي» للشيخ سليمان بن حمدان، ص (٤٢ - ٤٤).

والتعليم، قال علي - رضي الله عنه -: «لا يستحي الذي لا يعلم أن يسأل حتى يعلم، ولا يستحي من يُسأل عما لا يعلم أن يقول: لا أعلم».

وقال البخاري: قال مجاهد: «لا يتعلم العلم مُسْتَحْيٍ ولا مستكبر»، وقالت عائشة - رضي الله عنها -: «نعم النساء نساء الأنصار، لم يمنعهن الحياء أن يتفقهن في الدين»^(١). وقال الخليل بن أحمد: «منزلة الجهل بين الحياء والأنفة».

قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله تعالى -: «وهو - أي: الحياء - الشرعي الذي يقع على وجه الإجلال والاحترام للأكابر، وهو محمود، وأما ما يقع سبباً لترك أمر شرعي؛ فهو مذموم، وليس هو بحياء شرعي، وإنما هو ضعف ومهانة، وهو المراد بقول مجاهد: (لا يتعلم العلم مستحي)، وهذا

(١) «فتح الباري» (١/ ٢٢٩).

الأثر عن مجاهد وصله أبو نعيم في (الحلية)، وإسناده صحيح على شرط المصنف اهـ. بمعناه من «الفتح»^(١).
وعن الأسود ومسروق قالوا: «أتينا عائشة لنسألها عن المباشرة للصائم، فاستحيينا، فقمنا قبل أن نسألها؟ فمشينا لا أدري كم، ثم قلنا: «جئنا لنسألها عن حاجة، ثم نرجع قبل أن نسألها؟» فرجعنا، فقلنا: «يا أم المؤمنين، إنا جئنا لنسألك عن شيء، فاستحيينا، فقمنا»، فقالت: «ما هو؟ سلا عما بدا لكما»، قلنا: «أكان النبي -صلى الله عليه وسلم- يباشر وهو صائم؟» قالت: «قد كان يفعل ذلك، ولكنه كان أملك لإربه منكم»^(٢).

ورؤي - بسند ضعيف - عن أمير المؤمنين علي -رضي الله عنه- أنه قال يوماً وهو على المنبر: «أيها الناس، إني

(١) «نفس المصدر».

(٢) رواه الإمام أحمد (٢١٦/٦)، وانظر: البخاري في الصوم: باب المباشرة للصائم، ومسلماً رقم (١١٠٦)، وأبا داود رقم (٢٣٨٢)، والترمذي رقم (٧٢٧).

سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: (لا يقطع الصلاة إلا الحدث)، لا أستحييكم مما لا يستحي منه رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، قال: والحدث أن يفسو أو يضبط^(١).

فلا يليق بالمسلم أن يتنزه عن شيء فعله أو قاله رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو أشد الناس حياءً، وأعلمهم بالله - عز وجل -.

وعن زينب ابنة أم سلمة قالت: جاءت أم سليم إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقالت: «يا رسول الله، إن الله لا يستحيي من الحق، فهل على المرأة من غسل إذا احتلمت؟»، قال النبي - صلى الله عليه وسلم -: «إذا رأت الماء»، فغطت أم سلمة - تعني وجهها - وقالت: «يا رسول الله،

(١) رواه الإمام أحمد (١/١٣٨)، وضعفه العلامة أحمد شاكر، حديث رقم (١١٦٤).

وتحتلم المرأة؟»، قال: «نعم، تربت يمينك، فزفم فُشبهها ولدها؟»^(١).

وعن عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: «إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها، وهي مثل المسلم، حدثوني ما هي؟»، فوقع الناس في شجر البادية، ووقع في نفسي أنها النخلة، قال عبد الله: «فاستحييت»، فقالوا: «يا رسول الله أخبرنا بها»، فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «هي النخلة»، قال عبد الله: فحدثت أبي بما وقع في نفسي، فقال: «لأن تكون قُلتها أحب إلي من أن يكون لي كذا وكذا»^(٢).

فمنعه حياء الإجلال لمن هم أسنُّ منه من الحاضرين من أن يقول ذلك، قال الحافظ: «وكان يمكنه إذا استحيا إجلالاً لمن هو أكبر منه أن يذكر ذلك لغيره سرّاً ليخبر به

(١) رواه البخاري (١/ ٢٢٩ - فتح).

(٢) «نفس المصدر».

عنه، فيجمع بين المصلحتين، ولهذا عقبه المصنف -أي البخاري- بباب من استحيا فأمر غيره بالسؤال»^(١).

وقد أورد البخاري في الباب المشار إليه حديث محمد ابن الحنفية عن عليّ -رضي الله عنه- قال: «كنت رجلاً مذاءً»^(٢)، فأمرت المقداد أن يسأل النبي -صلى الله عليه وسلم- فسأله، فقال: «فيه الوضوء»^(٣)، ولفظه في كتاب الغسل: كنت رجلاً مذاءً، فأمرت رجلاً أن يسأل النبي -صلى الله عليه وسلم- لمكان ابنته - فسأل، فقال: «توضأ، واغسل ذكرك».

وفي رواية النسائي: فقلت لرجل جالسٍ إلى جنبي: «سله»، فسأله، وفي مسلم: «فسأله عن المذي يخرج من الإنسان»، وبينت رواية لأبي داود والنسائي وابن خزيمة

(١) «فتح الباري» (١/ ٢٣٠).

(٢) مَذَاءٌ: أي كثير المَذْي، وهو البلل اللزج الذي يخرج من الذكر عند تحرك الشهوة، ولا يجب فيه الغسل، وهو نجس يجب غسله، ويتقضى الوضوء، وانظر: «النهاية» لابن الأثير (٤/ ٣١٢).

(٣) فيه الوضوء: أي المذي يوجب الوضوء.

سبب ذلك، فعن علي قال: «كنت رجلاً مذاءً، فجعلت أغتسل منه في الشتاء حتى تشقق ظهري»^(١)، الحديث.

والحاصل: أنه متى استحيا الإنسان، وكان له مندوحة عن سؤال العالم مباشرة؛ فلا بأس من أن يوكل غيره في السؤال مراعاة للحياء من جهة، وتحصيلاً للعلم من جهة أخرى.

وهذه أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - استحيت أن تواجه الرجال ببعض الآداب، فأمرت زوجاتهم بإبلاغهم: فعنها - رضي الله عنها - أنها قالت: «مُرْنَ أَزْوَاجَكُنَّ أَنْ يَسْتَطِيبُوا^(٢) بِالْمَاءِ فَإِنِّي أَسْتَحِيهِمْ مِنْهُ، فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - كَانَ يَفْعَلُهُ»^(٣).

(١) رواه البخاري (١/ ٢٣٠ - فتح) في الغسل، ومسلم رقم (٣٠٣) في الحيض، وأبو داود رقم (٢٠٦) إلى (٢٠٩)، والترمذي رقم (١١٤)، والنسائي (١/ ٩٦، ٩٧)، وانظر: «فتح الباري» (١/ ٣٨٠).

(٢) الاستطابة والإطابة: كناية عن الاستنجاء، سُمِّي بها من الطَّيْب، لأنه يُطِيب جَسَدَهُ، بإزالة ما عليه من الخَبَث بالاستنجاء، أي: يُطَهِّرُهُ.

(٣) تقدم تخريجه ص (١١٦).

فائدة: في تقديم بر الوالدين على الحياء من الناس:

كان عمرو بن عبيد ^(١) يأتي كَهْمَسًا ^(٢) يُسَلِّم عليه،
ويجلس عنده هو وأصحابه، فقالت له أمه: «إني أرى هذا
وأصحابه، وأكرههم، وما يُعجبوني، فلا تجالسهم»، فجاء
إليه عمرو وأصحابه، فأشرف عليهم، فقال: «إن أُمِّي قد
كرهتك وأصحابك، فلا تأتوني» ^(٣).



(١) زاهد، عابد، لكنه كان مبتدعاً قدرياً؛ بل كبير المعتزلة.

(٢) عابد من كبار الثقات، كان عظيم البر بأمه -رحمه الله تعالى-.

(٣) «حلية الأولياء» (٦/ ٢١٢).

فصل

الحياء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

إن ترك الحياء في النصيح والأمر والنهي الشرعيين من النعوت الإلهية، قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنْ الْحَقِّ﴾، والذي يتهيب تقريع المبطلين لا يُعتبر حيًّا، ففي موقف الانتصار للحق، وفضح العقائد الفاسدة، والتهوين من شأن الآلهة المزيفة، قال تبارك وتعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٍ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾ [الحج: ٧٣]، وبعد أن حقر آلهتهم، وفضح عجزها عن خلق ذبابة؛ بل عن حماية نفسها إذا هاجمتها ذبابة، قال تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾ الآية، [البقرة:

[٢٦].

فليس للحياء موضع إذا ضل الناس، أو انتفش الباطل،
عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال رسول الله
- صلى الله عليه وسلم - : « لا يَمْنَعَنَّ رجلاً هيبةُ الناس أن
يقولَ بحقِّ إذا علمه، أو شهد، أو سمعه » ^(١)، وقال عبيد ابن
عمير: « آثروا الحياء من الله على الحياء من الناس »، فالأمر
الشرعي - وإن كان يُتَوَهَّم أن في تركه أدباً وحياءً - فإن
الحزم كل الحزم اتباعُ الأمر الشرعي، وأن يُجْزَمَ أن ما
خالفه ليس من الأدب في شيء.

قَالَ صَاحِبُ «فَضْلِ اللَّهِ الصَّامِدِ»: «فَإِنْ قِيلَ: إِنَّ صَاحِبَ
الْحَيَاءِ قَدْ يَسْتَحْيِي أَنْ يُوَاجِهَ بِالْحَقِّ، فَيَتْرُكَ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ
وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَقَدْ يَحْمِلُهُ الْحَيَاءُ عَلَى الْإِخْلَالِ بِبَعْضِ
الْحُقُوقِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا هُوَ مَعْرُوفٌ فِي الْعَادَةِ، فَأَقُولُ: إِنْ

(١) أخرجه ابن ماجه (٤٠٧)، والحاكم (٥٠٦/٤)، وأحمد (١٩/٣)،
وصححه الألباني في «الصحيحة» رقم (١٦٨).

ذلك ليس بحياة حقيقة، بل هو عجزٌ وخورٌ ومهانةٌ، وإنما أطلقوا عليه حياةً تشبيهاً ومجازاً»^(١).

وقال في موضع آخر: «وإنما يكون - أي: الحياة - حقيقياً حيث يكون القبح حقيقياً، فلا يدخل في الحياة الانقباض عما يستقبحه الناس، وهو في الحقيقة حسنٌ، ولا الانقباض عما هو في الأصل قبيحٌ، ولكن الانقباض عنه يؤدي إلى أقبح منه، لأنه في هذه الصورة يرتفع حكم القبح الأصلي للمعارضة، مثاله: ما يقع من بعض خِرَعاتِ^(٢) النساء، يعرض لها فاجرٌ في خلوةٍ يُحاول استكراهها، فتتقبض نفسها عن أن تستغيث وتصرخ؛ لأنها تستقبح أن يشيع عنها أن فاجراً تعرّض لها، ولو عقلت لعلمت أن شيوخ ذلك ليس بقبيح إذا اقترن بإبائهما عن الفاحشة، والناس يُثنون عليها بالعفة والحزم والثبات إذا سمعوا أنها

(١) «فضل الله الصمد» (٢/ ٥٤).

(٢) خرع الشيء: لان، واسترخى، وضعف.

انتهرته، وصرخت بأهلها فجاءوا ودفعوه»^(١)، وعلى ذلك فالحياء في قوله - صلى الله عليه وسلم -: «الحياء لا يأتي إلا بخير» هو الحياء الحقيقي.

وقد ثبت أنه - صلى الله عليه وسلم - كان أشد حياءً من العذراء في خدرها، وهو لنا في ذلك قُدوةٌ، لا يقوم دُونَ غَضَبِهِ شيءٌ إذا انتَهكت حُرْمَاتُ اللَّهِ.

وقد زَخَرَ التاريخ الإسلامي بنماذج رائعة لوضوح هذا

المفهوم عند السلف ومَن تبعهم من الخلف، فمن ذلك:

ما حكاه سالم بن عبد الله قال: أعرست في عهد أبي، فأذن أبي الناس، وكان أبو أيوب فيمن آذناً، وقد ستروا بيتي بنجاد^(٢) أخضر، فأقبل أبو أيوب فدخل، فرآني قائماً، واطلع فرأى البيت مستتراً بنجاد أخضر، فقال: «يا عبد الله، أتسترون الجدر؟» قال أبي - واستحيا - : «غلبنا النساء أبا

(١) «نفسه» (٢/ ٦٩١).

(٢) نجاد: بكسر النون، جمع «نجد»، وهو ما يزين به البيت من البسط والوسائد والفرش.

أيوب»، فقال: «من كنتُ أخشى عليه أن تغلبه النساء فلم أكن أخشى عليك أن تغلبنك»، ثم قال: «لا أطعم لكم طعامًا، ولا أدخل لكم بيتًا»، ثم خرج رحمه الله تعالى^(١).

ومن هذه المواقف: ما حكاه عبد الرزاق بن سليمان ابن علي بن الجعد قال: سمعت أبي يقول: لما حضر المأمون أصحاب الجوهر، فناظرهم على متاع كان لهم، ثم نهض المأمون لبعض حاجته، ثم خرج، فقام كل من كان في المجلس إلا ابن الجعد، فإنه لم يقم، قال: فنظر إليه المأمون كهيئة المغضب، ثم استخلاه، فقال له: يا شيخ، ما منعك أن تقوم لي كما قام أصحابك؟ قال: أجلتُ أمير المؤمنين للحديث الذي نأثره عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: وما هو؟ قال علي بن الجعد: سمعت المبارك بن فضالة يقول: سمعت الحسن يقول: قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: «من أحب أن يمثل له الناس قيامًا،

(١) عزاه الألباني في «آداب الزفاف» ص (٢٠١) إلى الطبراني، وابن عساكر، والمروزي في «الورع» تعليقًا، و«شرح السنة».

فليتَبَوَّأْ مقعده من النار»^(١)، قال: فأطرق المأمون متفكراً في الحديث، ثم رفع رأسه فقال: «لا يُشْتَرَى إلا من هذا الشيخ»، قال: «فاشترى منه في ذلك اليوم بقيمة ثلاثين ألف دينار»^(٢).

وقال أحمد بن علي البصري: وجه المتوكل إلى أحمد ابن العدل وغيره من العلماء، فجمعهم في داره، ثم خرج عليهم، فقام الناس كلهم إلا أحمد بن العدل، فقال المتوكل لعبيد الله: «إن هذا الرجل لا يرى بيعتنا؟»، فقال له: «بلى يا أمير المؤمنين، ولكن في بصره سوء»، فقال أحمد ابن العدل: يا أمير المؤمنين، ما في بصري من سوء، ولكنني نَزَّهْتُكَ من عذاب الله تعالى، قال النبي -صلى الله عليه

(١) أخرجه موصولاً البخاري في «الأدب» رقم (٩٧٧)، وأبو داود (٥٢٢٩)، والترمذي رقم (٢٧٥٥)، والإمام أحمد (٩٣/٤)، وحسنه الترمذي، وصححه الألباني في «الصحيحة» رقم (٣٥٧).
(٢) «تاريخ بغداد» (١١/٣٦١).

وسلم-: «من أحب أن يمثل له الرجال قياماً، فليتبوأ مقعده في النار»، فجاء المتوكل فجلس إلى جنبه ^(١).

وكان الإمام الجليل سفيان الثوري -رحمه الله تعالى- شديد الحياء، وقال الإمام ابن مهدي -رحمه الله تعالى-: «ما كنت أقدر أن أنظر إلى سفيان استحياءً وهيبةً منه»، ومع ذلك فكان في مواقع الحمية والغضب لدين الله -عز وجل- لا يعرف الاستحياء في الحق، حتى قال يحيى بن أبي غنية: «ما رأيت رجلاً قط أصفق وجهاً في الله -عز وجل- ^(٢) من سفيان الثوري».

وأنكر مرة على المهدي بعض الأمور، واشتد في الإنكار حتى قال له وزير المهدي: «شططت: تكلم أمير المؤمنين بمثل هذا؟» فقال له سفيان: «اسكت، ما أهلك فرعون إلا هامان»، فلما ولى سفيان، قال أبو عبيد الله: «يا

(١) أخرجه الدينوري في «المنتقى من المجالسة»، كما في «السلسلة الصحيحة» (٧٣/٤).

(٢) أي: لا يجامل، ولا يداري غيره على الدين.

أمير المؤمنين، ائذن لي أضرب عنقه»، فقال له: «اسكت، ما بقي على وجه الأرض من يُستحيا منه غير هذا». وروى ابن أبي حاتم بسنده عن مصعب: أن رجلاً أعمى كان يجالس سفيان، فكان إذا كان شهر رمضان خرج إلى السواد فيصلي بالناس، فيُكسى، ويوهبُ له، فقال سفيان: «إذا كان يوم القيامة أثيب أهل القرآن من قرآنهم، ويقال لمثل هذا: قد تعجّلت ثوابك»، فقال له الرجل: «يا أبا عبد الله، تقول هذا لي وأنا جليس لك؟!»، قال سفيان: «إنني أتخوف أن يقال لي يوم القيامة: إنه كان جليساً لك أفلا تنصحه؟».

وكان الشيخ شمس الدين محمد بن محمد بن عليّ المقدسي إذا سمع من أحد غيبة - ولو جَلَّ - بادره - وهو يتسم - بقوله: «أستغفر الله» ^(١).

(١) «المختار المصون» (١/ ٥٤٠).

واغتاب رجل كبير رجلاً بحضرة العلامة محمد الأمين الشنقيطي - رحمه الله -، فنهاه الشيخ، فقال المغتاب: «أنا المتكلم لا أنت»، فردَّ عليه الشيخ بقوله: «أنا شايب بين جَنْبَيَّ سورة البقرة، تسكت بأدب، أو تخرج»^(١).

وقال عبد الرحمن رُسْتَه: سألت ابن مهدي عن الرجل يبني بأهله، أترك الجماعة أياماً؟ قال: «لا، ولا صلاة واحدة»، وحضرته صبيحة بُني على ابنته، فخرج فأذّن، ثم مشى إلى بابهما، فقال للجارية: قولي لهما: يخرجان إلى الصلاة، فخرج النساء والجواري، فقلن: «سبحان الله، أي شيء هذا؟!»، فقال: «لا أبرح حتى يخرجوا إلى الصلاة»، فخرجوا بعدما صلى، فبعث بهما إلى مسجد خارج من الدرب^(٢).

(١) «ترجمة الشيخ الشنقيطي» للشيخ عبد الرحمن السديس ص (٢٠٤، ٢٠٥).

(٢) «سير أعلام النبلاء» (٩/ ٢٠٤)، و«حلية الأولياء» (٩/ ١٣).

صور من الحياء المذموم:

- أن تمد امرأة أجنبية يدها إلى رجل فيصافحها، ويزعم أنه استحيا منها، وقد قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «لَأَنْ يُطْعَنَ فِي رَأْسِ أَحَدِكُمْ بِمَخِيطٍ مِنْ حَدِيدٍ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَمَسَّ امْرَأَةً لَا تَحِلُّ لَهُ» ^(١).

- أن يُقرض رجل رجلاً مالاً وهو لا يثق بأمانته، ويودُّ أن لو أشهد عليه الملائكة والجن والإنس، ومع ذلك يستحيي أن يستكتبه الدين أو أن يُشهد عليه، أو يُمكن سفيهاً من ماله استحياءً منه، فيبدده شذراً مَذَرًا.

عن أبي موسى - رضي الله عنه - قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «ثلاثة يدعون الله - عز وجل - فلا يُستجابُ لهم: رجل كانت تحته امرأة سيئة الخلق فلم يُطلقها» ^(٢)،

^(١) رواه الطبراني، والبيهقي، ورجال الطبراني ثقات رجال الصحيح، كذا في «الترغيب» (٦٦/٣)، وقال الألباني في «الصحيحة» رقم (٢٢٦): «هذا سند جيد» اهـ.

^(٢) فإذا دعا عليها لا يُستجاب له؛ لأنه المعذب نفسه بمعاشرتها، وهو في سعة من فراقها، ولا يفهم من هذا ندبه إلى تطليقها، وإنما هو حث على عدم =

ورجل كان له على رجل مال فلم يُشهِد عليه^(١)؛ ورجل أتى سفيهاً^(٢) ماله؛ وقال الله -تعالى-: ﴿لَا تَوْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ﴾ الآية [النساء: ٥]»^(٣).

وقد طرح السلف الصالح الاستحياء في مواطن إثبات الحقوق، واستحسنوا ذلك:

لما لقي الإمام مالكا تلميذه الشافعي بالمدينة، وأهداه مالك مالا عظيماً، قال الشافعي: «إنك موروث، وأنا موروث، فلا يثبت جميع ما وعدتني إلا تحت ختمي

= أذيتها بالدعاء عليها، ببيان أنه لا يستجاب دعاؤه عليها.

(١) يعني: فأنكره، فإذا دعا لا يستجاب له؛ لأنه المفرط المقصر بعدم امتثال قوله تعالى: ﴿وَأَسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ﴾ الآية [البقرة: ٢٨٢]، وهذا جزء من آية الدّين وهي أطول آية في القرآن الكريم، وقد نزلت تبين الضمانات الكفيلة بحفظ مال المسلم، رعاية لمصلحته.

(٢) أي: محجوراً عليه بسفه، «ماله» أي: شيئاً من ماله مع علمه بالحجر عليه، فإذا دعا عليه لا يستجاب له؛ لأنه المضيع لماله فلا عذر له. انظر «فيض القدير» (٣/ ٣٣٦).

(٣) رواه الحاكم في «المستدرک» (٢/ ٣٠٢)، وقال: «صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي، وانظر: «السلسلة الصحيحة» رقم (١٨٠٥).

ليجري مُلكي عليه، فإن حضرني أجلي كان لورثتي دونك، وإن حضرك أجلك كان لي دون ورثتك»، فتبسم في وجهي، وقال: «أبيت إلا العلم»، فقلت: «لا يُستعمل أحسنُ منه»، قال الشافعي: «فما بُتُّ إلا وجميعُ ما وعدني به تحت خاتمي»^(١).

فائدتان:

الأولى: نقل ابن قدامة عن الإمام أحمد أنه قال: «إني لأرى الشيخَ المخضوبَ، فأفرحَ به»، وذاكر الإمام أحمد رجلاً، فقال: «لِمَ لا تختضب؟» فقال: «أستحيي»، قال: «سبحان الله! سنة رسول الله - صلى الله عليه وسلم -»^(٢).

الثانية: سمعُ أبيُّ بنُ كعب - رضي الله عنه - رجلاً قال: «يالَ فلانٍ!»، فقال له أبيُّ: «اعضضِ بهنِ أبيك»، ولم يكن، فقال الرجل: «يا أبا المنذر! ما كنتَ فحاشاً»، فقال أبيُّ - رضي الله عنه -: «إني لا أستطيع إلا ذلك، إني سمعتُ

(١) «رحلة الإمام الشافعي» ص (٢٦، ٢٧).

(٢) «المغني» (١/ ٦٦).

رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: «من تعزَّى بعزاء الجاهلية؛ فأَعْضَوْه بِهَنْ أَبِيه، وَلَا تَكُنُوا»^(١).

قال البغوي - رحمه الله تعالى - : «يجاهره بمثل هذا اللفظ الشنيع ردًّا لما أتى به من الانتماء إلى قبيلته، والافتخار بهم» اهـ^(٢).

وقال الحافظ في موقف مماثل: «وفيه جواز النطق بما يُستبشع من الألفاظ لإرادة زجر من بدا منه ما يستحق به ذلك» اهـ^(٣).



(١) رواه البخاري في «الأدب المفرد» (٤٢٧/٢)، والإمام أحمد (١٣٦/٥)، وغيرهما، وصححه الألباني في «الصحيحة» رقم (٢٦٩)، وانظر: «لسان العرب» (١٨٨/٧).

(٢) «شرح السنة» (١٢٠/١٣).

(٣) «فتح الباري» (٦٣٧/٦) ط. طيبة - الرياض - ١٤٢٦ هـ.

رابعاً: الاستحياء من الله -جل وعلا-

«الحياء خير كله»، و «الحياء لا يأتي إلا بخير»؛ لأن من استحيا من الناس لا يفعل ما يُخجله إذا عُرف منه أنه فعله، فكان من أعظم بركة الحياء من الناس تعويد النفس ركوب الخصال المحمودة، ومجانبتها الخلال المذمومة.

ومن استحيا من الناس أن يروه بقبیح؛ دعاه ذلك إلى أن يكون حياؤه من ربه أشدّ، فلا يضيع فريضة، ولا يرتكب خطيئة؛ لأن المؤمن يعلم بأن الله يرى كل ما يفعله، فيلزمه الحياء منه لعلمه بذلك، وبأنه لا بد أن يقرره يوم القيامة على ما عمله، فيخجل، فيؤديه إلى ترك ما يخجل منه، وذلك هو الحياء، فمن ثمّ لا يأتي إلا بخير.

عن ابن مسعود -رضي الله عنه- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال ذات يوم لأصحابه: «استحيوا من الله حق الحياء»، قالوا: «إنا نستحيي يا رسول الله»، قال:

«ليس ذاكم»^(١)، ولكن من استحيا من الله حق الحياء: فليحفظ الرأس وما وعى^(٢)، وليحفظ البطن وما حوى^(٣)، وليذكر الموت والبلى^(٤)، ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا^(٥)، فمن فعل ذلك^(٦) فقد استحيا من الله حق الحياء»^(٧).

(١) قال البيضاوي - رحمه الله -: يعني «ليس حق الحياء من الله ما تحسبونه، بل أن يحفظ نفسه بجميع جوارحه عما لا يرضاه من فعل وقول» اهـ. نقلًا من «الفتح الرباني» (١٩ / ٩٠).

(٢) ما جمعه من الحواس الظاهرة والباطنة حتى لا يستعملها إلا فيما يحل.
(٣) أي: وما جمعه جوفه باتصاله به من القلب والفرج واليدين والرجلين، فلا يستعمل منها شيئًا في معصية الله - عز وجل -.
(٤) لأن من ذكر أن عظامه تصير بالية، وأعضائه متمزقة؛ هان عليه ما فاته من اللذات العاجلة، وأهمه ما يلزمه من طلب الآجلة، وعمل على إجلال الله وتعظيمه.

(٥) لأنهما ضرّتان، إذا أرضيت إحداهما أغضبت الأخرى، فمن أراد الله تعالى فليرفض جميع ما سواه استحياءً منه، بحيث لا يرى إلا إياه.
(٦) الإشارة إلى جميع ما مرّ، فمن أهمل من ذلك شيئًا، لم يخرج من عهدة الاستحياء.

(٧) رواه الإمام أحمد (٣٨٧ / ١)، والترمذي رقم (٢٥٨٨) وقال: «هذا حديث غريب»، والحاكم (٣٢٣ / ٤) وصححه، ووافقه الذهبي، وحسنه الألباني في «صحيح الترمذي» (٢ / ٢٩٩). =

وعن معاوية بن حيدة -رضي الله عنه- قال: قلت: يا رسول الله، عوراتنا ما نأتي منها وما نذر؟ قال: «احفظ عورتك إلا من زوجتك، أو ما ملكت يمينك»، قلت: يا رسول الله، إذا كان القوم بعضهم في بعض؟ قال: «إن استطعت أن لا يرينَّها أحد فلا تُرينَّها أحدًا»، قلت: يا رسول الله، إذا كان أحدنا خاليًا؟ قال: «الله أحق أن يُستحيا منه من الناس»^(١).

فإذا حَرَّضَ -صلى الله عليه وسلم- على الستر في الخلوة تأدبًا مع الله -عز وجل- واستحياءً منه، وهو أمر مُختلف في وجوبه أو استحبابه، فكيف ينبغي أن يكون

= قال بعض العلماء: «يستحب لكل أحد صحيح أو مريض الإكثار من ذكر هذا الحديث، بحيث يصير نُصَبَ عينيه، والمريض أولى».

(١) رواه الإمام أحمد (٤/٣، ٤)، وأبو داود رقم (٤٠١٧)، والترمذي رقم (٢٧٩٤)، (٢٧٦٩) وحسنه، والحاكم (٤/١٨٠)، وصححه، ووافقه الذهبي، ورواه البيهقي (١/١٩٩)، وحسنه الألباني في «آداب الزفاف» ص (١١٢)، وهو محمول على الندب والكمال، وليس على ظاهره المفيد للوجوب، والله أعلم، وانظر: «أحكام النظر» للحموي ص (١١٦)، و«مجموع الفتاوى» (١٥/٤١٥)، و«فيض القدير» (٢/٢٢٨) حديث رقم (١٧٢٩)، و«المجموع» (٣/١٥٦).

حياء الإنسان منه - تعالى - إذا فقدته حيث أمره، أو رآه حيث
نهاه؟

عن يعلى بن أمية - رضي الله عنه - أن رسول الله
- صلى الله عليه وسلم - رأى رجلاً يغتسل بالبراز^(١)
بلا إزار، فصعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال
- صلى الله عليه وسلم - : «إن الله - عز وجل - حيٌّ سِتْرٌ يحب
الحياءَ والسَّتْرَ، فإذا اغتسل أحدكم فليستتر»^(٢).

قال كعب: «استحيوا من الله في سرائركم، كما تستحيون
من الناس في علانيتكم».

وقد صرح الله - عز وجل - بأن الحكمة التي خلق
الخلق من أجلها هي أن يتليهم أيهم أحسن عملاً.
قال العلامة القرآني محمد الأمين الشنقيطي - رحمه الله
تعالى - : «... إذا لاحظ الإنسان الضعيف أن ربه - جل وعلا -

(١) البراز: الفضاء الواسع الخالي من الشجر ونحوه.

(٢) أخرجه أبو داود (٤٠١٢)، والنسائي (٧٠ / ١)، والبيهقي (١٩٨ / ١)،
وصححه الألباني في «الإرواء» (٣٦٧ / ٧).

ليس بغائب عنه، وأنه مُطَّلَع على كل ما يقول وما يفعل وما ينوي؛
لأن قلبه، وخشي الله تعالى، وأحسن عمله لله -جل وعلا- .
ومن أسرار هذه الموعظة الكبرى: أن الله -تبارك
وتعالى- صرح بأن الحكمة التي خلق الخلق من أجلها هي
أن يبتليهم أيهم أحسن عملاً، ولم يقل: أيهم أكثر عملاً،
فالابتلاء في إحسان العمل، كما قال تعالى في هذه السورة
الكريمة: ﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ
وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾
الآية [هود: ٧].

وقال في المُلْك: ﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ
أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴾ [الملك: ٢].

ولا شك أن العاقل إذا علم أن الحكمة التي خُلق من
أجلها هي أن يُبتلى - أي يُختبر - بإحسان العمل؛ فإنه يهتم
كل الاهتمام بالطريق الموصلة لنجاحه في هذا الاختبار،
ولهذه الحكمة الكبرى سأل جبريل النبي -صلى الله عليه

وسلم - عن هذا لِيُعَلِّمَهُ لأصحاب النبي - صلى الله عليه
وسلم - فقال: «أخبرني عن الإحسان» - أي: وهو الذي خُلق
الخلق لأجل الاختبار فيه - فبين النبي - صلى الله عليه
وسلم - أن الطريق إلى ذلك هي هذا الواعظ، والزاجر
الأكبر الذي هو مراقبة الله تعالى، والعلم بأنه لا يخفى عليه
شيء مما يفعل خلقه، فقال له: «الإحسان أن تعبد الله كأنك
تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك» ^(١).

هكذا فسّر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الإحسان
تفسيرًا لا يستطيعه أحد من المخلوقين غيره لما أعطاه الله
تعالى من جوامع الكلم.

وقال أيضًا - رحمه الله تعالى - : قوله تعالى: ﴿الْإِنَّمِ
يَتَنُونَ صُدُورُهُمْ لِيَسْتَخَفُوا مِنْهُ ۖ لَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا
يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۚ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [هود: ٥].

(١) «أضواء البيان» (٣/ ٩، ١٠) بتصرف.

«يبين تعالى في هذه الآية الكريمة: أنه لا يخفى عليه شيء، وأن السر كالعلانية عنده، فهو عالم بما تنطوي عليه الضمائر، وما يُعلن وما يُسرُّ، والآيات المبينة لهذا كثيرة جداً، كقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلَهُ مَا تُسَوِّسُ بِهِ نَفْسَهُ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦]، وقوله -جل وعلا-: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ﴾ [البقرة: ٢٣٥]، وقوله: ﴿فَلَنَقُصَّنَّ عَنْهُمْ بَعْلَهُمْ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ﴾ [الأعراف: ٧]، وقوله: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ الآية [يونس: ٦١].

ولا تقلب ورقة من المصحف الكريم إلا وجدت فيها آية بهذا المعنى^(١).

(١) وما ذاك إلا لتتربى قلوب المؤمنين على المراقبة عن طريق التعبد بأسمائه الحسنی: الرقيب، الشهيد، الحفيظ، العليم، السميع، البصير، فمن عقل هذه الأسماء، وتعبد بمقتضاها حصلت له المراقبة، من مثل قوله تعالى: =

تنبيه مهم:

اعلم أن الله -تبارك وتعالى- ما أنزل من السماء إلى الأرض واعظاً أكبر، ولا زاجراً أعظم مما تضمنته هذه الآيات الكريمة وأمثالها في القرآن، من أنه تعالى عالم بكل ما يعمل به خلقه، رقيب عليهم، ليس بغائب عما يفعلون، وضرب العلماء لهذا الواعظ الأكبر، والزاجر الأعظم مثلاً ليصير به كالمحسوس، فقالوا: لو فرضنا أن ملكاً قتلاً للرجال، سفاكاً للدماء، شديد البطش والنكال على من انتهك حرمة ظلمًا، وسيّافه قائم على رأسه، والنّطع^(١) مبسوط للقتل، والسيف يقطر دمًا، وحول هذا الملك -

= ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا﴾ الآية [الأحزاب: ٥٢]، وقوله: ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ الآية [المجادلة: ٦] أي: يعلم كل شيء بالمعينة والرؤية، فكل شيء عنده مشهود، وليس عليه غيب، ولا يخفاه سر، وقوله: ﴿وَاللَّهُ بِصِيرَتِهِمَا يَعْمَلُونَ﴾ الآية [الحجرات: ١٨]، وقوله: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾ [التوبة: ٧٨]، وقوله: ﴿أَمْ يَحْسِبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ الآية [الزخرف: ٨٠] وقوله: ﴿أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ﴾ الآية [فصلت: ٥٤].
(١) النّطع: بساط من الجلد، كثيرًا ما كان يُقتل فوقه المحكوم عليه بالقتل.

الذي هذه صفته - جواريه وأزواجه وبناته، فهل ترى أن أحداً من الحاضرين يَهْمُ برية أو بحرام يناله من بنات ذلك الملك وأزواجه، وهو ينظر إليه، عالم بأنه مطلع عليه؟! لا وكلا، بل جميع الحاضرين يكونون خائفين، وَجِلَّةً قلوبُهُم، خاشعةً عيونُهُم، ساكنةً جوارحُهُم؛ خوفاً من بطش ذلك الملك ^(١).

ولا شك -ولله المثل الأعلى- أن رب السموات والأرض -جل وعلا- أشد علماً، وأعظم مراقبة، وأشد بطشاً، وأعظم نكالاً وعقوبة من ذلك الملك، وحِماه في أرضه محارمه». اهـ ^(٢).

(١) ونظير ذلك ما استُحدث في المستشفيات والمصانع والمحلات التجارية، حيث تُبث الكاميرات التلفزيونية في شتى المواقع لمراقبة العمال والصوص، الذين ينزجرون بذلك لاحتمال تسلط الكاميرا عليهم وبالتالي انكشاف أمرهم، والله المثل الأعلى.

(٢) «أضواء البيان» (٣/٩، ١٠) بتصرف، والحمى: موضع فيه كَلَأٌ يُحمى من الناس أن يُرعى.

لقد جعل الله -عز وجل- التزكية إحدى المهمات التي من أجلها بعث رسولَه -صلى الله عليه وسلم-، فقال سبحانه: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤].

وأقسم الله -عز وجل- أحدَ عشرَ قَسَمًا على حقيقة واحدة هي قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ۖ ﴿١﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾ [الشمس: ٩، ١٠]، ويبيِّن أنه لا يدخل الجنة إلا نفس زكية طاهرة طيبة، قال -عز وجل-: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ [الزمر: ٧٣]. ومن ثمَّ رفع النبي -صلى الله عليه وسلم- شأن تزكية النفس، فقال -صلى الله عليه وسلم-: «ثَلَاثٌ مِّن فَعَلَن فَقَدْ طَعِمَ طَعَمَ الْإِيمَانِ: مَن عَبَدَ اللَّهَ وَحْدَهُ، وَأَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ،

وأعطى زكاة ماله طيبةً بها نفسه، رافدةً ^(١) عليه كل عام، ولا يُعطي الهرمّة، ولا الدرنة ^(٢)، ولا المريضة، ولا الشرط ^(٣)، اللئيمة ^(٤)، ولكن من وسَط أموالكم ^(٥)، فإن الله لم يسألكم خيرَه، ولم يأمركم بشره ^(٦).

زاد البيهقي في روايته: «وزكّي عبدُ نفسه»، فقال رجل: ما تزكية المرء نفسه يا رسول الله؟ فقال -صلى الله عليه وسلم-: «يعلم أن الله -عز وجل- معه حيثما كان». قال

(١) رافدة: فاعلة من الرّفد، وهو الإعانة والعطاء والصلة، يقال: رَفَدته أَرَفَدَه إذا أَعْتَه، أي تُعِينَه نفسه على أداء الزكاة.
(٢) الدرنة: الجرباء، وأصل الدرنة: الوسخ.
(٣) الشرط: قال أبو عبيد: هو صغار المال وشراره، وقال الخطابي: والشرط: رُذالة المال.
(٤) اللئيمة: البخيلة باللبن، ويقال: لئيم، للشحيح، والدني النفس، والمهين.
(٥) فيه دليل على أنه ينبغي إخراج الزكاة من أوساط المال، لا من شراره، ولا من خياره.

(٦) رواه أبو داود (١٥٨٢) بسند فيه انقطاع، ووصله الطبراني في «الصغير» ص (١١٥)، والبيهقي في «السنن» (٩٥/٤)، وصححه الألباني في «الصحيحة» رقم (١٠٤٦).

الإمام محمد بن يحيى الذُّهلي: «يريد أن الله علمه محيط بكل مكان، والله على العرش»^(١).

وعن أسامة بن شريك -رضي الله عنه- قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «مَا كَرِهْتَ أَنْ يَرَاهُ النَّاسُ؛ فَلَا تَفْعَلْهُ إِذَا خَلَوْتَ»^(٢).

أي: إذا كنت في خلوة بحيث لا يراك إلا الله -تعالى- والحفظة، وهذا ضابط وميزان. وقال النابغة:

إن من يركب الفواحش سراً حين يخلو بسرّه غيرُ خالٍ
كيف يخلو وعنده كاتباه شاهداه وربُّه ذو المِحَالِ^(٣)

(١) انظر: «مختصر العلو» للذهبي ص (٢٠١).

(٢) رواه ابن حبان في «روضة العقلاء» ص (١٢، ١٣)، والضياء في «المختارة»، وحسنه الألباني في «الصحيحة» رقم (١٠٥٥).

(٣) «ديوان النابغة» ص (٦٤)، وذو المِحَالِ: عظيم المكر، شديد العقوبة.

وعن عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما- أنه قال: «لا يجد عبدٌ صريح الإيمان حتى يعلم بأن الله تعالى يراه، فلا يعمل سراً يُفتضح به يوم القيامة».

وعن عبد الله بن دينار قال: «خرجتُ مع ابن عمر إلى مكة، فعرّسنا^(١)، فأنحدر علينا راعٍ من جبل، فقال له ابن عمر: أراعٍ؟ قال: نعم، قال: بعني شاةً من الغنم، قال: إني مملوك، قال: قل لسيدك: أكلها الذئب، قال: فأين الله -عز وجل-؟ قال ابن عمر: فأين الله!! ثم بكى، ثم اشتراه بعدُ، فأعتقه!»^(٢)، وفي رواية: «فأعتقه، واشترى له الغنم»^(٣).

وقال أبو الفتح بن مخرق: تعلّق رجل بامرأة من بنات الشام، فتعرض لها وبيده سكين، لا يدنو منه أحد إلا عقّره،

(١) عرّس المسافرون، وأعرسوا: نزلوا آخر الليل للراحة.

(٢) انظر: «مجمع الزوائد» (٣٤٧/٩) ونسبه للطبراني، وقال: «ورجاله رجال الصحيح، غير عبد الله بن الحارث الحاطبي، وهو ثقة».

(٣) وفي «الإحياء» (٣٩٦/٤): أن الذي كان مع ابن دينار أمير المؤمنين عمر -رضي الله عنه-، وفي آخره: أنه أعتقه، وقال: «أعتقتك في الدنيا هذه الكلمة، وأرجو أن تُعتقك في الآخرة».

وكان الرجل شديد البدن، فبينما الناس كذلك، والمرأة تصيح من يده، إذ مرَّ بشرُّ بن الحارث الحافي، فدنا منه وحكَّ كتفه بكتف الرجل، فوقع الرجل إلى الأرض، ومضى بشرُّ، فدَنُوا من الرجل وهو يرشح عرقاً كثيراً، ومضت المرأة بحالها، فسألوه: «ما حالك؟» فقال: ما أدري، ولكنني حاكني شيخٌ، وقال: «إن الله ناظر إليك وإلى ما تعمل»؛ فضعفتُ لقوله قدماي، وهبتهُ هيبة شديدة، لا أدري من ذاك الرجل؟ فقالوا له: «ذاك بشر بن الحارث»، فقال: «واسوءتاه!! كيف ينظر إليَّ بعد اليوم؟!»، وحُمَّ الرجل من يومه، ومات اليوم السابع^(١).

وقال أبو عبد الله الأنطاكي: «أفضل الأعمال: ترك المعاصي الباطنة»، فقليل له: ولم ذلك؟ قال: «لأن الباطنة إذا تُركت كان صاحبها للمعاصي الظاهرة أترك».

(١) كتاب «التوايين» لابن قدامة ص (٢١٣).

وقال بعض أهل العلم: «من كانت سريرته أفضل من علانيته فذلك الفضل، ومن تساوت سريرته وعلانيته فذلك العدل، ومن كانت علانيته أفضل من سريرته فذلك الجور». وفي قوله -عز وجل-: ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى﴾ [العلق: ١٤] تنبيه على أن العبد إذا علم أن ربه يراه استحيا من ارتكاب الذنب.

ومن علم أن معبوده مشاهد لعبادته تعين عليه تزيين ظاهره بالخشوع، وباطنه بالإخلاص والحضور، فإنه يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور. قال ابن المبارك لرجل: «راقب الله تعالى»، فسأله عن تفسيره، فقال: «كن أبداً كأنك ترى الله -عز وجل-». وقال رجل لوهيب بن الورد: عظمي، قال: «اتق أن يكون الله أهون الناظرين إليك»^(١).

(١) «حلية الأولياء» (٨/ ١٤٢).

وقال سفيان الثوري: «عليك بالمراقبة ممن لا تخفى عليه خافية، وعليك بالرجاء ممن يملك الوفاء».

وقال ابن منظور - رحمه الله تعالى -: «فسّر النبي - صلى الله عليه وسلم - الإحسان حين سأله جبريل - صلوات الله عليهما وسلامه - فقال: «هو أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فهو يراك»، أراد بالإحسان الإشارة إلى المراقبة وحُسن الطاعة، فإن من راقب الله أحسن عمله»^(١).

وعن حاتم الأصم قال: «لو أن صاحب خبر جلس إليك لكنت تتحرز منه، وكلامك يُعرض على الله فلا تحترز!»^(٢).

وقال الربيع بن خثيم: «إذا تكلمت فاذكر سمع الله إليك، وإذا هممت فاذكر علمه بك، وإذا نظرت فاذكر نظره إليك، وإذا تفكرت فاذكر اطلاعه عليك، فإنه يقول تعالى: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٦].»

(١) «لسان العرب» (١٣ / ١١٥ - ١١٧).

(٢) «نزهة الفضلاء» (٢ / ٩٦١).

وجاء رجل إلى أبي يزيد البسطامي، فقال: أوصني؛ فقال له: انظر إلى السماء؛ فنظر إلى السماء؛ فقال له أبو يزيد: أتدري من خلق هذا؟ قال الله، قال أبو يزيد: «إن من خلقها لمُطَّلَعٌ عليك حيثُ كنتَ، فاحذره»^(١).
وعن زيد بن علي قال: «إني لأستحيي من عظمته أن أفضي إليه بشيء أستخفيه من غيره»^(٢).
وقال أبو عثمان الزاهد: «سرائركم سرائركم، فإن المُطَّلِعَ على السرائر يراقبكم»^(٣).
وقال رجل للجُنيد: «بم أستعين على غض البصر؟» فقال: «بعلمك أن نظر الناظر إليك أسبق من نظرك إلى المنظور إليه».

(١) «حلية الأولياء» (١٠ / ٣٥).

(٢) «شعب الإيمان» (٦ / ١٥٠) رقم (٧٧٥١).

(٣) «نفس المرجع».

وقال حميد الطويل لسليمان بن عليّ: عظمي، فقال:
«لئن كنت إذا عصيتَ الله خالياً ظننتَ أنه يراك، لقد اجترأتَ
على أمر عظيم، ولئن كنت ظننتَ أنه لا يراك، فقد كفرتَ».
وقال محمود الوراق:

ألا أيها المستطرف الذنب جاهلاً
هو الله لا تخفى عليه السرائرُ
فإن كنت لم تعرفه حين عصيته
فإن الذي لا يعرفُ الله كافر
وإن كنت من علم به قد عرفته
عصيت فأنت المستهين المجاهر
فأيها حالك اعتقدت فإنه
عليم بما تُطوى عليه الضمائر^(١)

وقال الجُنيد: «معاشر الفقراء، إنما عُرِفتم به، وأُكْرِمتُم
من أجله، فإذا خلوتُم؛ فانظروا كيف تكونون معه»^(٢)، وقال

(١) «نفسه» (٥/٤٦١).

(٢) «نفسه» (٥/٣٦٨).

-رحمه الله تعالى-: «من راقب الله في السر؛ حُرست جوارحه»^(١).

وعن محمد بن واسع قال: كان لقمان - عليه السلام - يقول لابنه: «يا بني، اتق الله، ولا تُر الناس أنك تخشى الله - عز وجل - ليكرموك بذلك، وقلبك فاجر».

وعن الأوزاعي قال: سمعت بلال بن سعد يقول: «لا تكن ولياً لله - عز وجل - في العلانية، وعدوّه في السر». كُنْ حَيًّا إِذَا خَلَوْتَ بِذَنْبٍ وَأَحْذَرِ السُّخْطَ مِنْ عَلِيٍّ مَجِيدٍ وعن ابن الأعرابي قال: «أخسر الخاسرين من أبدى للناس صالح أعماله، وبارز بالقبيح من هو أقرب إليه من حبل الوريد».

وقال الشافعي - رحمه الله تعالى - : «أشد الأعمال ثلاثة: الجود في القلة، والورع في خلوة، وكلمة الحق عند من يُرجى ويُخاف».

(١) «نفسه» (٥ / ٤٦١).

وعن الحسن في قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾ الآية [الجاثية: ٢٣]، قال: «هو المنافق لا يهوى شيئاً إلا ركبه».

وعنه - رحمه الله تعالى - قال: «من النفاق: اختلاف اللسان والقلب، واختلاف السر والعلانية، واختلاف الدخول والخروج».

وقال فرقد: «إن المنافق ينظر، فإذا لم ير أحداً دخل مدخل السوء، وإنما يراقب الناس، ولا يراقب الله تعالى».

وعن يحيى بن معاذ الرازي قال: «من خان الله في السر؛ هتك ستره في العلانية»^(١).

يا كاتم السرو مخفيه أين من الله تواريه
بارزت بالعصيان ربَّ العلا وأنت من جارك تخفيه

آخر:

مَنْ عَامَلَ اللَّهَ بِتَقْوَاهُ وَكَانَ فِي الْخُلُوتِ يَخْشَاهُ
سَقَاهُ كَأْسًا مِنْ لَذِيذِ الْمَنَى يُغْنِيهِ عَنْ لَذَّةِ دُنْيَاهُ

(١) «نفسه» (٥/٤٦٠).

آخر:

وإذا خلوتَ بريبةٍ في ظلمةٍ والنفْسُ داعيةٌ إلى الطغيانِ
فاستحي من نظرا لإله وقل لها إن الذي خلق الظلام يراني

آخر:

إذا كنت فردًا لا بمَرَأَى وَمَسْمَعٍ
مِنَ النَّاسِ فاحذَرِ مُنْشِئَ السَّمْعِ وَالْبَصَرِ
ولا تتركب ما لو دَرَاهُ ابْنُ آدَمَ
لِبَرْقَعِ خَدِّكَ التَّشْوُرُ^(١) وَالْخَفَرُ
مَسَاوِيكَ تُخْفِيهَا حِذَارًا مِنَ الْوَرَى
أليس إلهُ الْخَلْقِ أَخْلَقَ بِالْحَذَرِ
بلى فَتَصَوَّنُ فِي خَلَائِكَ فَوْقَ مَا
تَصَوَّنْتَ قَدَمًا بَيْنَ ظَهْرَانِي الْبَشَرِ
وَكُنْ رَجُلًا مَا سَرَّ مَا هُوَ مُعْلَنُ
مِنَ الْخَيْرِ إِلَّا دُونَ مَا سَرَّ مَا أَسَرُ

(١) شَوَّرْتُ الرَّجْلَ فَتَشَوَّرَ؛ إِذَا خَجَلَتْهُ، فَخَجَلَ.

استوصى رجل بعض السلف، فقال: «أوصيك بحفظ نفسك من نفسك، وتذكر قوله -عز وجل-: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ﴾ الآية [الأنعام: ٦٠].

إذا ما خلوت الدهر يوماً فلا تقل خلوت ولكن قل عليّ رقيب ولا تحسبن الله يغفل ساعةً ولا أن ما تخفيه عنه يغيب ألم تر أن اليوم أسرع ذاهباً وأن غداً للناظرين قريب قال الإمام ابن قيم الجوزية -رحمه الله تعالى-: «إنَّ العَبْدَ متى عَلِمَ أَنَّ الرَّبَّ تَعَالَى نَاطِرٌ إِلَيْهِ أَوْرَثُهُ هَذَا الْعِلْمُ حَيَاءٌ مِنْهُ سُبْحَانَهُ، فَيَجْذِبُهُ إِلَى احْتِمَالِ أَعْبَاءِ الطَّاعَةِ، وَذَلِكَ كَمَثَلِ الْعَبْدِ إِذَا عَمَلَ الشُّغْلَ بَيْنَ يَدَيِّ سَيِّدِهِ، فَإِنَّهُ يَكُونُ نَشِيطًا فِيهِ، مُحْتِمِلًا لِأَعْبَائِهِ، وَلَا سِيَّمَا مَعَ الْإِحْسَانِ مِنْ سَيِّدِهِ، وَاللَّهُ -عز وجل- لَا يَغِيبُ نَظْرَهُ عَنْ عَبْدِهِ، فَإِذَا مَا غَابَ نَظْرُ الْعَبْدِ عَنْ كَوْنِ الْمَوْلَى نَاطِرًا إِلَيْهِ تَوَلَّدَ مِنْ ذَلِكَ قَلَّةُ الْحَيَاءِ وَالْقِحَّةُ، هَذَا وَلَا سَتِيقْبَاحِ الْجَنَائِيَةِ النَّاشِئِ عَنِ الْحَيَاءِ دَرَجَتَانِ أُخْرَيَانِ،

دُنْيَا: وهي الاستِقبَاحُ الحَاصِلُ عَنْ مُلاحِظَةِ الوَعِيدِ، وَعُليَا:
وهي الاستِقبَاحُ الحَاصِلُ عَنِ المَحَبَّةِ.
وَمِنَ الحَيَاءِ مَا يَتَوَلَّدُ مِنْ تَحَقُّقِ القَلْبِ بِالمَعِيَّةِ الخَاصَّةِ
مَعَ اللّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - «^(١)».



(١) انظر: «مدارج السالكين» (٢/ ٢٦٤، ٢٦٥).

فصل

خلوة الذين يستحيون من الله - جل وعلا -

عن أنس - رضي الله عنه - قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : «ثلاث منجيات: خشية الله تعالى في السر والعلانية، والعدل في الرضا والغضب، والقصد في الفقر والغنى»^(١) الحديث.

وكان - صلى الله عليه وسلم - يقول في دعائه: «اللهم اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معاصيك»^(٢) الحديث، وكان يقول أيضًا: «وأسألك خشيتك في الغيب والشهادة»^(٣).

(١) قال المنذري في «الترغيب»: «رواه البزار والبيهقي وغيرهما، وهو مروي عن جماعة من الصحابة، وأسانيده - وإن كان لا يسلم شيء منها من مقال - فهو بمجموعها حسن إن شاء الله تعالى». اهـ (١/١٦٢).

(٢) جزء من حديث ابن عمر - رضي الله عنهما - رواه الترمذي رقم (٣٤٩٧)، وحسنه، وابن السني رقم (٤٤٠)، والحاكم (١/٥٢٨)، وصححه، ووافقه الذهبي.

(٣) جزء من حديث عمار بن ياسر - رضي الله عنه - رواه الإمام أحمد =

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال - صلى الله عليه وسلم - : «سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: إمام عادل، وشاب نشأ في عبادة الله، ورجل قلبه معلق بالمسجد إذا خرج منه حتى يعود إليه، ورجلان تحابا في الله، فاجتمعا على ذلك وافترقا عليه، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال، فقال: إني أخاف الله رب العالمين، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه»^(١).

وفي حديث الثلاثة الذين أطبقت عليهم صخرة وهم في الغار، فلم يجدوا بُدًّا من التوسل إلى الله بصالح أعمالهم، وفيه: أن الثالث استشفع بأنه: كانت له ابنة عم يهواها، فما زال يراودها عن نفسها، حتى ألَمَّ بها فحط، فراودها، فخضعت له، فلما تمكن منها، قالت له: «اتق الله،

= (٢٦٤/٤) والحاكم (٥٢٤/١، ٥٢٥)، وصححه، ووافقه الذهبي، ورواه أيضاً النسائي (٥٥/٣) في السهو.
(١) رواه البخاري (٢٩٣/٣ - فتح)، ومسلم رقم (١٠٣١)، والترمذي رقم (٢٣٩٢)، والنسائي (٨/٢٢٢، ٢٢٣).

ولا تفضَّ الخاتم إلا بحقه»، فإذا هو يرتعد من خشية الله،
وينصرف عنها، ويترك لها الذهب الذي أعطاها ابتغاء
وجه الله، فأزال الله الصخرة عن فم الغار بفضل أعمالهم
الصالحة ^(١).

ويُروى عن عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما- قال:
سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: «كان
فيمن كان قبلكم رجل اسمه الكفل، وكان لا ينزع عن شيء»،
وفي رواية: «كان الكفل من بني إسرائيل لا يتورع من ذنب
عمله، فأتى امرأة علم بها حاجة، فأعطاها عطاءً كثيراً -وفي
رواية: ستين ديناراً- فلما أرادها على نفسها ارتعدت، وبكت،
فقال: ما يُكيِّك؟ قالت: لأن هذا عمل ما عملته قط، وما حَمَلَنِي
عليه إلا الحاجة، فقال: تفعلين أنتِ هذا من مخافة الله؟ فأنا
أخرى، اذهبي فلكِ ما أعطيتُك، ووالله لا أعصيه أبداً، فمات من
ليلته، فأصبح مكتوباً على بابه: إن الله تعالى قد غفر للكفل،

(١) انظر: نص الحديث في «البخاري» (٤/٦٥٧، ٦٥٨)، ومسلم رقم
(٢٧٤٣)، وأبي داود رقم (٣٣٨٧).

فَعَجِبَ النَّاسُ مِنْ ذَلِكَ، حَتَّى أَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَى نَبِيِّ زَمَانِهِمْ
بِشَأْنِهِ» ^(١).

وعن سعيد بن جبیر قال: كان عمر بن الخطاب
- رضي الله عنه - إذا أمسى أخذ درّته، ثم طاف بالمدينة،
فإذا رأى شيئاً ينكره أنكره، فبينما هو ذات ليلة يَعُشُّ ^(٢) إذ
مَرَّ بامرأة على سطح، وهي تقول:

تَطَاوَلَ هَذَا اللَّيْلُ وَأَخْضَلَّ ^(٣) جَانِبُهُ وَأَرْقَنِي أَنْ لَا خَلِيلَ أَلَا عِبُهُ
فَوَاللَّهِ لَوْلَا اللَّهُ لَا رَبَّ غَيْرَهُ لَحُرِّكَ مِنْ هَذَا السَّرِيرِ جَوَانِبُهُ
مَخَافَةَ رَبِّي وَالْحَيَاءِ يَصُونُنِي وَأُكْرِمُ بَعْلِي أَنْ تُنَالَ مَرَاقِبَهُ

(١) رواه - بنحوه - الترمذي رقم (٢٤٩٦) (٤/٦٥٧، ٦٥٨)، وقال: «حديث
حسن»، وابن حبان رقم (٢٤٥٣ - موارد)، وهو عند الحاكم (٤/٢٥٤،
٢٥٥)، وصححه، ووافقه الذهبي، وضعفه الألباني في «الضعيفة» رقم
(٤٠٨٣).

(٢) عَسَّ: طاف بالليل يكشف عن أهل الرّيبة.

(٣) أَخْضَلَّ: أظلم، وأقبل طيبُ بَرْدِهِ.

ثم تنفست الصُّعْدَاءُ^(١)، وقالت: «لهان على عمر ابن الخطاب ما لقيتُ الليلة»، فضرب باب الدار، فقالت: من هذا الذي يأتي إلى امرأة مُغَيِّبة^(٢) هذه الساعة؟ فقال: افتحي، فأبت، فلما أكثر عليها، قالت: أما والله لو بلغ أمير المؤمنين لعاقبك، فلما رأى عفافها قال: افتحي فأنا أمير المؤمنين، قالت: كذبت ما أنت بأمر المؤمنين، فرفع بها صوته، وجهر لها، فَعَرَفَتْ أنه هو، ففتحت له، فقال: هيه كيف قلت؟ فأعادت عليه ما قالت، فقال: أين زوجك؟ قالت: في بعث كذا وكذا، فبعث إلى عامل ذلك الجند أن سرِّح فلان بن فلان، فلما قدم عليه قال: اذهب إلى أهلك، ثم دخل على حفصة ابنته، فقال: أي بنية، كم تصبر المرأة عن زوجها؟ فقالت: شهرًا واثنين وثلاثة، وفي الرابع ينفد الصبر، فجعل ذلك أجلاً للبعث^(٣).

(١) الصُّعْدَاءُ: المشقة، وتنفس الصعداء: نفسًا ممدودًا، أو مع توجُّع.

(٢) مُغَيِّبة: غاب عنها زوجها.

(٣) انظر: «مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب» لابن الجوزي ص (٨٣، ٨٤)، =

وعن الشعبي قال: مرَّ عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- في بعض طرق المدينة، فسمع امرأة تقول: دَعَتْنِي النَّفْسُ بَعْدَ خُرُوجِ عَمْرٍو إِلَى اللَّذَاتِ فَاطَّلَعَ التَّلَاعُ^(١) فَقُلْتُ لَهَا عَجِلْتِ فَلَئِنْ تُطَاعِي وَلَوْ طَالَتْ إِقَامَتُهُ رِبَاعًا^(٢) أَحَازِرُ إِنْ أَطْعَمْتُكَ سَبَّ نَفْسِي وَمَخْزَاةٌ تُجَلِّلُنِي قِنَاعًا فقال عمر - وأُتِيَ بالمرأة -: أي شيء منعك؟ قالت: «الحياء، وإكرام عِرْضِي»، فقال -رضي الله عنه-: «إِنَّ الْحَيَاءَ لِيَدُلَّ عَلَى هَنَاتٍ ذَاتِ أَلْوَانٍ، مَنْ اسْتَحْيَا اسْتَخْفَى، وَمَنْ اسْتَخْفَى اتَّقَى، وَمَنْ اتَّقَى وُقِيَ»، وكتب إلى صاحب زوجها، فأقفله إليها.

وراود رجل امرأة، فقالت: ألا تستحيي؟ فقال: لا يرانا إلا الكواكب، فقالت: «وأين أنت من مُكْوَكِبِهَا؟».

= و«المصنف» لعبد الرزاق (١٢٥٩٤/٧)، و«المغني» (٢٩/٧).

(١) التَّلَاعُ جمع تَلْعَةٍ: وهي ما ارتفع من الأرض.

(٢) رِبَاعٌ: جمع ربيع، وانظر: «القاموس المحيط» ص (٩٢٨) - طبعة مؤسسة الرسالة ١٤١٣ هـ.

وقال عباس الدُّوري: كان بعض أصحابنا يقول: كان
سفيان الثوري كثيراً ما يتمثل بهذين البيتين:
تفنى اللذائذُ ممن نال صفوتها من الحرام ويبقى الوزرُ والعارُ
تبقى عواقبُ سوءٍ في مَعْبَتِها لا خير في لذةٍ من بعدها النارُ^(٣)
وكان أبو عبد الله الأنطاكي يقول: «أفضل الأعمال:
ترك المعاصي الباطنة»، فقليل له: ولم ذلك؟ قال: «لأن
الباطنة إذا تُركت كان صاحبها للمعاصي الظاهرة أترك».
وكان أحد الزهاد يقول: «يا ويحي، عاملتُ الناسَ
بالأمانة، وعاملتُ ربي بالخيانة، فليتني عكستُ»، ثم يبكي.
وقال مجاهد في قوله تعالى: ﴿وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ﴾
جَنَّانٍ ﴿[الرحمن: ٤٦]﴾: «هو الرجل يخلو بمعصية الله، فيذكر
مقام الله فيَدَعُهَا فَرَقًا من الله».
فمن ثم قال الإمام أحمد - رحمه الله -: «الفتوة: ترك ما
تهوى لما تخشى».

(٣) «روضة المحبين» ص (٣٣٠).

وقال بشر بن الحارث: «لا تجد حلاوة العبادة حتى تجعل بينك وبين الشهوات حائطًا من حديد».

وعن زيد بن أسلم قال: «خَلَّتَانِ فَمَنْ أَخْبَرَكَ أَنَّ الْكَرَامَةَ إِلَّا فِيهِمَا فَكَذَّبْهُ: إِكْرَامُكَ نَفْسَكَ بِطَاعَةِ اللَّهِ، وَإِكْرَامُكَ نَفْسَكَ عَنْ مَعَاصِي اللَّهِ»^(١).

وعن مالك بن دينار قال: «إِنَّ الْأَبْرَارَ تَغْلِي قُلُوبَهُمْ بِأَعْمَالِ الْبِرِّ، وَإِنَّ الْفَجَّارَ تَغْلِي قُلُوبَهُمْ بِأَعْمَالِ الْفَجْرِ، وَاللَّهُ يَرَى هُمُومَكُمْ، فَاَنْظُرُوا فِي هُمُومِكُمْ»^(٢).

وقال ابن الجوزي: «وَالرَّجُلُ - وَاللَّهُ - مَنْ إِذَا خَلَا بِمَا يُحِبُّ مِنَ الْمَحْرَمِ، وَقَدَّرَ عَلَيْهِ، وَتَقَلَّقَ عَطْشًا إِلَيْهِ، نَظَرَ إِلَى نَظَرِ الْحَقِّ إِلَيْهِ، فَاسْتَحْيَا مِنْ إِجَالَةِ هَمِّهِ فِيمَا يَكْرَهُهُ، فَذَهَبَ الْعَطَشُ».

(١) «شعب الإيمان» (٥ / ٤٥٠).

(٢) «نفسه» (٥ / ٤٦٠).

وعن شقيق بن سلمة أنه تلا هذه الآية: ﴿إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا﴾ الآية [مريم: ١٨]، قال: «لقد عَلِمْتُ أَنَّ التَّقِيَّ ذُو نُهْيَةٍ».

وقال محمد بن الفضل: «ما خطوت أربعين سنة خطوة لغير الله - عز وجل -، وأربعين سنة ما نظرت في شيء أَسْتَحْسِنُهُ حياءً من الله - عز وجل -».

وقال أبو مسلم الخولاني: «من نعمة الله عَلَيَّ أنني منذ ثلاثين سنة ما فعلت شيئاً يُسْتَحْيَا منه إلا قربي من أهلي».

وعن محمد بن سيرين أنه - رحمه الله - قال: «ما غشيت امرأة قط لا في يقظة ولا في نوم غير أم عبد الله، وإنني لأرى المرأة في المنام، فأعلم أنها لا تحل لي، فأصرف بصري».

قال بعضهم: «ليت عقلي في اليقظة كعقل ابن سيرين في المنام!».

يَقْظَاتِهِ وَمَنَامِهِ شَرْعٌ^(١) كُلُّ بِكُلٍّ فَهُوَ مُشْتَبِهٌ

(١) شَرْعٌ: سواء.

إِنْ هَمَّ فِي حُلْمٍ بِفَاحِشَةٍ زَجَرْتُهُ عَفَّتُهُ فَيَنْتَبِهُ
آخِر:

فَسِرِّي كإِعْلَانِي وَتِلْكَ خَلِيقَتِي
وِظْلَمَةٌ لَيْلِي مِثْلُ ضَوْءِ نَهَارِي^(١)
وَقَالَ مُسْلِمُ بْنُ الْوَلِيدِ يَمْدَحُ مَنْ يَكُونُ فِي خُلُوتِهِ
كَمَشْهَدِهِ مَعَ النَّاسِ:
يَتَجَنَّبُ الْهَفْوَاتِ فِي خُلُوتِهِ
عَفُّ السَّرِيرَةِ غَيْبُهُ كَالْمَشْهَدِ



(١) «أدب الدنيا والدين» ص (٢٥).

فصل

خلوة الذين لا يستحيون من الله

- سبحانه وتعالى -

أما الذين لا يستحيون من الله -تعالى- في خلواتهم؛ فإنه يبدو لهم -إذا وافوا يوم القيامة- من الله ما لم يكونوا يحتسبون:

عن أبي عامر الأهاني -رضي الله عنه- قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «لَأَعْلَمَنَّ أَقْوَامًا مِنْ أُمَّتِي يَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِحَسَنَاتٍ أَمْثَالِ جِبَالِ تِهَامَةٍ^(١) بِيضًا، فَيَجْعَلُهَا اللَّهُ هَبَاءً مَنْثُورًا»، قال ثوبان: «يا رسول الله، صِفْهُمْ لَنَا، جَلِّهِمْ لَنَا، أَلَّا نَكُونَ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَا نَعْلَمُ»، قال: «أَمَّا إِنَّهُمْ إِخْوَانُكُمْ، وَمَنْ

(١) تِهَامَةٌ: اسم لكل ما نزل من نجد في بلاد الحجاز، ومكة من تِهَامَةٍ، سميت تِهَامَةٌ مِنَ التَّهَمِّ، وهو شدة الحر، وركود الريح.

جلدتكم^(١)، ويأخذون من الليل كما تأخذون^(٢)، ولكنهم أقوام إذا خَلَوْا بمحارم الله انتهكوها^(٣).

وَصَحَّ عنه - صلى الله عليه وسلم - أنه قال يوم النحر: «... ألا وإني فَرَطُكُمْ^(٤) على الحوض أنظركم، وإني مكاثرٌ بكم الأمم، فلا تُسَوِّدُوا وجهي^(٥)» الحديث^(٦).

وقال ميمون بن مهران: «علانيةٌ بغيرِ سريرةٍ مثلُ كَنيفٍ^(٧) مُزْخَرَفٍ مِنْ خارجه، ومن داخله التَّنُّ والخبث». ودَعِ الذين إذا أتوك تنسَّكوا وإذا خَلَوْا فهم ذنابٌ خفاف

(١) أي: من جنسكم.

(٢) أي: لهم نصيب من التهجد وقيام الليل.

(٣) أخرجه ابن ماجه (٤٢٤٥)، وصححه المنذري في «الترغيب» (١٧٨/٣)، والبوصيري في «الزوائد» (٣٠٦/٣)، وهو في «السلسلة الصحيحة» رقم (٥٠٥).

(٤) فَرَطُكُمْ على الحوض: مُتَقَدِّمُكُمْ إليه.

(٥) فلا تسودوا وجهي: بأن تكثروا المعاصي، فلا تصلحوا لأن يُفْتَخَرَ بمثلكم.

(٦) رواه الإمام أحمد (٤٨٢/٣٨) ط. الرسالة، وابن ماجه (٣٠٥٧) من حديث ابن مسعود -رضي الله عنه-، وصححه الألباني.

(٧) الكنيف هنا: المرحاض.

قال محمد بن إسحاق: نزل السري بن دينار في درب
بمصر، وكانت فيه امرأة جميلة فتنّت الناس بجمالها،
فعلمت به المرأة، فقالت: «لأفتننه»، فلما دخلت من باب
الدار تكشّفت، وأظهرت نفسها، فقال: «ما لك؟»، فقالت:
«هل لك في فراش وطيّ، وعيش رخيّ؟»، فأقبل عليها
وهو يقول:

وكم ذي معاصٍ نال منهن لذةً
ومات فخلّاهَا وذاق الدواهيَا
تَصَرَّمْ لذاتُ المعاصي وتَنقُضِي
وتَبْقَى تَبَاعَاتُ^(١) المعاصي كما هيَا
فيا سَوَاتِنَا واللَّهُ راءٍ وسامعٌ
لعبدٍ بعينِ اللَّهِ يَغْشَى المعاصيَا^(٢)

عن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: «يا صاحب
الذنب لا تأمن من سوء عاقبته، ولَمَّا يَتَّبِعِ الذنبُ أعظمُ

(١) تباعة الأمر: عاقبته، وما يترتب عليه من أثر.

(٢) «روضة المحبين» ص (٣٣٩).

من الذنب إذا عملته: قلّة حياثك ممّن على اليمين وعلى الشمال - وأنت على الذنب - أعظم من الذنب الذي عملته، وضحكك - وأنت لا تدري ما الله صانع بك - أعظم من الذنب، وفرحك بالذنب - إذا ظفرت به - أعظم من الذنب، وحزنك على الذنب - إذا فاتك - أعظم من الذنب إذا ظفرت به، وخوفك من الريح إذا حرّكت ستر بابك - وأنت على الذنب، ولا يضطرب فؤادك من نظر الله إليك - أعظم من الذنب إذا عملته»^(١).

وقال ابن السماك: «لقد أمهلكم حتى كأنه أهملكم، أما تستحيون من الله من طول ما لا تستحيون؟!». وقال ابن رجب - رحمه الله تعالى - : «خاتمة السوء تكون بسبب دسيسة باطنة للعبد، لا يطلع عليها الناس».

(١) «حلية الأولياء» (١/ ٣٢٤).

وقال بعضهم:

«ذنوب الخلوات تؤدي إلى الانتكاسات، وطاعة
الخلوات طريق للثبات حتى الممات».

أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ مِمَّا يَعْلَمُ اللَّهُ إِنَّ الشَّقِيَّ لَمَنْ لَا يَرْحَمُ اللَّهُ
مَا أَحْلَمَ اللَّهُ عَمَّنْ لَا يَرِاقِبُهُ كُلُّ مُسِيءٍ وَلَكِنْ يَخْلُمُ اللَّهُ
فَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ مِمَّا كَانَ مِنْ زَلَلٍ طُوبَى لِمَنْ كَفَّ عَمَّا يَكْرَهُهُ اللَّهُ
طُوبَى لِمَنْ حَسُنَتْ سَرِيرَتُهُ طُوبَى لِمَنْ يَنْتَهِي عَمَّا نَهَى اللَّهُ



فصل

المحسنون... وعمل السر

إن المحسنين الذين يعبدون الله كأنهم يرونه - عز وجل -؛ لم يكتفوا بتخلية خلواتهم عن المعاصي والمخالفات، بل زينوها بالطاعات والقربات، وعمروها بألوان العبادات، امتثالاً لأمر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - القائل: «من استطاع منكم أن يكون له خَبءٌ من عملٍ صالحٍ فليُفعل»^(١).

وبَيَّنَّ - صلى الله عليه وسلم - فضيلة عمل السر، ومحبة الله - عز وجل - لأهله، وذلك فيما رواه أبو ذر - رضي الله عنه - أنه - صلى الله عليه وسلم - قال: «ثلاثة يحبهم الله، وثلاثة يَشْنُوهم الله: الرجل يلقي العدوَّ في فئة فينصبُ لهم نحره حتى يُقتلَ أو يُفتَحَ لأصحابه، والقومُ يسافرون فيطوُلُ سُرَاهم حتى

(١) رواه من حديث الزبير: الضياء كما في «الجامع الصغير»، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٢٤٠ / ٥).

يُحِبُّوا أَنْ يَمَسُّوا الْأَرْضَ، فَيَنْزِلُونَ؛ فَيَتَنَحَّى أَحَدُهُمْ، فَيَصْلِي حَتَّى يَوْقُظَهُمْ لِرَحِيلِهِمْ، وَالرَّجُلُ يَكُونُ لَهُ الْجَارُ يُؤْذِيهِ جَارُهُ، فَيَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُ حَتَّى يَفْرُقَ بَيْنَهُمَا مَوْتُ أَوْ ظَعْنٌ، وَالَّذِينَ يَشْنُوهُمْ اللَّهُ: التَّاجِرُ الْحَلَّافُ، وَالْفَقِيرُ الْمُخْتَالُ، وَالْبَخِيلُ الْمَنَّانُ»^(١).

وعن ابن مسعود -رضي الله عنه- قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «عجب ربنا من رجلين: رجلٍ ثار عن وِطَائِهِ وَلِحَافِهِ مِنْ بَيْنِ حَيِّهِ وَأَهْلِهِ إِلَى صَلَاتِهِ رَغْبَةً فِيمَا عِنْدِي، وَشَفَقًا مِمَّا عِنْدِي، وَرَجُلٍ غَزَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَانْهَزَمَ مَعَ أَصْحَابِهِ، فَعَلِمَ مَا عَلَيْهِ فِي الْإِنْهَزَامِ، وَمَا لَهُ فِي الرَّجُوعِ، فَرَجَعَ حَتَّى أُهْرِيقَ دَمُهُ، فَيَقُولُ اللَّهُ لِمَلَائِكَتِهِ: انْظُرُوا إِلَى عَبْدِي رَجَعَ رَغْبَةً فِيمَا عِنْدِي، وَشَفَقًا مِمَّا عِنْدِي حَتَّى أُهْرِيقَ دَمُهُ»^(٢).

(١) رواه الإمام أحمد (١٥٣/٥)، والترمذي رقم (٢٥٦٨)، وقال: «هذا حديث صحيح»، وبنحوه الحاكم (٤١٦/١)، وقال: «صحيح على شرط الشيخين»، ووافقه الذهبي.

(٢) أخرجه الإمام أحمد (٤١٦/١)، والبخاري في «شرح السنة» (٩٣٠/٤)، وصححه ابن حبان (٦٤٣)، وحسنه الهيثمي في «المجمع» (٢٥٥/٢)، وصححه الشيخ أحمد شاكر في تعليقه على «المسند» (٣٩٤٩/٦).

وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال رسول الله -
صلى الله عليه وسلم-: «حُرِّمَ عَلَى عَيْنَيْنِ أَنْ تَمَسَّهُمَا النَّارُ:
عَيْنَ بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ، وَعَيْنَ بَاتَتْ تَحْرُسُ الْإِسْلَامَ وَأَهْلَهُ مِنْ
أَهْلِ الْكُفْرِ»^(١).

وكان الزبير بن العوام -رضي الله عنه- يقول: «اجعلوا
لكم خبيئة من العمل الصالح، كما أن لكم خبيئة من العمل
السيئ».

وقال معاوية بن قرة: «من يدلني على رجل يبكي بالليل،
ويبتسم في النهار؟» يعني: أن ذلك قليل.

وعن الحسن، عن سمرة بن جندب -رضي الله
عنه- قال: «مَنْ سَرَّه أَنْ يَعْلَمَ مَا لَهْ عِنْدَ اللَّهِ؛ فَلْيَنْظُرْ
مَا لِلَّهِ عِنْدَهُ، وَمَنْ سَرَّه أَنْ يَعْلَمَ مَكَانَ الشَّيْطَانِ مِنْهُ فَلْيَنْظُرْهُ
عِنْدَ عَمَلِ السَّرِّ».

(١) رواه الحاكم (٨٣/٢)، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٨٩/٣).

وقال الإمام الشافعي - رحمه الله تعالى -: «من أحب أن يفتح الله قلبه أو ينوره؛ فعليه بترك الكلام فيما لا يعنيه، واجتناب المعاصي، ويكون له خبيئة فيما بينه وبين الله - تعالى - من عمل».

وقال سفيان بن عيينة: قال أبو حازم: «اكتُم حسناتِك أشد مما تكتُم سيئاتك».

وقال سفيان الثوري: «بلغني أن العبد يعمل العمل سرًّا فلا يزال به الشيطان حتى يغلبه، فيُكتب في العلانية، ثم لا يزال الشيطان به حتى يُحبَّ أن يُحمَد عليه فيُنسخ من العلانية، فيثبت في الرياء».

وقال أيوب السَّخْتِيَانِي: «والله ما صدق عبد إلا سرَّه ألا يُشعرَ بمكانه».

وقال أيضًا: «لأن يستر الرجلُ الزهدَ خير له من أن يُظهره».

وقال بشر بن الحارث: «لا أعلم رجلاً أحبَّ أن يُعرف إلا ذهب دينُهُ وافتُضِحَ»، وقال: «لا يجد حلاوة الآخرة رجل يحب أن يعرفه الناس».

وقال الحارث المحاسبي - رحمه الله تعالى -: «الصادق هو الذي لا يبالي لو خرج كل قدر له في قلوب الخلق من أجل صلاح قلبه، ولا يحب اطلاع الناس على مثاقيل الذر من حسن عمله».

ولقد حفلت سير السلف الصالح ومن سلك سبيلهم

بنماذج رائعة من الاجتهاد في عمل السر، فهناك بعضها:

قال أبو حمزة الثمالي: كان علي بن الحسين يحمل جراب الخبز على ظهره بالليل، فيتصدق به، ويقول: «إن صدقة السر تطفئ غضب الرب - عز وجل -».

وعن شيبه بن نعام قال: «كان علي بن الحسين يُبَخِّل، فلما مات وجدوه يقوَّت مائة أهل بيت بالمدينة».

قال جرير: «إنه حين مات وجدوا بظهره آثارًا مما كان يحمل بالليل الجُرْبَ ^(١) إلى المساكين».

وعن محمد بن إسحاق: «كان ناس من أهل المدينة يعيشون، لا يدرون من أين كان معاشهم، فلما مات علي ابن الحسين فقدوا ما كانوا يُؤْتَوْنَ به في الليل» ^(٢).

وقال سفيان الثوري تلميذ منصور: «لو رأيت منصورًا يصلي لقلت: يموت الساعة»، وقال زائدة بن قدامة تلميذه: «صام منصور أربعين سنة، وقام ليلها، وكان يبكي الليل كله، فإذا أصبح كحل عينيه، وبرق شفتيه، ودهن رأسه، فتقول له أمه: أقتلت قتيلاً؟ أي: لكثرة ما ترى من بكائه وَوَجَلِهْ وعبادته لله - تعالى - فيقول: أنا أعلم بما صنعت نفسي».

وكان ابن سيرين يضحك بالنهار، فإذا جنَّ الليل فكأنه قتل أهل القرية.

(١) الجُرْبُ: جمع جراب، وهو وعاء يُحفظ فيه الزاد ونحوه.

(٢) انظر: «حلية الأولياء» (١/ ١٣٥، ١٣٦).

وكان أبو وائل إذا صلى في بيته ينشج نشيجًا، ولو جُعِلَتْ
له الدنيا على أن يفعله وأحدٌ يراه ما فعله ^(١).

وكان أيوب السخثياني يقوم الليل كله، فيُخفي ذلك،
فإذا كان عند الصبح رفع صوته، كأنه قام تلك الساعة.
وقال حماد بن زيد: «كان أيوب ربما حَدَّثَ بالحديث
فيرق، فيلتفت فيتمخط، ويقول: ما أشد الزكام!» يُظْهر أنه
مزكوم لإخفاء البكاء، رجاء أن يكون ممن يظلمهم الله في
ظله يوم لا ظل إلا ظله.

فإذا فشل أحدهم في اصطناع المرض لإخفاء الدموع؛
فإنه يقوم خشية أن يُكشف أمره، قال الحسن البصري: «إن
كان الرجل ليجلس المجلس فتجيئه عبرته فيردها، فإذا
خشي أن تسبقه قام» ^(٢).

وعنه أيضًا أنه قال: «إن كان الرجل لقد جمع القرآن وما
يشعر به جأؤه، وإن كان الرجل لقد فقه الفقه الكثير، وما

(١) «الزهد» للإمام أحمد (٣٥٨).

(٢) «نفس المراجع» ص (٢٦٢).

يشعر به الناس، وإن كان الرجل ليصلي الصلاة الطويلة في بيته وعنده الزَّوْرُ^(١)، وما يشعرون به، ولقد أدركنا أقوامًا ما كان على ظهر الأرض من عمل يقدرّون على أن يعملوه في سر فيكون علانية أبدًا، ولقد كان المسلمون يجتهدون في الدعاء وما يُسمع لهم صوت، إن كان إلا همسًا بينهم وبين ربهم - عز وجل - ذلك أن الله - عز وجل - يقول: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ الآية [الأعراف: ٥٥]، وذلك أن الله - تعالى - ذكر عبدًا صالحًا، ورضي قوله فقال: ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ، نِدَاءً خَفِيًّا﴾، الآية [مريم: ٣].

وعن محمد بن زياد قال: رأيت أبا أمامة أتى على رجل في المسجد، وهو ساجد يبكي في سجوده، ويدعو ربه، فقال أبو أمامة: «أنت أنت! لو كان هذا في بيتك؟».

وقال محمد بن واسع: «إن كان الرجل ليبكي عشرين

سنة، وامرأته معه لا تعلم به»^(٢).

(١) الزَّوْرُ هنا: جمع زائر، كراكب وركب.

(٢) «حلية الأولياء» (٢/ ٣٤٧).

وقال - رحمه الله تعالى - : «لقد أدركت رجالاً كان الرجل يكون رأسه مع رأس امرأته على وسادة واحدة، قد بلّ ما تحت خده من دموعه لا تشعر به امرأته، ولقد أدركت رجالاً يقوم أحدهم في الصف فتسيل دموعه على خده، ولا يشعر به الذي إلى جنبه»^(١).

وعن ابن أبي عدي قال: صام داود بن أبي هند أربعين سنة لا يعلم به أهله، وكان خرازاً^(٢) يحمل معه غداءه من عندهم، فيتصدق به في الطريق، ويرجع عشيّاً فيفطر معهم. وعن القاسم بن محمد قال: كنا نساfer مع ابن المبارك، فكثيراً ما كان يخطر ببالي، فأقول في نفسي: «بأي شيء فضّل هذا الرجل علينا حتى اشتهر في الناس هذه الشهرة؟ إن كان يصلي إنا لنصلي، وإن كان يصوم إنا لنصوم، وإن كان يغزو فإننا لنغزو، وإن كان يحج، إنا لنحج»، قال: فكنا في بعض مسيرنا في طريق الشام ليلة نتعشى في بيت إذ طفئ السراج،

(١) «نفس المراجع» (٢/٣٤٧).

(٢) الخراز: صانع الخرز، ومن حُرِفَتْه خياطة الجلد.

فقام بعضنا فأخذ السراج، وخرج يستصبح^(١)، فمكث هنيهة ثم جاء بالسراج، فنظرتُ إلى وجه ابن المبارك ولحيته قد ابتلت من الدموع، فقلت في نفسي: «بهذه الخشية فُضِّلَ هذا الرجلُ علينا، ولعله حين فقد السراج، فصار إلى ظلمة، ذَكَرَ القيامة»^(٢).

وقال قَطَنُ بن سعيد: «ما أفطر ابن المبارك قط، ولا رُئي صائماً قط»^(٣)، ولما قدم من البصرة إلى بغداد سأل عن محمد بن واسع، فلم يعرفه أحد، فقال: «إنه من فضله لم يُعرف»، وازداد فيه محبة وتعظيماً لإسراجه بالعبادة، وبعده عن الشهرة^(٤).

وأخبر محمد بن أعين - وكان صاحبَ ابنِ المباركِ في الأسفار، وكان كريماً عليه - قال: كان ذات ليلة ونحن

(١) يستصبح: يوقد المصباح.

(٢) «صفة الصفوة» (٤/ ١٢١).

(٣) «حلية الأولياء» (٨/ ١٦٧).

(٤) «تنبيه المغترين» ص (١٢).

في غزاة الروم، ذهب ليضع رأسه ليريني أنه ينام، فقعدت أنا ورمحي في يدي قبضت عليه، ووضعت رأسي على الرمح كأنني أنام كذلك، فظن أنني قد نمت، فقام فأخذ في صلاته، فلم يزل كذلك حتى طلع الفجر وأنا أرمقه، فلما طلع الفجر جاء فأيقظني، وظن أنني نائم، وقال: «يا محمد» فقلت: «إني لم أنم»، فلما سمعها مني؛ ما رأيته بعد ذلك يكلمني، ولا ينسبط إليّ في شيء من غزاته كلها، كأنه لم يعجبه ذلك مني، لما فطنت له من العمل، فلم أزل أعرفها فيه حتى مات، ولم أَر رجلاً قط أسَرَ بالخير منه ^(١).

وَحَدَّث عبدة المروزي قال: كنا في سرية مع عبد الله ابن المبارك في بلاد الروم، فصادفنا العدو، فلما التقى الصفان خرج رجل من العدو، فدعا إلى البراز، فخرج إليه رجل فقتله الرومي، ثم آخَرُ فقتله، فتأخر عنه المسلمون، فصال وجال بين الصفين، ودعا إلى البراز، فخرج إليه رجل

(١) «تقدمة الجرح والتعديل» ص (٢٢٦).

فطارده ساعة، ثم طعنه فقتله، فازدحم إليه الناس، فكنت فيمن ازدحم إليه، فإذا هو يلثم وجهه بكمه حتى لا يعرفه الناس، فأخذت بطرف كمه فمددته، وأزحته عن وجهه، فإذا هو عبد الله بن المبارك، فقال: «وأنت يا أبا عمرو ممن يُشنع علينا!»^(١) أي: تنشر خبرنا؟

وقال محمد بن عيسى: كان ابن المبارك كثير الاختلاف إلى طرسوس، وكان ينزل الرقة في خان، فكان شاب يختلف إليه، ويقوم بحوائجه، ويسمع منه الحديث، فقدم عبد الله الرقة مرة فلم يره، فخرج في النفيير مستعجلاً، فلما رجع سأل عن الشاب، فقالوا: «إنه محبوس على عشرة آلاف درهم»، فاستدل على الغريم، ووزن له عشرة آلاف، وحلفه أن لا يخبر أحداً ما دام عبد الله حياً، فأخرج الرجل، وسرى ابن المبارك، فلحقه الفتى على مرحلتين من الرقة، فقال له: «يا فتى، أين كنت؟ لم أرك»، قال:

(١) «تاريخ بغداد» (١٠/١٦٧)، و«سير أعلام النبلاء» (٨/٣٩٤).

«يا أبا عبد الرحمن، كنت محبوباً بدين»، قال: «وكيف خلصت؟» قال: «جاء رجل، فقصي ديني، ولم أدر»، قال: «فاحمد الله»، ولم يعلم الرجل إلا بعد موت عبد الله ^(١).

ثواب المحسنين:

هذا هو الإحسان، وهؤلاء هم المحسنون الذين يود المجرم أن يعود إلى الدنيا لينضم إلى حزبهم، قال تعالى: ﴿أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنِّي كُنتَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الزمر: ٥٨]، لأنهم صفوة الله من خلقه: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ الآية [النساء: ١٢٥].

هؤلاء هم المحسنون الذين يفوزون بمعية الله الخاصة، قال تعالى: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ الآية [العنكبوت: ٦٩]، وقال -عز وجل-: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٨]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ

(١) «سير أعلام النبلاء» (٣٨٦/٨)، وانظر: «تاريخ بغداد» (١٥٩/١٠).

قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ [الأعراف: ٥٦]، هم الذين قال الله
- عز وجل - فيهم: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾
[الكهف: ٣٠]، وقال: ﴿إِنَّكَ اللَّهُ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾
[التوبة: ١٢٠]، وقال سبحانه: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا
أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٧٢]، وهم الذين أمر الله تعالى نبيه
- صلى الله عليه وسلم - أن يبشرهم فقال: ﴿وَبَشِّرِ
الْمُحْسِنِينَ﴾ الآية [الحج: ٣٧].

هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ؟

إن هؤلاء المحسنين أخلصوا العمل لله، وراقبوه مراقبة
من ينظر إلى ربه، لكمال علمهم بأن الله ينظر إليهم، ويرى
حالهم، ويسمع مقالهم، فطرحوا النفوس بين يديه، وأقبلوا
بكليتهم عليه، والتجأوا منه إليه، وعادوا به منه، وأحبوه
من كل قلوبهم، فامتلات بنور معرفته فلم تتسع لغيره،
فبه يبصرون، وبه يسمعون، وبه يبطشون، وبه يمشون،
وبرؤيتهم يُذكر الله تعالى، وبذكره يُذكرون.

ذكروا الله - تعالى - فذكروهم، وشكروه فشكروهم،
وتوَلَّوه ووالوا فيه فتوَلَّاهم، وعادوا أعداءه لأجله، فأذن
بالحرب من عاداهم، وأحسنوا عبادة ربهم فأحسن
جزاءهم وأجزله، عبدوه على قدر معرفتهم به فجازاهم
بفضله: ﴿لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَى﴾ الآية [الرعد: ١٨]،
وزادهم ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]،
والحسنى التي وعد الله - تعالى - المحسنين هي الجنة،
وأما الزيادة فهي النظر إلى وجه الله - عز وجل - كما رواه
مسلم^(١) عن صهيب عن النبي - صلى الله عليه وسلم -.
فلما كانوا يعبدون الله - عز وجل - في الدنيا على وجه
الحضور والمراقبة كأنهم يرونه بقلوبهم، وينظرون إليه في
حال عبادتهم إياه، كان جزاءهم على ذلك النظر إلى وجه
الله - عز وجل - في الآخرة عِيَانًا بأبصارهم.

(١) في «صحيحه» (١/ ٢٩٧، ٢٩٨)، ص (١٦٣).

وعكس هذا ما أخبر به عن المكذبين الذين ران على
قلوبهم ما كانوا يكسبون، فقال تعالى فيهم: ﴿كَذَّابَةٌ عَنْ
رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّحُجُوبٌ﴾ [المطففين: ١٥]، لما كان حالهم في الدنيا
التكذيب، وأعقبهم ذلك التكذيب تراكم الرّان على قلوبهم
حتى حُجبت عن معرفته ومراقبته في الدنيا، فكان جزاءهم
على ذلك أن حُجبوا عن رؤيته في الآخرة، وذلك قول الله
- عز وجل -: ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسْتَوُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا
بِالْحُسْنَى﴾ الآية [النجم: ٣١].



كيف يُكتسبُ الحياءُ؟

لو كانت الأخلاق صفاتٍ لازمةً تُخلق في الإنسان ويُطبع عليها، فلا يمكنه تغييرها ولا تبديلها ولا تعديلها؛ كسائر صفاته الجسدية من طول وقصرٍ ولون؛ لما أمر الشرع بالتخلق بالأخلاق الحسنة، والتخلي عن القبيحة، فلو لم يكن ذلك ممكناً مقدوراً للإنسان لما ورد به الشرع؛ لأنه «لا تكليف إلا بمقدور» و«لا تكليف بمستحيل»، قال الله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ۝١ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ [الشمس: ٩، ١٠]^(١)، وقال - صلى الله عليه وسلم -: «إنما العلم بالتعلم، والحلم بالتحلم، ومن يتحرَّ الخير يُعطه، ومن يتوقَّ الشرَّ يُوقه»^(٢)، لكن الناس يتفاوتون في مقدار أهليتهم

(١) ولم يقل - عز وجل -: «قد أفلح من تعلم كيفية تزكيتها»، إشارة إلى أن المقصود بالعلم هو: تزكية الأفعال بمباشرة الأعمال المحققة لزكاة النفس وتطهيرها، وليس مجرد العلم النظري.

(٢) أخرجه الخطيب في «تاريخه» (٩/ ١٢٧)، وحسنه الألباني في «الصحيحة» رقم (٣٤٢).

وقدرتهم واستعدادهم لاكتساب الأخلاق أو تعديلها، فمن
جُبِلَ على خُلُقٍ معينٍ يسهل عليه ترسيخ هذا الخلق في
نفسه؛ لأن فطرته تعينه عليه .

وفيما يتعلق بخلق الحياء فقد قدمنا أن منه جبلياً ومنه
كسبياً، وهاك بعض الوسائل التي تعين على اكتساب الحياء
وترسيخه:

أولاً: الإمساك عما تقتضيه قلة الحياء من أفعال وأقوال،
كالكلام الفاحش والبذيء، مراغمة وإغاطة للشيطان الذي
يزين هذه الأفعال، ويغري بها، فإن هذا يؤيسه من التحريض
عليها، فيخنس ويخزي.

ومن الأدب القرآني في هذا التكنية وعدم التصريح
بالألفاظ التي تחדش الحياء إلا فيما لا بد منه لمصلحة
شرعية.

ثانيًا: إدمان مطالعة فضائل الحياء، وترديدها على القلب، وجمع الهمة على تحصيل أعلى درجات الحياء، والسعي الحثيث في التحلي به.

ثالثًا: تقوية الإيمان والعقيدة في القلب؛ لأن الحياء ثمرة الإيمان، ومعرفة الله - عز وجل -.

رابعًا: التعبّد بالتفكر في أسماء الله الحسنى التي تستوجب المراقبة والإحسان، كأسمائه: الشهيد، والرقيب، والعليم، والسميع، والبصير، والمحيط، والحفيظ، قال حاتم الأصم: «تعاهد نفسك في ثلاث: إذا عملت فاذكر نظر الله إليك، وإذا تكلمت فاذكر سمع الله منك، وإذا سكت فاذكر علم الله فيك».

خامسًا: المواظبة على العبادات المفروضة والمندوبة؛ كالصلاة التي قال - تعالى - في شأنها: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ الآية [العنكبوت: ٤٥]، وقد قيل لرسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «إن فلانًا يصلي

الليل كله، فإذا أصبح سرق!»، فقال -صلى الله عليه وسلم-: «سينهاه ما تقول» أو قال: «ستمنع صلواته»^(١).

وكالزكاة التي قال سبحانه فيها: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾ الآية [التوبة: ١٠٣].

سادساً: لزوم الصدق وتحريه، وتجنب الكذب؛ لأن الصدق يهدي إلى البر، قال -صلى الله عليه وسلم-: «عليكم بالصدق، فإن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة»^(٢) الحديث، والحياء من جملة البر.

سابعاً: المواظبة على تكلف الحياء مرة بعد مرة حتى تألفه النفس، وتعتاده، ويصير لها طبعاً وسجية، وهذا

(١) رواه من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- الإمام أحمد (٤٤٧/٢)، والطحاوي في «المشكّل» (٤٣٠/٢)، وغيرهم، وصححه ابن حبان (٦٣٩ - موارد)، وقال في «المجمع»: «رواه أحمد، والبزار، ورجاله رجال الصحيح» (٢٥٨/٢).

(٢) رواه البخاري في «الأدب المفرد» رقم (٣٨٦)، ومسلم رقم (٢٦٠٦) وغيرهما.

يستلزم التجميل بالصبر، كالمريض الذي يصبر على تعاطي الدواء المر.

ثامناً: مخالطة الصالحين، ورؤيتهم، والسماع منهم، والاستمداد من حيائهم.

قال بعضهم: «أحي حيائك بمجالسة مَنْ يُستَحيا منه». وقال مجاهد: «لو أن المسلم لم يُصَبَّ من أخيه إلا أن حياءه منه يمنعه من المعاصي؛ لكفاه»^(١).

تاسعاً: استحضار حياء المثل الأعلى للبشرية رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، ومطالعة سيرته العطرة، وشمائله الكريمة، ثم استحضار حياء صحابته -رضي الله عنهم- وسيرتهم لا سيما الخلفاء الراشدين، والعشرة المبشرين بالجنة، وأصحاب بدر، وأصحاب بيعة الرضوان، وسائر المهاجرين والأنصار، ثم من تبعهم من أهل العلم والإيمان.

(١) «مكارم الأخلاق» ص (٨٤).

عاشراً: اعتزال البيئة الفاسدة والموبوءة التي تصد عن الخلق الحسن ^(١)، والتنزّه عن معاشرّة قليلي الحياء، والتحول إلى الصحبة الصالحة، وفي حديث قاتل المائة أن العالم قال له: «... ومن يحول بينك وبين التوبة؟ انطلق إلى أرض كذا وكذا، فإن بها ناساً يعبدون الله، فاعبد الله معهم، ولا ترجع إلى أرضك، فإنها أرض سوء...» ^(٢) الحديث.

وهذا آخر ما تيسر جمعه في هذا الباب، تبصرة وذكرى لأولي الألباب، ونستغفر الله - عز وجل - من كل ما زلّ ^(١) وبخاصة أجهزة الفساد السمعية منها والبصرية التي تنسف الحياء نسفاً، وتدمره تدميراً، وقد كتب بعضهم شعراً على لسانها، فقال:

هل تعلمون من أنا	أنا مصدّر الخنا
أنا الذي يصور الـ	خبث بصورة السنّا
أنا الذي بداركم	يشرح أسرار الزنا
أنا عدو لبقاء	أنا صديق للفنا
أنا عدو داركم	أنا مقوِّض البنا
أمنيّتي سامية	تفوق في الدنيا المني
أمنيّتي تحطيم كل	خيرٍ يملأ الدُّنا

وانظر: كتاب «الإجهاز على التلفاز» للمؤلف.

^(٢) رواه البخاري (٥١٢/٦) (٣٤٧٠)، ومسلم (٢٧٦٦).

به القدم، أو طغى به القلم، ونستغفره من أقاويلنا التي لا
توافق أعمالنا، ونستغفره من كل ما ادعينا وأظهرناه من
العلم باب الحياء مع التقصير فيه، ونسأله أن يجعلنا بما
علمناه عاملين، ولو جهه به مريدين، وألا يجعله وبالا علينا،
وأن يضعه في ميزان الصالحات إذا رُدَّتْ أعمالنا إلينا، إنه
جواد كريم.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَحْبُ طَاعَتِكَ؛ وَإِنْ قَصَّرْنَا فِيهَا، وَنَكْرَهُ
مَعْصِيَتِكَ؛ وَإِنْ رَكَبْنَاهَا، فَتَفَضَّلَ عَلَيْنَا بِالْجَنَّةِ؛ وَإِنْ لَمْ
نَسْتَحِقَّهَا، وَخَلَّصْنَا مِنَ النَّارِ؛ وَإِنْ اسْتَوْجَبْنَاهَا، فَيَا مَنْ لَا
تَضُرُّهُ الذُّنُوبُ، وَلَا تَنْقُصُهُ الْمَغْفِرَةُ، هَبْ لِي مَا لَا يَضُرُّكَ،
وَأَعْطِنِي مَا لَا يَنْقُصُكَ.

يَا رَبِّ إِنِّ عَظُمْتُ ذُنُوبِي كَثْرَةً فَلَقَدْ عَلِمْتُ بِأَنْ عَفْوُكَ أَعْظَمُ
إِنْ كَانَ لَا يَرْجُوكَ إِلَّا مُحْسِنٌ فَمَنْ الَّذِي يَدْعُو وَيَرْجُو الْمَجْرِمُ
أَدْعُوكَ يَا رَبِّ كَمَا أَمَرْتَ تَضَرَّعًا فَإِذَا رُدِدْتُ فَمَنْ ذَا يَرْحَمُ
مَا لِي إِلَيْكَ وَسِيلَةٌ إِلَّا الرَّجَا وَجَمِيلُ عَفْوِكَ ثُمَّ إِنِّي مُسْلِمٌ

اللهم صلّ على محمدٍ عبدك ورسولك النبي الأمي،
وعلى آل محمدٍ وأزواجه وذريته، كما صليت على إبراهيم
وعلى آل إبراهيم، وبارك على محمد النبي الأمي، وعلى آل
محمد وأزواجه وذريته، كما باركت على إبراهيم، وعلى آل
إبراهيم في العالمين، إنك حميد مجيد، والحمد لله رب
العالمين.

الإسكندرية في

الأحد ٨ من ربيع الأول ١٤١٣هـ

الموافق ٦ من سبتمبر ١٩٩٢م

وكان الفراغ من مراجعته وتنقيحه في

الخميس العاشر من المحرم ١٤٢٧هـ

الموافق ٩ من فبراير ٢٠٠٦م

ملحق

مُنَاجَاةُ الْمُحْسِنِينَ

فِي الْخَلَوَاتِ

ملحق

مناجاة المحسنين في الخلوات

إن كثيراً من الناس قد تنقذ في نفسه المعاني، لكن تقصر عبارته عن الإفصاح عنها، فإذا وقف على من فُتح عليه في هذا الباب، وصادف عنده جرح قلبه ومعاناة نفسه؛ انتفع بها.

كما أن من اعتاد مناجاة ربه - عز وجل - في الخلوات، ذاق من حلاوة المعرفة ولذة المناجاة ما تتصاغر معه الدنيا بما فيها، حتى قال بعضهم:

«إنه ليكون لي إلى الله حاجة؛ فأدعوه، فيفتح لي من لذيذ معرفته، وحلاوة مناجاته ما لا أحب معه أن يُعَجَّل قضاء حاجتي خشية أن تنصرف نفسي عن ذلك؛ لأن النفس لا تريد إلا حظها، فإذا قُضي انصرفت»^(١).

(١) انظر: «مجموع الفتاوى» (٣٣٤ / ١٠)، (٣٨٥ / ٢٢).

ولا شكَّ أن الشاءَ على الله -عزَّ وجلَّ- ودعاءه بما
صحَّ عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- هو الأفضل
مطلقاً والأحسن والأسلم، لكن يبقى دعاء الصالحين في
دائرة المباح بشرط سلامته من التكلف والتعدي ومخالفة
العقيدة الصحيحة، قال النووي -رحمه الله تعالى- في
شرح قول النبي -صلى الله عليه وسلم-: «ثم يتخير من
المسألة - وفي لفظ: من الدعاء - ما شاء»، وفيه أنه يجوز
الدعاء^(١) بما شاء من أمور الآخرة والدنيا، ما لم يكن
إثمًا، وهذا هو مذهبنا ومذهب الجمهور، وقال أبو حنيفة
-رحمه الله تعالى-: «لا يجوز إلا بالدعوات الواردة في
القرآن والسنة»^(٢).

ولا شكَّ أن باب الدعاء توقيفي لا ينبغي الخروج فيه
عمَّا رسمه الشارع في الجملة، والمقصود بالدعاء هنا:

(١) أي: بعد التشهد، وقبل السلام، وانظر: «البداية والنهاية»، (١١/٢٥٨،
٢٥٩).

(٢) «شرح النووي على صحيح مسلم» (٤/١١٧).

الأدعية الرّاتبة التي تتكرر، ويلازمها المكلف، أو التي تختص بوقتٍ معين، أو وظيفة معينة، أو صفة معينة. أما مطلق الأدعية التي تحصل من المكلف بدون تحرٍّ وملازمة؛ فهي ليست توقيفية، لكن الأفضل الالتزام بالمأثور، وإلا فقد استبدل الداعي الذي هو أدنى بالذي هو خير.

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله تعالى-:

«الأذكار والدعوات من أفضل العبادات، والعبادات مبناهما على الاتباع، وليس لأحد أن يسنَّ منها غير المسنون، ويجعله عادة راتبة يواظب الناس عليها، بل هذا ابتداع دينٍ لم يأذن به الله، بخلاف ما يدعوه المرء أحياناً من غير أن يجعله سُنَّة»^(١).

(١) «ملحق مصنفات شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب» ص (٤٦).

فشرط التعامل مع هذه المناجاة: أن تُقرأ بصفةٍ عابرة
دون أن يواظِبَ عليها، ويجعلها شعاره وديدَنه كأنها سنة،
وَألا ينشغل بها عن دعوات القرآن الكريم، والسُّنَّة الشريفة،
والحمد لله رب العالمين.

- بسم الله الرحمن الرحيم، لا حول ولا قوة إلا بالله
العلي العظيم، إياك نعبد، وإياك نستعين.
- الحمد لله، اللهم ربنا لك الحمدُ بما خلقتنا، ورزقتنا،
وهديتنا، وعَلَّمتنا، وأنقذتنا، وفرَّجْتَ عنا.
- لك الحمدُ بالإيمان، ولك الحمدُ بالإسلام، ولك
الحمدُ بالقرآن، ولك الحمدُ بالأهل والمال والمعافة.
- كَبَّتْ عُدُونَا، وبسطتْ رزقنا، وأظهرتْ أَمَنَّا، وجمعتْ
فُرْقَتَنَا، وأحسنَتْ معافَاتنا، ومن كل ما سألناكَ رَبَّنَا أعطيتنا،
فلك الحمد على ذلك حمداً كثيراً.

- لك الحمد بكل نعمة أنعمتَ بها علينا في قديمٍ أو حديث، أو سرٍّ أو علانية، أو خاصةٍ أو عامة، أو حيٍّ أو ميت، أو شاهدٍ أو غائب.

- لك الحمد حتى ترضى، ولك الحمد إذا رضيت، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم.

- اللهم فاطر السموات والأرض، عالم الغيب والشهادة، يا ذا الجلال والإكرام، إني أعهدُ إليك في هذه الحياة الدنيا، وأشهدُكَ - وكفى بك شهيدًا - أني أشهد أن لا إله إلا أنت وحدك، لا شريك لك، وأن محمدًا عبدك ورسولك، وأشهد أن وعدك حق، ولقاءك حق، والجنة حق، والنار حق، وأن الساعة آتيةٌ لا ريب فيها، وأنت تبعثُ من في القبور، فإنك إن تكِلني إلى نفسي تكِلني إلى ضعفٍ وعورةٍ، وذنبٍ وخطيئةٍ، وإني لا أثق إلا برحمتك، فاغفر لي ذنوبي كلّها، وتُبْ عَلَيَّ إنك أنت التَّوَّاب الرحيم.

لَكَ الْحَمْدُ كَمْ مِنْ كُرْبَةٍ قَدْ كَشَفَتْهَا
بَنُورٍ مِنَ اللَّطْفِ الْخَفِيِّ تَجَلَّتْ
لَكَ الْحَمْدُ فَاكْشِفْ كُرْبَةَ الْحَشْرِ إِنْ دَجَتْ^(١)

بَنُورٍ مِنَ الْغُفْرَانِ وَالرَّحْمَةِ الَّتِي
- اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ،
وعلى آل محمدٍ وأزواجه وذريته، كما صليت على إبراهيم
وعلى آل إبراهيم، وبارك على محمدٍ، وعلى آل محمد
وأزواجه وذريته، كما باركت على إبراهيم، وعلى آل
إبراهيم في العالمين، إنك حميدٌ مجيدٌ.

- يا ذا الجلال والإكرام اجعل لي من كلِّ همٍّ أمسيْتُ فيه
فرجًا ومخرجًا، اللَّهُمَّ إِنْ عَفَوَكَ عَنْ ذُنُوبِي، وَتَجَاوَزَكَ عَنْ
خَطِيئَتِي، وَسَتَرَكَ عَنْ قَبِيحِ عَمَلِي، أَطْمَعَنِي أَنْ أَسْأَلَكَ مَا
لَا أَسْتَحِقُّهُ بِمَا قَصُرْتُ فِيهِ، أَدْعُوكَ آمَنًا، وَأَسْأَلَكَ مُسْتَأْنَسًا،
وَإِنَّكَ لَمُحْسِنٌ إِلَيَّ، وَإِنِّي لَمَسِيءٌ إِلَى نَفْسِي فِيمَا بَيْنِي
وَبَيْنَكَ، تَتَوَدَّدُ إِلَيَّ، وَأَتَبَغَّضُ إِلَيْكَ، وَلَكِنْ الثِّقَةُ بِكَ حَمَلَتْني

(١) دَجَا: تَمَّ وَاكْتَمَلَ.

على الجراءة عليك، فَجُدْ بفضلِكَ وإحسانِكَ عَلَيَّ، إِنَّكَ
أنت التواب الرحيم.

غريبٌ على باب الرجاءِ طريقُ
يناديك موصولَ الجوى وينوحُ

يهونُ عذابُ الجسمِ والروحِ سائلاً
فكيف وروحُ المستهامِ جُروحُ
- اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بعزك مع ذُلِّي إِلا رَحِمْتَنِي، وَأَسْأَلُكَ
بقوتك مع ضَعْفِي، وبغنائك مع فقري إِلَيْكَ، هذه ناصيتي
الكاذبةُ الخاطئةُ بين يديكَ، لا ملجأ ولا مَنْجى مِنْكَ إِلا
إِلَيْكَ، أَسْأَلُكَ مسألةَ المسكينِ، وأَبْتَهِلُ إِلَيْكَ ابْتِهَالَ الخاضعِ
الذليلِ، وأَدْعوكَ دعاءَ الخائفِ الضريرِ، سؤَالَ مَنْ خَضَعَتْ
لَكَ رَقَبَتُهُ، وَرَغِمَ لَكَ أَنْفُهُ، وَفَاضَتْ لَكَ عَيْنُهُ، وَذَلَّ لَكَ قَلْبُهُ.

لبستُ ثوبَ الرجا والناسُ قد رقدوا
وقمتُ أشكو إلى مولاي ما أجْدُ
وقلتُ: يَا عُدَّتِي فِي كُلِّ نَائِبَةٍ
وَمَنْ عَلَيْهِ لِكُشْفِ الضُّرِّ اعْتَمَدُ

وقد مددتُ يدي والضرُّ مشتمل
إليك يا خَيْرَ مَنْ مُدَّتْ إِلَيْهِ يَدُ
فلا تَرُدَّنَّهَا يَا رَبَّ خَائِبَةً
فبحر جُودِكَ يَروِي كُلُّ مَنْ يَرِدُ

- تم نورُك فهديتَ، فلك الحمد، عَظُمَ حِلْمُكَ فغفرتَ،
فلك الحمد، بسطتَ يدك فأعطيتَ، فلك الحمد، ربَّنَا
وجهُكَ أَكْرَمُ الوجوه، وجاهُكَ أَعْظَمُ الجاهِ، وعطيَّتُكَ
أَفْضَلُ العطيةِ وأَناها، تُطاعُ رَبَّنَا فَتَشْكُرُ، وتُعْصى فتُغفرُ،
وتجيبُ المضطرَّ، وتكشفُ الضُّرَّ، وتُشفى السقيمَ، وتغفرُ
الذنبَ، وتقبلُ التوبةَ، ولا يُجْزِي بِآلائِكَ أَحَدٌ، ولا يبلغُ
مِدْحَتَكَ قَوْلُ قَائِلٍ.

- يا من أظهرَ الجميلَ، وسترَ القبيحَ، يا من لا يؤاخذُ
بالجريرةَ، ولا يهتكُ السُّتْرَ، يا حَسَنَ التجاوزِ، يا واسعَ
المغفرةَ، يا باسطَ اليدينَ بالرحمةِ، يا صاحبَ كُلِّ نجوى، يا
منتَهى كُلِّ شكوى، يا كريمَ الصَّفحِ، يا عظيمَ المَنِّ، يا مبتدئًا

بِالنَّعْمِ قَبْلَ اسْتِحْقَاقِهَا، يَا رَبَّنَا وَيَا سَيِّدَنَا وَيَا مَوْلَانَا وَيَا غَايَةَ
رَغْبَتِنَا، أَسْأَلُكَ يَا أَلَلَّهُ أَنْ لَا تَشْوِيَ خَلْقِي بِالنَّارِ.

- إلهي ما أكرمك! إن كانت الطاعات؛ فأنت اليوم
تبذلها، وغداً تقبلها، وإن كانت الذنوب؛ فأنت اليوم
تسترها، وغداً تغفرها، فنحن من الطاعات بين عطيتك
وقبولك، ومن الذنوب بين سترك ومغفرتك.
- يَا رَبَّ النَّارِ مَا لَنَا قُوَّةٌ عَلَى النَّارِ، وَلَا طَاقَةٌ لَنَا بِغَضَبِ
الْجَبَّارِ.

الْأَمَانَ الْأَمَانَ وَزُرِّي ثَقِيلَ وَذُنُوبِي إِذَا عُدِدْتَ تَطْوِيلَ
أَوْبَقَتْنِي وَأَوْثَقَتْنِي ذُنُوبِي فَتَرَى لِي إِلَى الْخِلَاصِ سَبِيلَ
- اللَّهُمَّ أَنْتَ أَحَقُّ مَنْ ذُكِرَ، وَأَحَقُّ مَنْ عُبدَ، وَأَعْظَمُ
مَنْ ابْتُغِيَ، وَأَرْأَفُ مَنْ مَلَكَ، وَأَجْوَدُ مَنْ سُئِلَ، وَأَوْسَعُ مَنْ
أَعْطِيَ، أَنْتَ الْمَلِكُ لَا شَرِيكَ لَكَ، وَالْفَرْدُ لَا نِدَّ لَكَ، كُلُّ
شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَكَ، لَنْ تُطَاعَ إِلَّا بِإِذْنِكَ، وَلَنْ تُعْصَى إِلَّا
بِعِلْمِكَ، تُطَاعُ فَتَشْكُرُ، وَتُعْصَى فَتُغْفِرُ، أَقْرَبُ شَهِيدَ، وَأَدْنَى

حفيظ، حُلَّتْ دون النفوس، وأخذت بالنواصي، وكتبت
الآثار، ونسخت الآجال، القلوبُ لك مُفضية، والسرُّ عندك
علانية، الحلال ما أحللت، والحرام ما حرَّمت، والدينُ ما
شرَّعت، والأمر ما قضيت، الخلقُ خلقك، والعبدُ عبدك،
وأنت الرءوف الرحيم.

- اللَّهُمَّ لك الحمدُ كُلُّهُ، لا قابضُ لما بسطت، ولا باسطُ
لما قبضت، ولا هاديَ لِمَن أضللت، ولا مُضِلَّ لِمَن هديت،
ولا معطيَ لما منعت، ولا مانعَ لما أعطيت، ولا مُقَرِّبَ لما
باعدت، ولا مباعدَ لما قَرَّبْتَ، اللَّهُمَّ ابسطْ علينا من بركاتك
ورحمتك وفضلك ورزقك، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ النعيمَ المقيمَ
الذي لا يحولُ ولا يزول، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الأَمْنَ يومَ
الخوف، اللَّهُمَّ إِنِّي عَائِدُكَ من شرِّ ما أعطيتنا، ومن شرِّ ما
منعتنا، اللَّهُمَّ حَبِّبْ إلينا الإيمانَ، وزَيِّنْهُ في قلوبنا، وكرِّهْ إلينا
الكفرَ والفسوقَ والعصيانَ، واجعلنا من الراشدين، اللَّهُمَّ
توفنا مسلمين، وألحقنا بالصالحين غيرَ خزايا ولا مفتونين،

اللَّهُم قاتل الكفرة الذين يُكذِّبون رُسُلَكَ ويصدون عن سبيلك، واجعل عليهم رِجْزَكَ وعذابَكَ إله الحق.

- يا قديم الإحسان، يا مَنْ إحسانُهُ فوقَ كُلِّ إحسان، يا مالِكَ الدنيا والآخرة، يا حيُّ يا قيوم، يا ذا الجلال والإكرام، يا مَنْ لا يُعْجِزُهُ شيءٌ، ولا يتعاضمه، أسألك العفو والعافية في الدنيا والآخرة.

- عَفْوَكَ يَا عَفُوَّ عَفْوَكَ، في المحيا عَفْوَكَ، وفي المماتِ عَفْوَكَ، وفي القبور عَفْوَكَ، وعند النشور عَفْوَكَ، وعند تطاير الصحف عَفْوَكَ، وعند ممرِّ الصراطِ عَفْوَكَ، وعند الميزان عَفْوَكَ، وفي جميع الأحوال عَفْوَكَ يَا عَفُوَّ عَفْوَكَ.

يا رَبِّ عَبْدِكَ قَدْ أَتَاكَ وَقَدْ أَسَاءَ وَقَدْ هَافَا
يَكْفِيهِ مِنْكَ حَيَاؤُهُ مِنْ سَوْءٍ مَا قَدْ أَسْلَفَا
وَقَدْ اسْتَجَارَ بِذِيلِ عَفَاكَ مِنْ عِقَابِكَ مُذْ جَفَا
رَبِّ اعْفُ عَنْهُ وَعَافِهِ فَلَأَنْتَ أَوْلَى مَنْ عَفَا

- إلهي أَخْلَقْتَ الْوُجُوهَ عِنْدَكَ كَثْرَةُ الذُّنُوبِ وَمَسَاوِي
الْأَعْمَالِ، يَا مَنْ لَا يَعْرِفُ عِبَادَهُ مِنْهُ إِلَّا الْجَمِيلَ، أَنْتَ تَعْلَمُ
السِّرَّ وَأَخْفَى، اللَّهُمَّ أَغْنِنَا وَتُبْ عَلَيْنَا.

كَانَ لِي قَلْبٌ أَعِيشُ بِهِ ضَاعَ مِنِّي فِي تَقَلُّبِهِ
رَبِّ فَارْدُدْهُ عَلَيَّ فَقَدْ ضَاقَ صَدْرِي فِي تَطَلُّبِهِ
وَأَغْنِ مَا دَامَ بِي رَمَقُ يَا غِيَاثَ الْمُسْتَغِيثِ بِهِ

- اللَّهُمَّ إِنْ اسْتَغْفَارِي مَعَ إِصْرَارِي لِلْثُّومِ، وَإِنْ تَرَكِي
اسْتَغْفَارَكَ مَعَ عِلْمِي بِسَعَةِ عَفْوِكَ لَعَجْزُ، فَكَمْ تَتَقَرَّبُ إِلَيَّ
بِالنِّعَمِ مَعَ غِنَاكَ عَنِّي! وَكَمْ أَتَبْغِضُ إِلَيْكَ بِالْمَعَاصِي مَعَ
فَقْرِي إِلَيْكَ! يَا مَنْ إِذَا وَعَدَ وَفَى، وَإِذَا أَوْعَدَ فَإِنْ شَاءَ بِفَضْلِهِ
عَفَا، أَدْخَلَ عَظِيمَ جُرْمِي فِي عَظِيمِ عَفْوِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.
لِمَ لَا نُرَجِّي الْعَفْوَ مِنْ رَبِّنَا وَكَيْفَ لَا نَطْمَعُ فِي حِلْمِهِ
وَفِي الصَّحِيحِينَ أَتَى أَنَّهُ بَعْبِدِهِ أَرْحَمُ مِنْ أُمِّهِ
- اللَّهُمَّ إِنْ تَغْفِرْ لِي، فَأَنْتَ أَهْلُ ذَاكَ، وَإِنْ تَعَذِّبْنِي، فَأَنَا
أَهْلُ ذَاكَ.

- اللّٰهُمَّ مغفرتُك أوسعُ من ذنوبي، ورحمتك أرجى
عندي من عملي.

أسيرُ الخطايا عند بابك واقفُ
على وِجَلٍ مما به أنت عارفُ
يخافُ ذنوبًا لم يَغِبْ عنك غيبُها
ويرجوكَ فيها فهو راجٍ وخائفُ
ومَن ذا الذي يَرجو سِوَاكَ ويتَّقِي
ومالكُ في فصلِ القضاءِ مُخالفُ
فيا سيدي! لا تُخزني في صحيفتي
إذا نُشِرتْ يومَ الحسابِ الصحائفُ
وكن مؤنسي في ظلمةِ القبرِ عندما
يُصدُّ ذُوو القُربى ويَجفُو الموالفُ
لئن ضاق عني عفوك الواسعُ الذي
أُرجِي لإسرافي فإني لَتالِفُ

- اللّٰهُمَّ إني أعوذ بك أن تُحسِّنَ في لوائحِ العيونِ
علايتي، وتقبَّحَ في خَفِيَّاتِ العيونِ سريري، اللّٰهُمَّ كما
أسأتُ وأحسنَتَ إليَّ، فإذا عُدْتُ؛ فَعُدْ عَلَيَّ.

أنا مذنبٌ أنا مخطئٌ أنا عاصي هو غافرٌ هو راحمٌ هو عافي
قابلتُهن ثلاثة بثلاثة ولتَغْلِبَنَّ أوصافُه أوصافي
- يا ربَّ أنت أنت، وأنا أنا، أنا العوَّادُ إلى الذنب، وأنت
العوَّادُ إلى المغفرة .

أيُّ شيءٍ تريدُ مني الذنوبُ شُغِضْتُ بي فليس عني تغيب
ما يضر الذنوبَ لو أعتقتني رحمةٌ لي فقد علاني المشيب



يا ربَّ إن العبدَ يُخْفِي ذنبَه فاستر بحلمك ما بدا من عيبه
ولقد أتاك وما له من شافع لذنوبه فاقبل شفاعةً شبيهه



إن الملوكة إذا شابت عبيدهم في رقهم عتقوهم عتق أبرار
وأنت يا سيدي أولى بذا كرمًا قد شبت في الرق فاعتقني من النار
- اللَّهُمَّ دَبِّرْ لَنَا، فَإِنَّا لَا نُحْسِنُ التَّدْبِيرَ .

- اللَّهُمَّ اسْتُرْنِي فَوْقَ الْأَرْضِ، وَارْحَمْنِي تَحْتَ الْأَرْضِ،
وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ الْعَرْضِ .

فيا ربّ كن لي مُؤنسًا يومَ وَحْشَتِي
فإني لما أنزلته لمُصدّق
وما ضَرَّنِي أني إلى الله صائرٌ
ومَن هو مِن أهلي أبرُّ وأشفقُ
- إلهي خيرُك إلَيّ نازل، وشَرِّي إليك صاعدٌ، وكم من
مَلِكٍ كريمٍ قد صعد إليك مني بعملٍ قبيح! أنت مع غناك
عني تتحبَّبُ إلَيّ بالنعَم، وأنا مع فقري إليك وفاقتي أَتَمَقَّتْ
إليك بالمعاصي، وأنت في ذلك تجبرني، وتسترنني،
وترزقني.
إلهي لك الحمدُ الذي أنتَ أهُلُّهُ
على نِعَمٍ ما كنتُ قَطُّ لها أَهلاً
إن ازددتُ تقصيراً تزدني تفضلاً
كأنَّ بالتقصير أستوجبُ الفضلاً
- يا محسنًا إلَيّ قبل أن أطلب، لا تُخَيِّبْ أُملي فيكَ وأنا
أطلب.

- اللَّهُمَّ مَا مَنَنْتَ بِهِ فَتَمِّمَهُ، وَمَا أَنْعَمْتَ بِهِ فَلَا تَسْلُبْهُ، وَمَا
سَتَرْتَهُ فَلَا تَهْتِكْهُ، وَمَا عَلِمْتَهُ فَاغْفِرْهُ.

قَدَّمْتُ بَيْنَ يَدَيَّ نَفْسًا أَذْنَبْتُ وَأَتَيْتُ بَيْنَ الْخَوْفِ وَالْإِقْرَارِ
وَجَعَلْتُ أَسْتُرُ عَنْ سِوَاكَ ذُنُوبَهَا حَتَّى عَيَّيْتُ فَمَنْ لِي بِسِتَارِ
- اللَّهُمَّ اسْتَرْنَا بِسِتْرِكَ الْجَمِيلِ، وَاجْعَلْ تَحْتَ السِّتْرِ مَا
تَرْضَى بِهِ عَنَا.

- اللَّهُمَّ إِنْ لَمْ أَكُنْ أَهْلًا أَنْ أَبْلُغَ رَحْمَتَكَ، فَإِنْ رَحِمْتَكَ
أَهْلٌ أَنْ تَبْلُغَنِي؛ رَحْمَتُكَ وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ، وَأَنَا شَيْءٌ،
فَلْتَسَعْنِي رَحْمَتُكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ، وَتُبْ عَلَيَّ لِأَتُوبَ.
يَا نَفْسُ مَا هَذَا الْأَسَى وَالْكَدْرُ قَدْ وَقَعَ الْإِثْمُ وَضَاعَ الْحَذَرُ
هَلْ ذَاقَ حُلُوَّ الْعَفْوِ إِلَّا الَّذِي أَذْنَبَ، وَاللَّهُ عَفَا وَاغْتَفَرَ
- اللَّهُمَّ إِنَّكَ خَلَقْتَ قَوْمًا فَاطَاعُوكَ فِيمَا أَمَرْتَهُمْ، وَعَمِلُوا
فِي الَّذِي خَلَقْتَهُمْ لَهُ، فَرَحِمْتُكَ إِيَاهُمْ كَانَتْ قَبْلَ طَاعَتِهِمْ لَكَ
يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

وَإِنِّي لِأَرْجُو اللَّهَ حَتَّى كَأَنِّي أَرَى بِجَمِيلِ الظَّنِّ مَا اللَّهُ صَانِعُ

- اللَّهُمَّ يَا رَبَّ كُلِّ شَيْءٍ، أَسْأَلُكَ بِقُدْرَتِكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، أَنْ تَغْفِرَ لِي كُلَّ شَيْءٍ، حَتَّى لَا تَسْأَلَنِي عَنْ شَيْءٍ.
إِنْ جَلَّ ذَنْبِي عَنِ الْغُفْرَانِ لِي أَمَلٌ فِي اللَّهِ يَجْعَلَنِي فِي خَيْرِ مُعْتَصِمٍ
- اللَّهُمَّ إِنْ لِي ذَنْبًا فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَكَ، وَذَنْبًا فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَ خَلْقِكَ، اللَّهُمَّ مَا كَانَ لَكَ مِنْهَا فَاغْفِرْهُ، وَمَا كَانَ مِنْهَا لَخَلْقِكَ فَتَحَمَّلْهُ عَنِّي، وَأَغْنِنِي بِفَضْلِكَ إِنَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ.
- أَسْأَلُكَ سُؤَالَ مَنْ اشْتَدَّتْ فَاقَتُهُ، وَأَنْزَلَ بِكَ عِنْدَ الشَّدَائِدِ حَاجَتَهُ، وَعَظُمَ فِيمَا عِنْدَكَ رَغْبَتُهُ.

أَيَّامَنْ سَنَاهُ اخْتَفَى وَرَاءَ حُدُودِ الْبَشَرِ
نَسِيتُكَ يَوْمَ الصِّفَا فَلَا تَنْسِنِي فِي الْكَدَرِ
أَيَا غَافِرًا رَاحِمًا يَرَى ذُلَّ أَمْسِي وَغَدِي
مَعَاذَكَ أَنْ تَنْقِمَا وَحِلْمُكَ مَلَأَ الْأَبَدِ
مِرَاعِيكَ خُضْرُ الْمَنَى هِيَ الْمَشْتَهَى سَيِّدِي
جِسْمِي ضِنَاهُ الْعَنَا حَنَانِيكَ خُذْ بِيَدِي

- إلهي إن كانت ذنوبي قد أخافتني من عقابك؛ فإنَّ
حسنَ الظنِّ قد أطمعني في ثوابك، فإن عفوتَ فمن أولى
منك بذلك؟! وإن عذبتَ فمن أعدلُ منك هنالك؟!
أمولاي إني عبدٌ ضعيفٌ أتيتك أرغبُ فيما لَدَيْكَ
أتيتُك أشكو مُصابَ الذنوبِ وهل يُشتكى الضُّرُّ إلا إليك
فمُنَّ بعفوكِ يا سيدي فليس اعتمادي إلا عليك
- إلهي إن كنتَ لا ترحمُ إلا المجتهدين فمن
للمقصرين؟! وإن كنتَ لا تقبلُ إلا المخلصين فمن
للمُخْلِطين؟! وإن كنتَ لا تكرمُ إلا المحسنين فمن
للمسيئين؟!

ولما قسا قلبي وضاقت مذاهبي
جعلتُ رجائي دون عفوك سُلماً
تعاظمني ذنبي فلما قرنته
بعفوك ربي كان عفوك أعظماً
فما زلتُ ذا عفوٍ عن الذنبِ لم تزلْ
تَجودُ وتعفو مِنَّةً وتكرِّماً

- إلهي إليك فررتُ بذنوبي، واعترفتُ بخطيئتي، فلا
تجعلني من القانطين، ولا تُخزني يوم الدين.

- اللهم إني أستغفرك لما أعطيتُ من نفسي، ثم
لم أوفَّ لك به، وأستغفرك للنعم التي تقويتُ بها
على معصيتك، وأستغفرك لكل خيرٍ أردتُ به وجهك
فخالطني فيه ما ليس لك.

أنا لك رزقه لِتقومَ فيه بطاعته وتشكرَ بعضَ حقه
فلم تشكرَ لنعمته ولكن قويتَ على معاصيه برزقه

- اللهم إني نصحتُ لخلقك ظاهراً، وغششتُ نفسي
باطناً، فهب لي غشي نفسي لِنُصحي لخلقك.

- اللهم ارزقني عينين هطَّالتين تشفيان القلبَ بذروف
الدموع، قبل أن تكون الدموعُ دمًا، والأضراسُ جمرًا.

- ربِّ قني شحَّ نفسي، ربِّ قني شحَّ نفسي.

- اللهم رَضِّني بقضائك، وبارك لي في قدرك، حتى لا
أحبَّ تعجيلَ شيءٍ أخرته، ولا تأخيرَ شيءٍ عجَّلته.

- اللّٰهُمَّ حَسِّنْ أَخْلَاقَنَا، وَابْسُطْ أَرْزَاقَنَا.

- رَبِّ ارْحَمْ فِي الدُّنْيَا غُرْبَتِي، وَفِي الْقَبْرِ وَحْدَتِي، وَطَوَّلْ
مَقَامِي غَدًا بَيْنَ يَدَيْكَ.

- اجْعَلْ لِي وَدًّا يَا رَحْمَنُ.

- اللّٰهُمَّ كَمْ مِنْ قَبِيحٍ سَتَرْتَهُ! وَكَمْ مِنْ فَادِحٍ مِنَ الْبَلَاءِ
أَقْلَتَهُ! وَكَمْ مِنْ عِثَارٍ وَقَيْتَهُ! وَكَمْ مِنْ مَكْرُوهِ دَفَعْتَهُ! وَكَمْ مِنْ
ثَنَاءٍ جَمِيلٍ - لَسْتُ أَهْلًا لَهُ - نَشَرْتَهُ!

- يَا رَبِّ أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ مِنْ مَظَالِمٍ كَثِيرَةٍ لِعِبَادِكَ
قَبْلِي، فَأَيُّمَا عَبْدٍ مِنْ عِبَادِكَ كَانَتْ لَهُ قَبْلِي مَظْلَمَةٌ ظَلَمْتُهُ بِهَا
فِي بَدَنِهِ، أَوْ مَالِهِ، أَوْ عَرِضِهِ، وَقَدْ غَابَ، أَوْ مَاتَ، وَلَا أَسْتَطِيعُ
رَدَّهَا، أَوْ تَحْلُلُهَا مِنْهُ، فَأَرْضِهِ عَنِي بِمَا شِئْتَ، ثُمَّ هَبْهَا لِي مِنْ
لَدُنْكَ، فَإِنْ كَرَّمَكَ يَسَعُ ذَلِكَ كُلَّهُ.

- رَبِّ كَمْ نِعْمَةٍ أَنْعَمْتَ بِهَا عَلَيَّ، قَلَّ لَكَ عِنْدَهَا شُكْرِي!
وَكَم مِنْ بَلِيَّةٍ ابْتَلَيْتَنِي بِهَا، قَلَّ لَكَ عِنْدَهَا صَبْرِي، يَا مَنْ قَلَّ
عِنْدَ نِعْمَتِهِ شُكْرِي فَلَمْ يَحْرَمْنِي، وَيَا مَنْ قَلَّ عِنْدَ بَلَاءِهِ صَبْرِي

فلم يخذلني، ويا من رآني على الخطايا فلم يفضحني، يا ذا المعروف الذي لا ينقضي أبداً، ويا ذا النعم التي لا تُحصى عدداً، أسألك أن تصليَ على محمدٍ وآله كما صليتَ على إبراهيم، إنك حميدٌ مجيد.

- آمَنْتُ بِاللّهِ الْعَظِيمِ وَحَدَه، وَكَفَرْتُ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ، وَاسْتَمَسَكْتُ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا، وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ.

إِنْ لَمْ أَكُنْ أَخْلَصْتُ فِي طَاعَتِكَ فَإِنِّي أَطْمَعُ فِي رَحْمَتِكَ
وَإِنَّمَا يَشْفَعُ لِي أَنَّنِي قَدْ عَشْتُ لَا أَشْرُكَ فِي وَحْدَتِكَ
- اللَّهُمَّ إِنَّا أَطْعَمْنَاكَ فِي أَحَبِّ الْأَشْيَاءِ إِلَيْكَ أَنْ تَطَاعَ فِيهِ:
الْإِيمَانَ بِكَ وَالْإِقْرَارَ بِكَ، وَلَمْ نَعْصِكَ فِي أَبْغَضِ الْأَشْيَاءِ أَنْ
تُعَصَى فِيهِ: الْكُفْرَ وَالْجَحْدَ بِكَ، اللَّهُمَّ فَاغْفِرْ لَنَا مَا بَيْنَهُمَا،
وَأَنْتَ قُلْتَ: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ
يَمُوتُ﴾ [النحل: ٣٨]، وَنَحْنُ نُقَسِمُ بِاللّهِ جَهْدَ أَيْمَانِنَا لَتَبْعَنَّ
مَنْ يَمُوتُ، أَفَتَرَاكَ تَجْمَعُ بَيْنَ أَهْلِ الْقَسَمَيْنِ فِي دَارٍ وَاحِدَةٍ؟!

يا رَبِّ إِن عَظُمَتْ ذُنُوبِي كَثْرَةً فَلَقَدْ عَلِمْتُ بِأَنَّ عَفْوَكَ أَعْظَمُ
إِنْ كَانَ لَا يَرْجُوكَ إِلَّا مُحْسِنٌ فَمَنْ الَّذِي يَدْعُو وَيَرْجُو الْمَجْرِمُ
أَدْعُوكَ يَا رَبِّ كَمَا أَمَرْتَ تَضَرَّعًا فَإِذَا رُدِدْتُ فَمَنْ ذَا يَرْحَمُ
مَا لِي إِلَيْكَ وَسِيلَةٌ إِلَّا الرِّجَا وَجَمِيلُ عَفْوَكَ ثُمَّ إِنَِّّي مُسْلِمٌ
- اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ كَالَّذِي نَقُولُ، وَخَيْرٌ مِمَّا نَقُولُ، اللَّهُمَّ
لَكَ صَلَاتِي وَتُسْكِي، وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي، وَإِلَيْكَ مَالِي وَلَكَ
رَبِّ تَرَاثِي، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَوَسْوَاسَةِ
الْصُّدْرِ، وَشَتَاتِ الْأَمْرِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا تَجِيءُ
بِهِ الرِّيحُ.

- اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَغْفِرَةً يَصْلُحُ بِهَا شَأْنِي فِي الدَّارَيْنِ،
وَارْحَمْنِي رَحْمَةً أَسْعِدُ بِهَا فِي الدَّارَيْنِ، وَتُبْ عَلَيَّ تَوْبَةً
نَصُوحًا لَا أَنْكَثُهَا أَبَدًا، وَأَلْزِمْنِي سَبِيلَ الْإِسْتِقَامَةِ لَا أَزِيغُ
عَنْهَا أَبَدًا، اللَّهُمَّ انْقَلِبْنِي مِنَ ذُلِّ الْمَعْصِيَةِ إِلَى عِزِّ الطَّاعَةِ،
وَأَغْنِنِي بِحَلَالِكَ عَنْ حَرَامِكَ، وَبَطَاعَتِكَ عَنْ مَعْصِيَتِكَ،
وَبِفَضْلِكَ عَمَّنْ سِوَاكَ، وَنُورِ قَلْبِي وَقَبْرِي، وَأَعِزَّنِي مِنَ الشَّرِّ
كُلِّهِ، وَاجْمَعْ لِي الْخَيْرَ كُلَّهُ.

- اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي صَبُورًا، واجْعَلْنِي شَكُورًا، واجْعَلْنِي
فِي عَيْنِي صَغِيرًا، وَفِي أَعْيُنِ النَّاسِ كَبِيرًا.
- اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي أَعْظَمُ شُكْرَكَ، وَأَكْثَرُ ذِكْرَكَ، وَأَتَّبِعُ
نُصْحَكَ، وَأَحْفَظُ وَصِيَّتَكَ.
- اللَّهُمَّ طَهِّرْ قَلْبِي مِنَ النِّفَاقِ، وَعَمَلِي مِنَ الرِّيَاءِ،
وَلِسَانِي مِنَ الْكُذْبِ، وَعَيْنِي مِنَ الْخِيَانَةِ، فَإِنَّكَ تَعْلَمُ خَائِنَةَ
الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورَ.
- اللَّهُمَّ اجْعَلْ سِرِّي خَيْرًا مِنْ عِلَانِيَّتِي، واجْعَلْ
عِلَانِيَّتِي صَالِحَةً، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ صَالِحِ مَا تُؤْتِي
النَّاسَ مِنَ الْأَهْلِ وَالْمَالِ وَالْوَلَدِ غَيْرِ الضَّالِّ وَالْمُضِلِّ .
- اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ حَمْدًا يُوَافِي نِعَمَكَ، وَيَكْفِي مَزِيدَكَ،
أَحْمَدُكَ بِجَمِيعِ مَحَامِدِكَ، مَا عَلِمْتُ مِنْهَا وَمَا لَمْ أَعْلَمْ، وَعَلَى
كُلِّ حَالٍ، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ.

- اللَّهُمَّ أَعِزَّنِي مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، وَأَعِزَّنِي مِنْ كُلِّ
سُوءٍ، وَقَنِّعْنِي بِمَا رَزَقْتَنِي، وَبَارِكْ لِي فِيهِ، اللَّهُمَّ أَلْزِمْنِي
سَبِيلَ الْإِسْتِقَامَةِ حَتَّى أَلْقَاكَ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ.
- اللَّهُمَّ إِنَّا نُحِبُّ طَاعَتَكَ وَإِنْ قَصَّرْنَا فِيهَا، وَنَكْرَهُ
مَعْصِيَتَكَ وَإِنْ رَكِبْنَاهَا، فَتَفَضَّلْ عَلَيْنَا بِالْجَنَّةِ وَإِنْ لَمْ
نَسْتَحِقَّهَا، وَخَلِّصْنَا مِنَ النَّارِ وَإِنْ اسْتَوْجَبْنَاهَا.
قُرَّةَ عَيْنِي لَا بُدَّ لِي مِنْكَ وَإِنْ أَوْحَشَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ الزَّلْزَلُ
قُرَّةَ عَيْنِي أَنَا الْغَرِيقُ فَخُذْ كَفَّ غَرِيقٍ عَلَيْكَ يَتَكَلَّمُ
- اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ أَنْ تَبَارِكَ لِي فِي سَمْعِي وَبَصَرِي،
وَفِي رِزْقِي وَفِي خُلُقِي، وَفِي أَهْلِي وَذُرِّيَّتِي، وَفِي مَمَاتِي
وَمَحْيَايَ، وَفِي عَمَلِي، وَأَسْأَلُكَ الدَّرَجَاتِ الْعُلَا مِنَ الْجَنَّةِ.
- اللَّهُمَّ ارْحَمْ فِي دَارِ الدُّنْيَا غُرَبَتَنَا، وَارْحَمْ لِنَزُولِ
الْمَوْتِ مَصْرَعَنَا، وَآنَسْ فِي الْقُبُورِ وَحْشَتَنَا، وَارْحَمْ بَسْطَ
أَيْدِينَا، وَفَعْرَ أَفْوَاهِنَا، وَمَنْشَرَ وَجُوهِنَا، وَارْحَمْ وَقُوفَنَا بَيْنَ
يَدَيْكَ.

أَصْبَحْتُ بِقَعْرِ حُفْرَةٍ مُرْتَهَنًا لَا أَمْلِكُ مِنْ دُنْيَايَ إِلَّا كَفْنَا
يَا مَنْ وَسَّعَتْ عِبَادَهُ رَحْمَتُهُ مِنْ بَعْضِ عِبَادِكَ الْمَسِيئِينَ أَنَا



نَزَلْتُ بِجَارٍ لَا يُخَيِّبُ ضَيْفَهُ أُرْجِي نَجَاتِي مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ
وَإِنِّي عَلَى خَوْفِي مِنَ اللَّهِ وَاثِقٌ بِإِنْعَامِهِ وَاللَّهُ أَكْرَمُ مُنْعِمٍ



يَا كَثِيرَ الْعَفْوِ عَمَّنْ كَثَرَ الذَّنْبُ لَدَيْهِ
جَاءَكَ الْمَذْنُوبُ يَرْجُو الصَّفْحَ عَنْ جُرْمِ يَدَيْهِ
أَنَا ضَيْفٌ وَجِزَاءُ الضَّيْفِ إِحْسَانٌ إِلَيْهِ

- يَا مَنْ لَوَجْهَهُ عَنَتِ الْوُجُوهُ، بَيَّضَ وَجْهِي بِالنَّظَرِ
إِلَيْكَ، وَامْلَأْ قَلْبِي مِنَ الْمَحَبَّةِ لَكَ، وَأَجِرْنِي مِنْ ذُلِّ التَّوْبِيخِ
غَدًّا عِنْدَكَ، فَقَدْ آذَنَ لِي الْحَيَاءُ مِنْكَ، وَحَانَ لِي الرِّجْوُ عَنْ
الْإِعْرَاضِ عَنْكَ، لَوْلَا حِلْمُكَ لَمْ يَسْغِنِي أَجْلِي، وَلَوْلَا عَفْوُكَ
لَمْ يَنْبَسِطْ فِيمَا عِنْدَكَ أَمْلِي.

وَإِنِّي لِأَدْعُو اللَّهَ أَسْأَلُ عَفْوَهُ وَأَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ يَعْفُو وَيَغْفِرُ

لئن أعظم الناس الذنوب فإنها وإن عظمت في رحمة الله تصغرُ



لا شيء أعظم من ذنبي سوى طمعي

في حُسن عفوكَ عن جُرْمي وعن زللي

إن كنت أسرفتُ حينًا فاقبل توبتي كرمًا

وابدُل بذنبي ثواب الخائفِ الوجِلِ

- إليك قطع العابدون دُجى الليالي يستبقون إلى

رحمتك وفضل مغفرتك، فبك يا إلهي أسألك لا بغيرك،

أن تجعلني في أول زمرة السابقين، وأن ترفعني لديك

في عليين في درجة المقربين، وأن تلحقني بعبادك

الصالحين، فأنت أرحمُ الرحماء، وأعظمُ العظماء،

وأكرمُ الكرماء يا كريم.

على عيني بَكَتْ عيني

على رُوحِي جَنَتْ رُوحِي

هَوَاكِ وَبُعْدُ مَا بَيْنِي

وَبَيْنَكَ سِرُّ تَبْرِيحِي

على عيني على رُوحِي
فواغوثاه يا غوثاه
ومن طول النوى أواه



صحا من شَدُوهِ كَاسِي
وقد نام الخَلِيُّونا^(١)
فكيف أَفِرُّ من نَفْسِي
إذا هَامَ الْمُحِبُّونا
على نَفْسِي جنت نَفْسِي
فيا ويلاه يا ويلاه
ومن طول النوى أواه



حيائي منك يُبْعِدُنِي
وادعني الشوق يدعوني

(١) الخَلِيُّ: من الرجال: الفارغ البال من الهم.

ووجههُ الصَّفْحِ يُخْجِلْنِي
وأيامِي تُقْاضِينِي
على ما كانَ يا أسفاه
ومن طول النوى أواه



خالوتُ إليك يا ربي
وقلتُ عساك تقبلني
فما بالي أرى ذنبي
وأيامِي تطاردني
مــددتُ يدي
فــخذ بيدي
إليك ومنك يا ربا
ومن طول النوى أواه

- إلهي ما أشوقني إلى لقاءك! وأعظمَ رجائي لجزائك!
وأنت الكريم الذي لا يخيب لديك أملُ الآملين، ولا يبطلُ
عندك شوقُ المشتاقين، إلهي إن كان دنا أجلي ولم يُقَرِّبني

منك عملي، فقد جعلتُ الاعترافَ بالذنب وسائلَ عِلي،
فإن عفوتَ فمن أولى منك بذلك؟! وإن عَذَّبْتَ فمن أعدلُ
منك هنالك؟! إلهي قد جُرْتُ على نفسي في النظر لها، وبقي
لها حُسْنُ تدبيرك، فالويل لها إن لم تُسَعِّدها، إلهي إنك لم
تزل بي بَرًّا أيامَ حياتي، فلا تقطعْ عني بَرَكَ بعد مماتي، ولقد
رَجَوْتُ ممن تولاني في حياتي بإحسانه، أن يُسَعِّفَنِي عند
مماتي بغفرانه، إلهي كيف أياس من إحسانك بعد مماتي،
ولم تُولني إلا الجميلَ في حياتي، إلهي إن كانت ذنوبي قد
أخافتني، فإن محبتي لك قد أجارتني، فتولَّ من أمري ما
أنت أهله، وعُدْ بفضلِكَ على مَنْ غرَّه جهله.

- إلهي لو أردتَ إهانتني لما هديتني، ولو أردتَ فضيحتني
لم تسترنني، فمتَّعني بما له هديتني، وأدِّم لي ما به سترتني،
يا أرحمَ الراحمين، يا رحمنُ، يا رحيمُ، يا حلِيمُ، يا عظيمُ،
يا كريمُ، أنا المذنبُ المُصِرُّ، أنا الجريءُ الذي لا أفلح، أنا
المتماذي الذي لا أستحيي، هذا مقام المتضرع المسكين،

والبائس الفقير، والضعيف الحقيـر، والـهالك الغريق،
فَعَجَّلْ إِغَاثَتِي وَفَرَجِي، وَأَرْنِي آثَارَ رَحْمَتِكَ، وَأَذِقْنِي بَرْدَ
عَفْوِكَ وَمَغْفِرَتِكَ، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

مَدَدْتُ يَدِي إِلَيْكَ فَارُدِّهَا بِالْعَفْوِ لَا بِشِمَاتَةِ الْحَسَادِ
- اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَسْمَعُ كَلَامِي، وَتَرَى مَكَانِي، وَتَعْلَمُ سِرِّي
وَعَلَانِيَتِي، وَلَا يَخْفَى عَلَيْكَ شَيْءٌ مِنْ أَمْرِي، وَأَنَا الْبَائِسُ
الْفَقِيرُ، وَالْمُسْتَغِيثُ الْمُسْتَجِيرُ، وَالْوَجِلُّ الْمُشْفِقُ، الْمُقِرُّ
الْمَعْتَرِفُ إِلَيْكَ بِذَنْبِهِ، أَسْأَلُكَ مَسْأَلَةَ الْمَسْكِينِ، وَأَبْتَهِلُ إِلَيْكَ
ابْتِهَالَ الْمَذْنِبِ الذَّلِيلِ، وَأَدْعُوكَ دَعَاءَ الْخَائِفِ الضَّرِيرِ، دَعَاءَ
مَنْ خَضَعَتْ لَكَ رَقَبَتُهُ، وَذَلَّ لَكَ جِسْمُهُ، وَرَغِمَ لَكَ أَنْفُهُ.

يَا مَنْ يَرَى مَا فِي الضَّمِيرِ وَيَسْمَعُ
أَنْتَ الْمُعَدُّ لِكُلِّ مَا يُتَوَقَّعُ

يَا مَنْ يُرَجَّى فِي الشَّدَائِدِ كُلِّهَا
يَا مَنْ إِلَيْهِ الْمَشْتَكَى وَالْمَفْزَعُ

يَا مَنْ خَزَائِنُ رِزْقِهِ فِي قَوْلِ كُنْ
أَمْنُنْ فَإِنَّ الْخَيْرَ عِنْدَكَ أَجْمَعُ

ما لي سوى فقري إليك وسيلة
فبالافتقار إليك فقري أَدفعُ
ما لي سوى قرعي لبابك حيلة
فلئن رُدَدْتُ فأَيُّ بابٍ أقرعُ
ومن الذي أدعو وأهتِفُ باسمه
إن كان فضلك عن فقيرك يُمنعُ
حاشا لجودك أن تُقنطَ عاصيًا
فالفضلُ أجزلُ والمواهبُ أوسعُ
- إلهي! إن كان صَغُرَ في جَنبِ طاعتِكَ عملي، فقد
كَبُرَ في جنبِ رجائك أَملي، إلهي! كيف أنقلبُ مِنْ عندكَ
محرومًا، وقد كان حُسْنُ ظَنِّي بك مَنوطًا؟!
أَسأتُ ولم أُحسِنْ وجئتُك هاربًا وأين لعبدٍ من مواليه مَهْرَبُ
يُؤمِّلُ غفرانًا فإنَّ خابَ ظَنُّهُ فما أحدٌ منه على الأرضِ أخيبُ



إلهي لا تُعَذِّبْني فَإني مُقِرُّ بالذي قد كان مِنِّي
فما لي حيلةٌ إلا رجائي لِعَفْوِكَ إن عَفَوْتَ وَحُسْنُ ظَنِّي

فكم من زَلَّةٍ لي في الخطايا وَأَنْتَ عَلَيَّ ذُو فَضْلٍ وَمَنْ
 إِذَا فَكَّرْتُ فِي قُدُمِي عَلَيْهَا عَضَضْتُ أَنَامِلِي وَقَرَعْتُ سِنِّي
 يَظُنُّ النَّاسُ بِي خَيْرًا وَإِنِّي لَشَرُّ النَّاسِ إِنْ لَمْ تَعْفُ عَنِّي
 أَجُنُّ بِزَهْرَةِ الدُّنْيَا جُنُونًا وَأُفْنِي الْعُمَرَ فِيهَا بِالتَّمَنِّي
 وَبَيْنَ يَدَيَّ مُحْتَبَسٌ ثَقِيلٌ كَأَنِّي قَدْ دُعِيتُ لَهُ كَأَنِّي
 وَلَوْ أَنِّي صَدَقْتُ الزُّهْدَ فِيهَا قَلَبْتُ لِأَهْلِهَا ظَهَرَ الْمَجَنِّ



أَتَجَزَعُ مِنَ الْمَوْتِ هَذَا الْجَزَعُ وَرَحْمَةُ رَبِّكَ فِيهَا الطَّمَعُ
 وَلَوْ بِذَنُوبِ الْوَرَى جُنَّتَهُ فَرَحْمَتُهُ كُلُّ شَيْءٍ تَسَعُ
 - يَا مَنْ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لِعِبَادِهِ، إِنِّي مِنْ عِبَادِكَ
 فَارْحَمْنِي يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

شَوْقِي إِلَيْكَ مُجَاوِزٌ وَصْفِي وَدِّي وَحُبِّي دُونَ مَا أُخْفِي
 مَا دَارَ ذِكْرُ مَنْكَ فِي خَلْدِي إِلَّا مَلَأْتُ بِأَدْمَعِي طَرْفِي
 - لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، نِعَمَ الرَّبُّ وَنِعَمَ الْإِلَهَ، أَحِبُّهُ وَأَخْشَاهُ.
 فَكَّرْتُ فِي نَارِ الْجَحِيمِ وَحَرِّهَا يَا وَيْلَتَاهُ وَلَا تَ حِينَ مَنَاصِ
 فَدَعَوْتُ رَبِّي أَنْ خَيْرَ وَسِيلَتِي يَوْمَ الْمَعَادِ شَهَادَةُ الْإِخْلَاصِ

- ربّ نهيتني فأبيتُ، وأمرتني فعصيتُ، ولكن:
«لا إله إلا الله»، أشهد بهذه الكلمة شهادةً خالصةً من
صميم القلب، مع شطرها «محمد رسول الله»، والخير كله
بيديك، والشر ليس إليك.

مهما تفرّجتُ في ذنوبي خُفْتُ على قلبي احتراقه
لكنه ينطفي لهيبي بذكر ما جاء في البطاقة (١)

(١) الإشارة إلى الحديث الذي رواه عبد الله بن عمرو -رضي الله عنهما-
قال: سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: «إن الله سيخلصُ
رجلاً من أمتي على رءوس الخلائق يوم القيامة، فينشر عليه تسعة وتسعين
سجلاً، كلُّ سَجَلٍ مثلُ مدِّ البصر، ثم يقول: أتُنكر من هذا شيئاً، أظلمك
كتبتني الحافظون؟ فيقول: لا يا رب، فيقول: أفلك عُذر؟ فيقول: لا يا
رب، فيقول: بلى! إن لك عندنا حسنةً، وإنه لا ظلم عليك اليوم، فيُخرج
بطاقةً فيها: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله،
فيقول: احضر وزنك، فيقول: يا ربّ ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟!
فيقال: فإنك لا تُظلم، قال: فتوضع السجلات في كفة، والبطاقة في
كفّة، فطاشت السجلات وثقلت البطاقة، ولا يثقل مع اسم الله تعالى
شيء». رواه الإمام أحمد (٢/٢١٣، ٢٢١)، والترمذي (٥/٢٤، ٢٥)
رقم (٢٦٣٩)، وحسنه، وابن ماجه (٢/١٤٣٧) رقم (٤٣٠٠)، والحاكم
(١/٦، ٥٢٩) وقال: صحيح الإسناد على شرط مسلم، ووافقه الذهبي،
ثم الألباني كما في «الصحيحة» رقم (١٣٥).

- يا رب إن توحيداً لم يعجز عن هدم ما قبله من كفر،
لا يعجز عن محو ما بعده من ذنب.
- اللهم أدخلني الجنة بلا سابقة عذاب، ولا مناقشة
حساب.

- اللهم لا تكلني إلى نفسي فأعجز عنها، ولا تكلني إلى
المخلوقين فيضيّعوني.

بغيرك ما مَدَدْتُ يَدَا وغيْرُكَ لا يَفِيضُ نَدَى
وليس يَضِيقُ بِأُفْكِ بِي فكيف تَرُدُّ مَنْ قَصَدَا
وركنُكَ لم يَزَلْ صَمَدَا فكيف تَدْنُو مَنْ وَرَدَا
ولطفُكَ يا خَفِيَّ اللُّطْفِ إذا عادَى زَمَانِي عَدَا
على قلبي وضعتُ يَدَا ونحوكَ قَدْ مَدَدْتُ يَدَا
سرى ليلي بغير هدى ولا أدري لَأَيِّ مَدَى
يطاردني الأسى أبدا ويرعاني الجوى أَمدا
وليس سواكَ لي سَنَدٌ فقدتُ الأهلَ والسَّنَدَا
- اللهم إني أسألك فواتحَ الخيرِ وخواتمه وجوامعه،
وأوله وآخره، وظاهره وباطنه، والدرجاتِ العُلى من الجنة.

- اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ مَوْجِبَاتِ رَحْمَتِكَ، وَعِزَائِمِ (١)
مَغْفِرَتِكَ، وَالسَّلَامَةِ مِنْ كُلِّ إِثْمٍ، وَالْغَنِيمَةَ مِنْ كُلِّ بَرٍّ، وَالْفَوْزَ
بِالْجَنَّةِ، وَالنَّجَاةَ مِنَ النَّارِ.

يا رب قد أسرفْتُ نفسي وقد عَلِمْتَ
علمًا يقينًا لقد أَحْصَيْتَ آثَارِي
يا مُخْرِجَ الرُّوحِ مِنْ نَفْسِي إِذَا احْتَضَرْتُ
وفَارِجَ الْكَرْبِ زَحْزَحْنِي عَنِ النَّارِ

- اللَّهُمَّ لَا تَدْعُ لِي ذَنْبًا إِلَّا غَفَرْتَهُ، وَلَا هَمًّا إِلَّا فَرَجْتَهُ،
وَلَا دَيْنًا إِلَّا قَضَيْتَهُ، وَلَا حَاجَةً مِنْ حَوَائِجِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ،
هِيَ لَكَ رِضًا إِلَّا قَضَيْتَهَا يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

- اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الثَّبَاتَ فِي الْأَمْرِ، وَأَسْأَلُكَ الْعَزِيمَةَ
عَلَى الرُّشْدِ، وَأَسْأَلُكَ شُكْرَ نِعْمَتِكَ، وَحُسْنَ عِبَادَتِكَ،
وَأَسْأَلُكَ لِسَانًا صَادِقًا، وَقَلْبًا سَلِيمًا، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا

(١) جمع عزيمة، وهي عقد القلب على إمضاء الأمر، أي: نطلب منك أن
ترزقنا العزائم منا على الطاعات التي نتوصل بها إلى مغفرتك.

تعلم، وأسألك من خير ما تعلم، وأستغفرك لما تعلم، إنك أنت علام الغيوب.

- اللَّهُمَّ قَنِّعْنِي بِمَا رَزَقْتَنِي، وَبَارِكْ لِي فِيهِ، وَاخْلُفْ عَلَيَّ كُلَّ غَائِبَةٍ لِي بِخَيْرٍ ^(١).

- يا من لا تضره الذنوب، ولا تُنْقِصُهُ المغفرة، اغفر لي ما لا يضرّك، وأعطني ما لا يُنْقِصُكَ، إنك أنت الوهاب.

- يا إلهي أسألك فرجاً قريباً، ورزقاً واسعاً، وأسألك العافية من كل بلية، وأسألك الشكر على العافية، ودوام العافية، وأسألك الغنى عن الناس، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، برحمتك يا أرحم الراحمين.

إني إليك مع الأنفاس مفتقر

يا ربّ في كل ما أرجوه من حاج

كانّ جسمي أغصان العريش له

في كل مفصل عضو كُف محتاج

(١) أي: اجعل لي عوضاً حاضراً عما غاب عليّ وفات، أو لا أتمكن من إدراكه.

- إلهي أنا الذي كلما طال عمري زادت ذنوبي، أنا الذي
كلما هممتُ بترك خطيئةٍ عَرَضْتُ لي أخرى.
- وا ذنوباه! خطيئة لم تَبُلْ وصاحبُها في طلبٍ أخرى.
- وا ذنوباه! إن كانت النار لي مَقِيلًا ومَأْوًى.
- وا ذنوباه! إن كانت المقامعُ لرَأْسِي تُهَيَّأ.
ذنوبي مثلُ أعدادِ الرمالِ فهبْ لي توبةً يا ذا الجلالِ
وعمري ناقصٌ في كلِّ يومٍ وذنبي زائدٌ كيفَ احتمالي
- يا ربَّ وعِزَّتِكَ ما أَرَدْتُ بمعصيتك مخالفتك، ولا
عصيتُك إذ عصيتُك، وأنا بجلالك جاهلٌ، ولا لعقوبتك
مُتَعَرِّضٌ، ولا لنظرك مُسْتَخِفٌّ، ولكن سَوَّلْتُ لي نفسي،
وأعاني على ذلك شِقْوَتِي، وَغَرَّنِي سِتْرُكَ المَرَحِيَّ عَلَيَّ،
فعصيتُك بجهلي، وخالفْتُك بفعلي، فَمِنْ عَذَابِكَ الآن مَنْ
يَسْتَنْقِذُنِي؟ وبجبلٍ مَنْ أَعْتَصِمُ إنْ قَطَعْتَ حَبْلَكَ عَنِّي؟
أُغْفُ عَنِّي وأَقِلْنِي عَثْرَتِي يا عَتَادِي لِمُلِمَّاتِ الزَمَنِ
لا تعاقبني فقد عاقبني ندمٌ أَقْلَقَ رُوحِي والبَدَنُ

- واسواتاه من الوقوف بين يديك غداً إذا قيل للمُخَفِّين:
«جُوزوا»، وقيل للمُثْقَلين: «حُطوا»، أَمع المُخَفِّين أجوز، أم
مع المثقلين أخط؟

- وَيَلِي كَلَّمَا كَبُرَتْ سِنِّي كَثُرَتْ ذُنُوبِي، وَيَلِي كَلَّمَا طَالَ
عَمْرِي كَثُرَتْ مَعَاصِيِّي، فَإِلَى مَتَى أَتُوب؟ وَإِلَى مَتَى أَعُودُ؟!!
- أَمَا آنَ لِي أَنْ أَسْتَحْيِيَ مِنْ رَبِّي؟!!

إِلَهِي يَا كَثِيرَ الْعُضُوفِ عَفُوءًا لَمَّا أَسْلَفْتُ فِي زَمَنِ الشَّبَابِ
فَقَدْ سَوَّدْتُ فِي الْآثَامِ وَجْهًا ذَلِيلًا خَاضِعًا لَكَ فِي التُّرَابِ
فَبَيَّضُهُ بِحُسْنِ الْعَفْوِ عَنِّي وَسَامِحَنِي وَخَفِّفْ مِنْ عَذَابِي
- إِلَهِي، سَائِلٌ بِبَابِكَ انْقَضَتْ أَيَّامُهُ، وَبَقِيَتْ آثَامُهُ،
وَانْقَضَتْ شَهَوَاتُهُ، وَبَقِيَتْ تَبَعَاتُهُ، وَلِكُلِّ ضَيْفٍ قَرَى ^(١)،
فاجعل قِرَائِي الْجَنَّةَ.

أَنُوحُ عَلَى نَفْسِي وَأَبْكِي خَطِيئَةً تَقُودُ خَطَايَا أَثْقَلَتْ مِنِّي الظُّهْرَا
فِيَا لَذَّةً كَانَتْ قَلِيلًا بَقَاؤُهَا وَيَا حَسْرَةً دَامَتْ وَلَمْ تُبْقِ لِي عُذْرَا

(١) يقال: قرى الضيف قرى وقراء: أضافه، وأكرمه.

- اللَّهُمَّ مغفرتك أوسع من ذنوبي، ورحمتك أرجى
عندي من عملي.

قَدْ أَنَاخَتْ بِكَ رُوحِي فَاجْعَلِ الْعَفْوَ قِرَاهَا
فَهِيَ تَخْشَاكَ وَتَرْجُو كَ فَلَا تَقْطَعْ رَجَاهَا
- اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي أَخْشَاكَ حَتَّى كَأَنِّي أَرَاكَ، وَأَسْعِدْنِي
بِتَقْوَاكَ، وَلَا تَجْعَلْنِي بِمَعْصِيَتِكَ مَطْرُودًا، وَرَضِّنِي بِقَضَائِكَ،
وَبَارِكْ لِي فِي قَدْرِكَ، وَانصُرْنِي عَلَى مَنْ ظَلَمَنِي، وَأَرْنِي فِيهِ
ثَأْرِي، وَأَقِرَّ بِذَلِكَ عَيْنِي.

- اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَغْفِرُكَ مِمَّا تُبْتُ إِلَيْكَ مِنْهُ ثُمَّ عَدْتُ فِيهِ،
وَأَسْتَغْفِرُكَ لِمَا جَعَلْتَهُ لَكَ عَلَى نَفْسِي فَلَمْ أُوفِ لَكَ بِهِ،
وَأَسْتَغْفِرُكَ مِمَّا زَعَمْتُ أَنِّي أَرَدْتُ بِهِ وَجْهَكَ، فَخَالَطَ قَلْبِي
مَا قَدْ عَلِمْتَ.

- اللَّهُمَّ اجْعَلْ لِسَانِي بِذِكْرِكَ لَهْجًا، وَقَلْبِي بِحُبِّكَ مُتِيًّا،
وَمَنْ عَلَيَّ بِحُسْنِ إِجَابَتِكَ، وَأَقِلْنِي عَثْرَتِي، وَاغْفِرْ لِي زَلَّتِي،
فَإِنَّكَ أَمَرْتَ عِبَادَكَ بِدَعَائِكَ، وَضَمِنْتَ لَهُمُ الْإِجَابَةَ، فَإِلَيْكَ

يا ربّ نصبتُ وجهي، ومددتُ يدي، فبرحمتك استجب
دُعائي، ولا تقطع رجائي، اللَّهُمَّ إني أبرأ إليك من حَوْلِي
وقوتي، وألجأ إلى حولك وقوتك، اللَّهُمَّ ألبسني العافيةَ
حتى تُهَيِّئَني بالمعيشة، واختم لي بالمغفرة حتى لا تضرَّني
الذنوب، واكفني كلَّ هَوْلٍ دون الجنة حتى تُبَلِّغَنيها،
برحمتك يا أرحم الراحمين.

- اللَّهُمَّ أعطني من الدنيا ما تقيني به فتنها، وتُغْنيني به
عن أهلها، ويكونُ بلاغًا لي إلى ما هو خيرُ منها، فإنه لا
حول ولا قوة إلا بك.

- اللَّهُمَّ إني أسألك أن ترفعَ ذكري، وتضعَ وزري،
وتطهرَ قلبي، وتُحصِّنَ فرَجِي، وتغفرَ لي ذنبي، وأسألك
الدرجاتِ العُلى من الجنة.

- اللَّهُمَّ ما رزقتني مما أحب، فاجعله عونًا لي على ما
تُحب، وما زويتَ عني مما أحب، فاجعله فراغًا لي فيما
تُحب.

- اللَّهُمَّ لَا تَحْرِمْنِي خَيْرَ مَا عِنْدَكَ بِسَوْءِ مَا عِنْدِي.
- اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ تُحِبُّ الْعَفْوَ فَاعْفُ عَنِّي، وَارْزُقْنِي
العافية في الدين والدنيا والآخرة، وما ذلك على الله بعزيز،
يا أرحم الراحمين، يا لطيفُ يا لطيفُ، الطف بي بلطفك
الخفي.

وَالْعَفْوُ يُرْجَى مِنْ بَنِي آدَمَ فَكَيْفَ لَا يُرْجَى مِنَ الرَّبِّ
فَإِنَّهُ أَرَأْفُ بِي مِنْهُمْ حَسْبِيَ بِهِ حَسْبِيَ بِهِ رَاحِمِي
- اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ إِيمَانًا لَا يَرْتَدُّ، وَنَعِيمًا لَا يَنْفَدُ،
وَمِرَافَقَةً نَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فِي أَعْلَى
جَنَّاتِ الْخُلْدِ، خَائِفٌ مُسْتَجِيرٌ، تَائِبٌ مُسْتَغْفِرٌ، رَاغِبٌ رَاهِبٌ.
- أَلْفُ اللَّهُمَّ عَلَى الْخَيْرِ قُلُوبَنَا، وَأَصْلِحْ ذَاتَ بَيْنِنَا،
وَاهْدِنَا سُبُلَ السَّلَامِ، وَنَجِّنَا مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ، وَجَنِّبْنَا
الْفَوَاحِشَ وَالْفِتَنَ، مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ، وَبَارِكْ لَنَا فِي
أَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا وَقُلُوبِنَا وَأَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا، وَتَبَّ عَلَيْنَا

إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ، وَاجْعَلْنَا شَاكِرِينَ لِنِعْمَتِكَ، مُثْنِينَ
بِهَا، قَابِلِيهَا، وَأَتِمِّمَهَا عَلَيْنَا.

- اللَّهُمَّ مَا قُلْتُ مِنْ قَوْلٍ، أَوْ حَلَفْتُ مِنْ حَلْفٍ، أَوْ نَذَرْتُ
مِنْ نَذْرٍ، فَمَشِئَتُكَ بَيْنَ يَدَيَّ ذَلِكَ كُلِّهِ، مَا شِئْتَ كَانَ، وَمَا لَمْ
تَشَأْ لَمْ يَكُنْ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ.

- اللَّهُمَّ مَا صَلَّيْتُ مِنْ صَلَاةٍ فَعَلَى مَنْ صَلَّيْتُ، وَمَا لَعَنْتُ
مِنْ لَعْنَةٍ فَعَلَى مَنْ لَعَنْتُ، أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ،
تَوَفَّنِي مُسْلِمًا، وَأَلْحَقْنِي بِالصَّالِحِينَ.

- اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ صِحَّةً فِي إِيْمَانٍ، وَإِيْمَانًا فِي حُسْنِ
خَلْقٍ، وَنَجَاحًا يَتَّبِعُهُ فَلَاحٌ، وَرَحْمَةً مِنْكَ وَعَافِيَةً، وَمَغْفِرَةً
مِنْكَ وَرِضْوَانًا.

- اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيَّ الْإِيْمَانَ وَزَيِّنْهُ فِي قَلْبِي، وَكَرِّهْ إِلَيَّ
الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ، وَاجْعَلْنِي مِنَ الرَّاشِدِينَ.

- اللَّهُمَّ اصْرِفْ عَنِّي السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ، وَاجْعَلْنِي مِنْ
عِبَادِكَ الْمَخْلَصِينَ.

- اللَّهُمَّ عَلِّمْنِي مَا يَنْفَعُنِي، وَاَنْفَعُنِي بِمَا عَلَّمْتَنِي، وَزِدْنِي
عِلْمًا.

- اللَّهُمَّ يَا مُعَلِّمَ إِبْرَاهِيمَ عَلِّمْنِي، وَيَا مُفَهِّمَ سُلَيْمَانَ
فَهِّمْنِي.

- إِنَّ رَحْمَةً قَسَمْتَهَا عَلَى خَلْقِكَ فِي دَارِ الدُّنْيَا، أَصَابَنِي
مِنْهَا نِعْمَةُ الْإِسْلَامِ، فَمَا أَعْظَمَ مَا أَرْجُوهُ مِنْ تَسْعٍ وَتَسْعِينَ
رَحْمَةً أَخَّرْتَهَا لِيَوْمِ الْحِسَابِ! ^(١).

- يَا مَنْ أَعْطَانَا خَيْرَ مَا فِي خَزَائِنِهِ، وَهُوَ الْإِيمَانُ بِهِ قَبْلَ
السُّؤَالِ، لَا تَمْنَعْنَا أَوْسَعَ مَا فِي خَزَائِنِكَ، وَهُوَ الْعَفْوُ مَعَ
السُّؤَالِ.

قَالُوا غَدًا تَأْتِي دِيَارَ الْحِمَى وَيَنْزِلُ الرِّكْبُ بِمَغْنَاهُمْ
فَكُلُّ مَنْ كَانَ مَطِيْعًا لَهُمْ أَصْبَحَ مُسْرُورًا بِلُقْيَاهُمْ

(١) عَنْ سُلَيْمَانَ الْفَارِسِيِّ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ-: «إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مَائَةَ رَحْمَةٍ، كُلُّ رَحْمَةٍ
طَبَاقٌ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، فَجَعَلَ مِنْهَا فِي الْأَرْضِ رَحْمَةً، فِيهَا تَعْطِفُ
الْوَالِدَةُ عَلَى وَلَدِهَا، وَالْوَحْشُ وَالطَّيْرُ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ
أَكْمَلَهَا بِهَذِهِ الرَّحْمَةِ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٢٧٥٣).

قلتُ: فلي ذنبُ فما حيلتي بأيّ وجهٍ أتلقاهم
قالوا أليس العفو من شأنهم لا سيما عمّن ترجّاهم
- إلهي، كنزي عجزي، وحُجّتي حاجتي، وعُدّتي فاقّتي،
فارحمني.

إله العالمين رضاك عني وتوفيقي لما ترضى مُنائي
فجرماني عطائي إن تُردّه وفقرِي إن رضيت به غُنائي
- إلهي، كيف أمتنع بالذنب من الدعاء، ولا أراك تمتنع
مع الذنب من العطاء؟! فإن غفرتَ فخيرٌ راحمٍ أنت، وإن
عذّبتَ فغيرُ ظالمٍ أنت.
- إلهي! أسألك تذللًا، فأعطني تفضّلًا.

- إلهي! عرّفني عيوبَ نفسي، وافضحها عندي؛
لأتضرّع إليك في التوفيق للتنزّه عنها، وأبتهلَ إليك بين
يديك خاضعًا ذليلاً في أن تغسلني منها، عَظَمَ الذنب عندي
فليَحْسُنِ العفو من عندك، يا أهل التقوى ويا أهل المغفرة.

يا حبيبَ الروح
تائِهَ مجروح

كُلُّهُ جُـرُوح
لَا تُنْزِلُ بِالْبَابِ
شَوْقُهُ دَعَا
وَالرُّضَا رُحَابِ
يَشْمَلُ الْعَفَا

- أما آن لك يا مسكين أن تُقْلِعَ عن هواك؟! أما آن لك
أن ترجع إلى باب مولاك؟!
أنسيَتَ ما خَوَّلَكَ وأعطاك؟!
أما خَلَقَكَ فسواك؟!
أما كشف عنك الكروبَ، وبرزقه غَذَّاك؟!
أما ألهمك الإسلامَ وإليه هداك؟!
أما قَرَّبَكَ بفضلِهِ وأدناك؟!
أما بَرَّه في كُلِّ طرفَةٍ عَيْنٍ يغشاك؟!
فقابلتَ ذلك بالغفلة وركوب الشهوات، والمبادرة
بالخطايا والزلات، فنقضتَ عهده، وعَصَيْتَ أمره!
ودُمُنتَ على الإصرار، وأطعتَ هواك، وخالفتَ الجبار!

أما آن لك أن تستحيي ممن شاهدك على المعصية
ورآك؟!!

ومع هذا الحرمان، والبعد عن مولاك، إن عدت إليه
قَبْلَكَ وارتضاك؟!!

وإن لزمتم خدمته، قَرَبَكَ وَأَدْنَاكَ.

منعوك من نيل المودة والصفاء لما رَأَوْكَ على الخيانة والجفا
إن أنت أرسلت الدموع تندُّماً جادوا عليك تَكْرِماً وتعطفوا
حاشاهم أن يظلموك وإنما جعلوا الوفا منهم لأرباب الوفا

- إلهي أنا الصغيرُ الذي رَبَّيْتَهُ، فلك الحمد.

وأنا الضعيفُ الذي قَوَّيْتَهُ، فلك الحمد.

وأنا الفقيرُ الذي أَغْنَيْتَهُ، فلك الحمد.

وأنا الجاهلُ الذي عَلَّمْتَهُ، فلك الحمد.

وأنا الغريبُ الذي آوَيْتَهُ، فلك الحمد.

وأنا الصُّعْلُوكُ^(١) الذي مَوَّلْتَهُ، فلك الحمد.

وأنا العَرَبُ الذي زَوَّجْتَهُ، فلك الحمد.

(١) الصُّعْلُوكُ: الفقير.

وأنا الساعِبُ ^(١) الذي أسبغته ^(٢)، فلك الحمد.
وأنا العاري الذي كسوته، فلك الحمد.
وأنا الضالُّ الذي هديته، فلك الحمد.
وأنا المسافرُ الذي صاحبه، فلك الحمد.
وأنا الغائبُ الذي أدّيته، فلك الحمد.
وأنا الراجلُ الذي حملته، فلك الحمد.
وأنا المريضُ الذي شفّيته، فلك الحمد.
وأنا العاصي الذي سترته، فلك الحمد.
وأنا السائلُ الذي أعطيته، فلك الحمد.
وأنا الداعي الذي أجبته، فلك الحمد.
فلك الحمد ربّنا حمداً كثيراً على حمدي لك.

يا منتهى الآمالِ أنت كفَلْتَنِي وحفِظْتَنِي
وعدا الظلومِ عليّ كي يجتاحني فمنعتني

(١) الساعِب: من سَعَبَ: جاع مع تعب.
(٢) يقال: أسبغ له في النفقة: وسَّع عليه، وأسبغ الله عليك النعمة: أكملها وأتمّها.

فانقادلِي مُتَخَشَّعًا لَمَّا رَأَىكَ نَصَرْتَنِي
وَكَسَوْتَنِي ثَوْبَ الْغِنَى وَمِنَ الْمُغَالِبِ صُنْتَنِي
فَإِذَا سَكَتُ بَدَأْتَنِي وَإِذَا سَأَلْتُ أَجَبْتَنِي
فَإِذَا شَكَرْتُكَ زِدْتَنِي فَمَنْحَتَنِي وَبَهَرْتَنِي
أَوْ إِنْ أَجِدُ بِالْمَالِ فَالْأَمْوَالُ أَنْتَ مَنْحَتَنِي
- اللَّهُمَّ يَا كَثِيرَ الْخَيْرِ، وَيَا دَائِمَ الْمَعْرُوفِ، أَعْطِنِي مِنَ
الدُّنْيَا مَا تَقِينِي بِهِ فِتْنَتَهَا، وَتَغْنِينِي بِهِ عَنْ أَهْلِهَا، وَيَكُونُ بَلَاغًا
لِي إِلَى مَا هُوَ خَيْرُ مِنْهَا، فَإِنَّهُ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ.

- اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ بَطَرِ الْغِنَى، وَجَهْدِ الْفَقْرِ،
خَلَقْتَنِي وَلَمْ أَكُ شَيْئًا، وَرَزَقْتَنِي وَلَمْ أَكُ شَيْئًا، وَإِنِّي مُقَرَّرٌ لَكَ
بِذُنُوبِي، فَإِنْ عَفَوْتَ فَلَا يُنْقِصُ مِنْ مَلِكِكَ شَيْئًا، وَإِنْ عَذَّبْتَنِي
فَلَا يَزِيدُ فِي سُلْطَانِكَ شَيْئًا.

يَا رَبِّ أَنْتَ خَلَقْتَنِي وَخَلَقْتَ لِي وَخَلَقْتَ مِنِّي
سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ عَالَمَ كُلِّ غَيْبٍ مُسْتَكِنٌ
مَا لِي بِشُكْرِكَ طَاقَةٌ يَا سَيِّدِي إِنْ لَمْ تُعِنِّي

- اللَّهُمَّ لَا يُهْزَمُ جَنْدُكَ، وَلَا يُخْلَفُ وَعْدُكَ، سُبْحَانَكَ
وَبِحَمْدِكَ، تَحَصَّنْتُ بِاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، إِلَهِي وَإِلَه
كُلِّ شَيْءٍ، وَاعْتَصَمْتُ بِرَبِّي وَرَبِّ كُلِّ شَيْءٍ، وَتَوَكَّلْتُ عَلَى
الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ، وَاسْتَدْفَعْتُ الشَّرَّ كُلَّهُ بِلَا حَوْلَ وَلَا
قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ، حَسْبِيَ اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ، حَسْبِيَ
الرَّبُّ مِنَ الْعِبَادِ، حَسْبِيَ الْخَالِقُ مِنَ الْمَخْلُوقِينَ، حَسْبِيَ
الرِّزَاقُ مِنَ الْمَرْزُوقِينَ، حَسْبِيَ اللَّهُ وَكَفَى، سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ
دَعَا، لَيْسَ وَرَاءَ اللَّهِ مُنْتَهَى، لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ، وَهُوَ
رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ.

- اللَّهُمَّ إِنِّي أَشْكُو إِلَيْكَ ضَعْفَ قُوتِي، وَقِلَّةَ حِيلَتِي،
وَهَوَانِي عَلَى النَّاسِ، بِرَحْمَتِكَ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ، أَنْتَ
رَبُّ الْمُسْتَضْعِفِينَ، وَأَنْتَ رَبِّي، إِلَى مَنْ تَكِلُنِي؟ إِلَى بَعِيدٍ
يَتَجَهَّمَنِي، أَوْ إِلَى عَدُوٍّ مَلَكَتْهُ أُمْرِي؟ إِنْ لَمْ يَكُنْ بِكَ غَضَبٌ
عَلَيَّ فَلَا أَبَالِي، وَلَكِنْ عَافَيْتُكَ أَوْسَعُ لِي مِنْ ذُنُوبِي، أَعُوذُ
بِنُورِ وَجْهِكَ الَّذِي أَشْرَقَتْ لَهُ الظُّلُمَاتُ، وَصَلَحَ عَلَيْهِ أَمْرُ

الدنيا والآخرة، من أن يحلَّ بي سَخَطُكَ، أو ينزلَ عَلَيَّ عذابُكَ، لك العُتْبَى ^(١) حتى ترضى، ولا حولَ ولا قوةَ إلا بك.

فليتكَ تحلو والحياةُ مريرةً وليتك ترضى والأنامُ غَضابُ
وليت الذي بيني وبينك عامرٌ وبينى وبين العالمين خرابُ
إذا صحَّ منك الودُّ فالكل هَيِّنْ وكلُّ الذي فوق التراب ترابُ
- اللّٰهُم اجعل لي وللمسلمين من كلِّ همٍّ فرجًا، ومن
كلِّ ضيقٍ مخرجًا، ومن كلِّ بلاء عافيةً.

- اللّٰهُم مَنْ كَانَ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى غَيْرِ الْحَقِّ، وَهُوَ يَظُنُّ
أَنَّهُ عَلَى الْحَقِّ، فَرَدَّهُ إِلَى الْحَقِّ؛ لِيَكُونَ مِنْ أَهْلِ الْحَقِّ.
- اللّٰهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ إِيْمَانًا يَاشُرُ قَلْبِي، وَيَقِينًا صَادِقًا؛
حَتَّى أَعْلَمَ أَنَّهُ لَنْ يَصِيبَنِي إِلَّا مَا كَتَبْتَ لِي، وَأَنَّ مَا أَصَابَنِي
لَمْ يَكُنْ لِيْخْطِئَنِي، وَمَا أَخْطَأَنِي لَمْ يَكُنْ لِيْصِيبَنِي.
- إلهي، أَنْتَ تَوَدَّدْتَ بِنِعْمَتِكَ إِلَيَّ مِنْ يَوْذِيكَ، فَكَيْفَ

تَوَدَّدْتَ إِلَيَّ مِنْ يَوْذَى فَيْكَ؟!

(١) العُتْبَى: الرضا.

- يا هادي المٌضِلِّين، يا راحم المذنبين، يا مُقِيلَ عَثَرَاتِ
العائرين، يا محسنُ يا مُجْمِلُ يا منعمُ يا متفضِّلُ، يا ذا النوافل
والنعم، يا عظيمُ يا ذا العرشِ العظيم، اجعل لي مما أنا فيه
فرجًا ومخرجًا.

يا مَنْ أَلُوذُ بِهِ فيما أُؤَمِّلُهُ
وَمَنْ أَعُوذُ بِهِ فيما أَحاذِرُهُ
لا يَجْبُرُ النَّاسُ عَظْمًا أَنْتَ كاسِرُهُ
ولا يُهَيِّضُونَ عَظْمًا أَنْتَ جابِرُهُ
- اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بنور وجهك الذي أشرقت له
السموات والأرض، أَنْ تجعلني في حِرْزِكَ وحفظك،
وجِوارِكَ، وتحتَ كَنَفِكَ.

يا رَبِّ ما زال لُطْفُ مَنْكَ يشملني
وقد تجدد بي ما أَنْتَ تعلمه
فاصرفه عني كما عَوَّدتني كرمًا
فَمَنْ سِوَاكَ لَهذا العبدِ يرحمه

- اللَّهُمَّ اجعلنا هادين مهديين، غير ضالّين ولا مضلّين،
سَلَمًا ^(١) لأوليائك، حربًا ^(٢) لأعدائك، نحبُّ بحبك من
أحبك، ونعادي بعداوتك من عاداك.

- اللهم فارح الهَمَّ، وكاشف الغَمَّ، مجيب دعوة
المضطرين، رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما، ارحمني
رحمة تُغْنيني بها عن رحمة مَنْ سواك.

يا نفسُ عوذي بالكريم وعرجي
فهو الذي يُسدي إلينا نِعْمَتَهُ
ويُنزِلُ الغيثَ الذي يروي الرُّبى

من بعد ما قنطوا وينشرُ رحمته
- اللَّهُمَّ إني ضعيفٌ فقوْنِي، وإني ذليلٌ فأعزَّنِي، وإني
فقيرٌ فأغنني.

أتيتُك بالفقريا ذا الغنى وأنت الذي لم تزل مُحسنا

(١) السَّلَم: المُسالَم المُصالح.

(٢) الحَرْب: المعادي المخاصم، تسميةً بالمصدر.

- اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ النِّعَمَ يَوْمَ الْعَيْلَةِ^(١)، وَالْأَمْنَ يَوْمَ
الْخَوْفِ.

- اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ.

- اللَّهُمَّ سَلِّمْ مِنِّي، وَسَلِّمْ مِنِّي.

- اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي شَهَادَةً فِي سَبِيلِكَ صَادِقَةً غَيْرَ كَاذِبَةٍ،
كَامِلَةً غَيْرَ نَاقِصَةٍ.

- يَا عَزِيزُ يَا حَمِيدُ يَا ذَا الْعَرْشِ الْمَجِيدِ، اصْرِفْ عَنِّي كُلَّ
جَبَّارٍ عَنِيدٍ.

- اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِقُدْرَتِكَ الَّتِي تُمَسِّكُ بِهَا السَّمَوَاتِ
السَّبْعَ أَنْ يَقَعَ بَعْضُهُنَّ عَلَى بَعْضٍ، أَنْ تَكْفِينَا بَأْسَ الَّذِينَ
كَفَرُوا، إِنَّكَ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنْكِيلًا.

- يَا غَفُورُ يَا وَدُودُ، يَا ذَا الْعَرْشِ الْمَجِيدِ، يَا فَعَّالًا لِمَا
تَرِيدُ، أَسْأَلُكَ بِعِزِّكَ الَّذِي لَا يُرَامُ، وَبِمُلْكِكَ الَّذِي لَا يُضَامُ،

(١) الْعَيْلَةُ: الْفَقْرُ وَالْحَاجَةُ.

وينورك الذي ملاً أركانَ عرشك، أن تكفيني شر أعدائي،
يا مُغِيثُ أغثني، يا مغِيثُ أغثني، يا مغِيثُ أغثني.

- اللّٰهُمَّ إنك تعلم أنني على إساءتي وظلمي وإسرافي
أنني لم أجعل لك وَلَدًا ولا نِدًّا، ولا صاحبةً، ولا كُفُوًا، فإن
تعذب فعبدك، وإن تغفر فإنك أنت العزيز الحكيم.

- اللّٰهُمَّ إني أسألك يا من لا يُغْلِطُهُ المسائل، ويا من
لا يشغله سمعٌ عن سمع، ويا من لا يُيرمه إلحاحُ الملِحِّين
أن تجعلَ لي في ساعتي هذه فرجًا ومخرجًا من حيث
أحتسب، ومن حيث لا أحتسب، ومن حيث أعلم، ومن
حيث لا أعلم، ومن حيث أرجو، ومن حيث لا أرجو، وخذ
لي بقلب عدوي وسمعِهِ وبصرِهِ ولسانِهِ ويده ورجله، حتى
تعافيني من شرِّه، فإن قلبه وناصيته بيدك.

- اللّٰهُمَّ ربَّ إبراهيمَ وإسماعيلَ وإسحاقَ ويعقوبَ،
وربَّ جبرائيلَ وميكائيلَ وإسرافيلَ، ومُنْزِلَ التوراةِ والإنجيلِ
والزبورِ والقرآنِ الكريمِ ادرأ عني شرَّ كلِّ ذي شر.

- أشهد أن كلَّ معبود دون عرشك إلى قرار الأرضين
باطل غير وجهك الكريم، أيُّ ربِّ، أيُّ ربِّ، أيُّ ربِّ!
- عبيدُك بفنائك، مسكينُك بفنائك، فقيرُك بفنائك،
سائلُك بفنائك، يا وَلِيَّ نعمتي، يا صاحبِي في وِحدتي،
ويا مؤنسي في وَحشتي، ويا عُدَّتِي في كُربتي، قد ترى ما أنا
فيه ففرِّج عني، واجعل لي مخرجًا.

يا من تُحلُّ بذكِره عُقْدُ النوائِبِ والشدائدِ
يا من إليه المشتكى وإليه أمرُ الخلقِ عائد
يا حيُّ يا قيومُ يا صمد تنزهه عن مُضادِّ
أنتَ العلِيمُ بما بُليتُ به وأنتَ عليه شاهد
أنتَ المُنَزَّهُ يا بديع الخلقِ عن وُلْدٍ ووالِد
أنتَ الرقيبُ على العبادِ وأنتَ في الملكوتِ واحد
أنتَ المعزُّ لمن أطاعك والمُذِلُّ لكلِّ جاحد
فرِّجْ بحولِكَ كُربتي يا من له حُسْنُ العوائد
أنتَ الميسِّرُ والمسهِّلُ والمسبِّبُ والمُسَهِّدُ والمساعد

- يا من هو أقرب من جبل الوريد، يا فعّالاً لما يريد، يا
من يحول بين المرء وقلبه، حُلْ بيننا وبين من يؤذينا بحولك
وقوتك، يا كافٍ كلَّ شيء، ولا يكفني منه شيء، اكفنا ما
يُهمُّنا من أمر الدنيا والآخرة، يا أرحم الراحمين.

- اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ السُّلْطَانِ، وَمِنْ شَرِّ مَا
تَجْرِي بِهِ أَقْلَامُهُمْ، وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أَقُولَ بِحَقِّ أَطْلَبُ بِهِ غَيْرَ
طَاعَتِكَ، وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أَتَزَيَّنَ لِلنَّاسِ بِشَيْءٍ يَشِينُنِي عِنْدَكَ،
وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْتَعِينَ بِشَيْءٍ مِنْ مَعَاصِيكَ عَلَى ضُرِّ نَزْلِ بِي،
وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ تَجْعَلَ لِي عِبْرَةً لِأَحَدٍ مِنْ خَلْقِكَ، وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ
تَجْعَلَ أَحَدًا أَسْعَدَ بِمَا عَلَّمْتَهُ مِنِّي، اللَّهُمَّ لَا تُخْزِنِي فَإِنَّكَ بِي
عَالِمٌ، اللَّهُمَّ لَا تَعَذِّبْنِي فَإِنَّكَ عَلَيَّ قَادِرٌ.

- اللَّهُمَّ إِنِّي أُنْزِلُ بِكَ حَاجَتِي، وَإِنْ قَصَّرَ رَأْيِي، وَضَعُفَ
عَمَلِي، وَافْتَقَرْتُ إِلَى رَحْمَتِكَ، فَاسْأَلْكَ يَا قَاضِيَ الْأُمُورِ،

ويا شافي الصدور، كما تُجير بين البحور^(١) أن تجيرني من
عذاب السعير، ومن فتنة القبور، ومن دعوة الثبور^(٢).

- اللهم وما قصّر عنه رأيي، وضعّف عنه عملي وعلمي،
ولم تبلغه مسألتي، من خير وعدته أحداً من خلقك، أو خير
أنت مُعطيه أحداً من عبادك، فإني أرغب إليك فيه، وأسألك
إياه، برحمتك يا ربّ العالمين.

- اللهم اجعل لي من كل ما أهمني وكرهني من أمر
دنياي وآخرتي فرجاً ومخرجاً، وارزقني من حيث لا
أحتسب، واغفر لي ذنوبي، وثبّت رجلك في قلبي، واقطعه
ممن سواك، حتى لا أرجو أحداً غيرك.

إليه إله الخلق وجهي ووجهتي

وأنت الذي أدعوه في السرّ والجهر

وأنت غياثي عند كلّ مُلِمةٍ

وأنت ملاذي في حياتي وفي قبري

(١) أي: تفضل بينهما، وتمنع أحدها من الاختلاط بالآخر.

(٢) أي: الهلاك.

- اللّٰهُمَّ احفظني بدينك وطاعتك وطاعة رسولك.
- اللّٰهُمَّ يسّرني لليُسرى، وجنّبني العُسرى، واغفر لي
في الآخرة والأولى، واجعلني للمتقين إمامًا.
- اللّٰهُمَّ إنك قلت: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠]،
وإنك لا تُخلفُ الميعاد، اللّٰهُمَّ إذْ هديتني للإسلام، فلا
تنزِعني منه، ولا تنزِعْه مني، حتى تقبضني وأنا عليه.
- اللّٰهُمَّ استعملنا بسنة نبيّنا - صلى الله عليه وآله وسلم -
، وتوفنا على مِلّته، وأوزعنا بهديّه، وارزقنا مرافقته، وأوردنا
حوضه، واسقنا مشرباً رَوْيًّا لا نظماً بعده أبداً، اللّٰهُمَّ ألحقنا
بنبيّنا غير خزايا ولا نادمين، ولا خارجين ولا فاسقين، ولا
مبدّلين ولا مرتابين، واجعلنا من الذين أنعمت عليهم من
النّبيّين والصّديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك
رفيقًا.

- اللَّهُمَّ جَنِّبْنَا مُضِلَّاتِ الْفِتَنِ، وَاعِصِّمْنَا مِنَ الْمِحَنِ،
وَاعْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا الَّتِي جَنَيْنَاهَا فِي السِّرِّ وَالْعَلَنِ، إِنَّكَ قَرِيبٌ
مَجِيبٌ.

اللهم خَلِّصْنِي مِنْ مَظَالِمِ نَفْسِي وَمَظَالِمِ كُلِّ شَيْءٍ قَبْلَ
الْمَوْتِ، وَلَا تُؤَمِّتْنِي وَلَا أَحَدٍ عَلَيَّ مَظْلَمَةٍ يَطْلُبُنِي بِهَا بَعْدَ
الْمَوْتِ، وَلَا بَدًّا مِنَ الْمَوْتِ، فَاجْعَلْهُ عَلَى تَوْبَةٍ نَصُوحَ بَعْدِ
الْخُلَاصِ مِنْ مَظَالِمِ نَفْسِي وَمَظَالِمِ الْعِبَادِ، قِتْلًا فِي سَبِيلِكَ،
عَلَى سُنَّتِكَ وَسُنَّةِ رَسُولِكَ، شَهَادَةً يَغْبِطُنِي بِهَا الْأَوَّلُونَ
وَالْآخِرُونَ، وَاجْعَلِ النُّقْلَةَ إِلَى رَوْحٍ وَرِيحَانٍ فِي جَنَاتِ
النَّعِيمِ، وَلَا تَجْعَلْهَا إِلَى نُزُلٍ مِنْ حَمِيمٍ وَتَصْلِيَةٍ جَحِيمٍ.
لَأَبْكِينَ بَدْمَعَ الْعَيْنِ مِنْ أَسْفٍ لَأَبْكِينَ بَكَاءَ الْوَالِدِ الْحَزِينَ



وَحُقُّ لِمَثَلِي بِالْبُكَاءِ عِنْدَ مَوْتِهِ

وَمَا لِي لَا أَبْكِي وَمَوْتِي قَدْ اقْتَرَبَ

ولي عملي في اللوح أحصاه خالقي
لئن لم يَجِدْ بالصفح صِرْتُ إلى الْعَطْبِ



اللهم أصلحني قبل الموت، وارحمني عند الموت،
واغفر لي بعد الموت.

تائبٌ تجري دموعي نَدَمًا
يا لِقَلْبِي من دموعِ الندمِ
ليتني ذبْتُ حياءَ كلما
جَدَّدَ السَّئْرُ عطاءَ المُنْعِمِ



عانق الشيطانُ في صدري الملاك
وتحيرتُ بهذا وبذاك
ثم صاح الوهمُ كن طوعَ هواك
جمح الإثمُ بأمسي فارتمى
حاضري يمسحُ جُرحَ الألمِ

قَدْ زَهَدْتُ الْإِثْمَ شَوْقًا لِلْإِسْلَامِ
أَيْنَ ظِلُّ اللَّهِ مِنْ زَيْفِ الْحُطَامِ
أَيْنَ نُورُ الْحَقِّ مِنْ وَهْمِ الظَّلَامِ
أَشْرَقَتْ رُوحِي فَهَامَتْ نَغْمًا
وَصَفَا قَلْبِي صَفَاءَ الْمُلْهَمِ



يَا إِلَهِي شَاقَنِي هَذَا الْوَجُودُ
تِلْكَ دُنْيَاكَ فَمَا بَالُ الْخُلُودِ
عَزَّ قَدْرِي بِكَ فِي ذُلِّ السَّجُودِ
أَنْتَ إِنْ تَرْضَى كَفَانِي مَغْنَمًا
لَيْسَ بَعْدَ اللَّهِ لِي مِنْ مَغْنَمٍ
لِيَتَنِي ذَبْتَ حَيَاءَ كُلِّمَا
جَدَّدَ السَّتْرُ عِطَاءَ الْمُنْعَمِ

- اللَّهُمَّ اجْعَلْ خَيْرَ عُمْرِي آخِرَهُ، وَخَيْرَ عَمَلِي خَوَاتِمَهُ،
وَاجْعَلْ خَيْرَ أَيَّامِي يَوْمَ أَلْقَاكَ.

يا عالم الأسرارِ علِّمِ اليقينُ يا كاشفَ الضُّرِّ عن البائسينُ
يا قابلَ الأعذارِ فئنا إلى ظِلِّكَ فاقبلْ توبةَ التائبينُ



يا مُخطئاً ما أغضلكُ
عَجِّلْ وبادِرْ أَجَلَكَ
واختمْ بخيرِ عَمَلِكَ



قَرُبْ الرحيلُ إلى ديارِ الآخرة
فاجعلِ إلهي خيرَ عُمري آخِرِه
فلئن رَحِمْتَ فأنت أكرمُ راحمٍ
وبحارُ جُودِكَ يا إلهي زاخره
آنسْ مبيتي في القبورِ ووحدتي
وارحمْ عظامي حينَ تبقى ناخره
فأنا المُسَيِّكينَ الذي أيامُه
وَلَّيْتُ بأوزارِ غدت متواتره
وتَوَلَّهْ باللفظِ عند مآله
يا مالكَ الدنيا وربَّ الآخرة

- اللّٰهُمَّ أَمَرْتَنَا بِدَعَائِكَ، وَوَعَدْتَنَا إِجَابَتَكَ، وَقَدْ دَعَوْنَاكَ
كَمَا أَمَرْتَنَا، فَأَجِبْنَا كَمَا وَعَدْتَنَا.
اللّٰهُمَّ اٰمِن عَلَيْنَا بِمَغْفِرَةِ مَا قَارَفْنَا، وَإِجَابَتِكَ فِي سَقْيَانَا
وَسَعَةِ رِزْقِنَا، وَحُسْنِ عَاقِبَتِنَا.
إِلَيْكَ وَإِلَّا لَا تُشَدُّ الرِّكَائِبُ
وَمِنْكَ وَإِلَّا فَالْمُؤَمِّلُ خَائِبُ
وَفِيكَ وَإِلَّا فَالْغَرَامُ مُضَيِّعُ
وَعَنْكَ وَإِلَّا فَالْمُحَدِّثُ كَاذِبُ



وهذا آخر ما قصدت جمعه من مناجاة الصالحين،
والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد
المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين.



مسرد الموضوعات

الموضوع	الصفحة
المقدمة.....	٣
الحياء لغةً.....	٥
الحياء شرعاً.....	٧
إذن حقيقة الحياء.....	٨
الفرق بين الحياء والخجل.....	١١
الحياء دليل نجابة الصبي.....	١٢
الحياء جِبِلِّيٌّ، وَكَسِيٌّ.....	١٣
الحياء من مكارم الأخلاق عند العرب.....	١٧
الحياء في الإسلام.....	٢٠
فصل: في أقسام الحياء.....	٢٥
مِمَّ يَتَوَلَّدُ الْحَيَاءُ؟.....	٢٩
يتولد الحياء من امتزاج التعظيم بالمودة.....	٢٩
يتولد الحياء من علم العبد بنظر الحق إليه.....	٣٠
يتولد الحياء من مشهد النعمة والإحسان.....	٣١

لو لم يرد بالحياء من الله شرع؛ لاستلزمه العقل واستحسنه	٣١
حياء الجنابة	٣٣
معنى ما نسب إلى الأنبياء - عليهم السلام - من معصية، وعلاقة ذلك	
بعصمتهم	٣٣
فضائل الحياء	٣٩
أولاً: الحياء مفتاح كل خير	٣٩
قصة إنكار عمران بن حصين - رضي الله عنهما - على بشير بن كعب	
قوله في الحياء: «إن منه ضعفًا، وإن منه عجزًا»	٤٠
استدراك على الراغب الأصفهاني في ما زعم من أن الحياء مركب من	
عفة وجُبْن	٤١
كلام بديع لابن القيم في بيان أن «مَنْ لم يُطع أمرَ الحياء وزاجره؛ أطاع	
أمر الهوى والشهوة، ولا بد»	٤٢
ثانيًا: الحياء من خصائص الفطرة الإنسانية	٤٤
ثالثًا: الحياء إيمان	٤٥
دفع إشكالين	٥١

- الأول: كيف جُعل الحياء -وهو غريزة- شعبة من الإيمان وهو اكتساب؟ ٥١
- الثاني: إذا كان الحياء من الإيمان؛ فماذا عن وجود حياء ظاهر عند بعض الكافرين؟ ٥٣
- رابعًا: الحياء أبهى زينة ٥٧
- خامسًا: الحياء من صفات الله عز وجل ٥٨
- حياء الله تعالى لا يشبهه حياء المخلوقين، وإنما هو على معنى يليق به عز وجل ٥٩
- معنى استحياء الله تعالى من عبده إذا أذنب ٦٠
- سادسًا: الحياء خلق يحبه الله عز وجل، ويحب أهله ٦٤
- سابعًا: الحياء شريعة جميع الأنبياء عليهم السلام ٦٥
- من عقوبات المعاصي ذهاب الحياء ٦٦
- شؤم الانسلاخ من الحياء ٦٧
- فصل: حول معنى حديث «إذا لم تستح، فاصنع ما شئت» ٦٩
- ثامنًا: الحياء خلق الأنبياء عليهم وعلى نبينا الصلاة والسلام ٧٢
- حياء موسى عليه السلام ٧٢

حياء رسول الله - صلى الله عليه وسلم -	٧٣
تاسعًا: الحياءُ خُلِقَ للإسلام الغالبُ على أهله	٨٠
من حياء الصحابيَّات - رضي الله عنهن -	٨١
من حياء الصحابة - رضي الله عنهم -	٨٦
من حياء الصالحين	٩٣
فصل: الحياء بين الرجل والمرأة	٩٥
فصل: الحجاب حارس الحياء	٩٦
فصل: أقسام الحياء باعتبار مَنْ يُستحيا منه	١٠٦
أولًا: الاستحياء من النفس	١٠٦
ثانيًا: الاستحياء من الملائكة	١٠٩
ثالثًا: الاستحياء من الناس	١١١
فصل: مسائل من « فقه الحياء »	١١٦
الأولى: هل يؤجر مَنْ فعل المعروفَ حياءً ؟	١١٦
الثانية: أخذ المال بالحياء كأخذه بالسيف	١١٨
الثالثة: يجري في الحياء الأحكام التكليفية	١٢٢
ليس من الحياء	١٢٤

أسقط الإسلام اعتبار الحياء في مواضع	١٢٩
فائدة: حول ما روي من استحياء الإمام مالك من ركوب دابة	
في المدينة	١٣٢
فصل: الحياء في العلم	١٣٢
فائدة: في تقديم بر الوالدين على الحياء من الناس	١٣٩
فصل: الحياء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر	١٤٠
صور من الحياء المذموم	١٤٩
موقف رائع للإمامين مالك والشافعي - رحمهما الله - في استحسان	
أطراح الحياء في مواطن إثبات الحقوق	١٥٠
رابعاً: الاستحياء من الله - جل وعلا -	١٥٣
استحباب التستر في الخلوة تأديباً مع الله - عز وجل -	١٥٥
تفسير قوله تعالى: ﴿لِيَبْلُوكُمْ أَيَكُفُّوْا حَسَنَ عَمَلِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُوْرُ﴾	١٥٧
كيف فسر النبي - صلى الله عليه وسلم - «الإحسان»؟	١٥٨
أثر الحياء والمراقبة في الزجر عن المعاصي، وتركية النفوس ..	١٦٠
التركية أحد مقاصد البعثة النبوة	١٦٢
كيف رفع النبي - صلى الله عليه وسلم - شأن التركية	١٦٢

مَنْ زَكَّى نَفْسَهُ بِالْإِحْسَانِ وَالْمِرَاقَبَةِ طَعِمَ الْإِيمَانَ.....	١٦٣
نصوص سلفية في المراقبة والحياء من الله تعالى	١٦٧
الإحسان يورث الحياء من الله تعالى.....	١٧٤
فصل: خلوة الذين يستحيون من الله جل وعلا	١٧٦
فصل: خلوة الذين لا يستحيون من الله -سبحانه وتعالى-	١٨٦
فصل: المحسنون... وعمل السر	١٩١
ثواب المحسنين	٢٠٣
هل جزاء الإحسان إلا الإحسان؟	٢٠٤
فصل: كيف يُكْتَسَبُ الْحَيَاءُ؟	٢٠٧
ملحق: مناجاة المحسنين في الخلوات	٢١٥
مسرد الموضوعات	٢٨١

مُحَمَّدٌ ﷺ